صباح الخير

وتظل دربك بالخطى مزحومة
وتظل أنت
كهذه الأرض التي
بحضنها الداعي ارتميت ؟
٣ يوليو ١٩٧٣
WIMS

كتابات ٧٦

كتاب أدبي يصدر في أربعة أجزاء خلال العام

بإشراف

علي عبدالله خليفة

الجزء الثاني

أول يوليو ٧٦

ساهم في الإشراف: عبدالقادر عقيل

دار الغد
للنشر والتوزيع
ص.ب ٥٠٥ - هاتف ٧١٤٧٠٥ - البحرين

فى هـذا الجزء

المادة	الكاتب	الصفحة
مفتتح	على خليفة	٥
الجوانب الغيبية فى أعمال الطيب صالح	عبد الحميد المحادين	٨
التراث الشفوى فى الفـن الموسـيقى الشرقى	سيمون جارجى	٣٩
التذكر (شعر)	فيصل السعد	٤٥
المغنى والاميرة (قصة)	عبد الله خليفة	٥٠
الطريق (شعر)	آمال الزهاوى	٥٦
المجتمع والمسرح	كرم مطاوع	٥٩
انتهاء عصر النخيل (شعر)	سعيد العوبناتى	٧١
الحضارة بين التخلف والفكر المتخلف	جاسم عاشور	٧٥
الخوف وجهه أحمر (قصة)	خالد لورى	٧٩
الوجه (شعر)	عبد الحميد القائد	٨٤
هموم الحركة الادبية ـ ٢	محمد عبد الملك	٨٧
توهج انسان فى اللحظة الزمن	حمده خميس	٩٣
حوار مع بازوليني		١٠٢
قصائد من ليبيا :		
● عن الموت والحب والحرية	محمد الشلطامى	١٠٨
● سمفونية الى حب فى الخليج	على الغزانى	١١٦
قصص قصيرة	عبد القادر عقيل	١١٨
من تراث الخليج :		
● لا أنت أنت ولا حواء حـواء	فهد العسكر	١٢٧
أحداث ثقافية :		
● حول تفهم الشعر حديثا	ابراهيم العريض	١٢٨

قراءات نقدية :

● عشاق يحلمون بالوعد — عبد الرحمن الصوير — ١٣٠

● محاولات الكتابة للاطفال بين النظرية والتطبيق — حافظ النابلسى — ١٤٧

● كلمة هى (خاطرة) — عبد الملك الحمر — ١٦٠

لحـــن الشتاء بين الفن الاصيل والفن الموظف — محمد الماجد — ١٦٤

أصوات جديدة فى القصة القصيرة : (ملف خاص) — ١٦٨

● أحمد على كمال

طفلة النرجس — ١٦٩

● طاهر عقيل

الكآبة — ١٧١

لحظة الحلم والواقع — ١٧٢

● محمد عبد الله السويدى

الحى — ١٧٥

قبل ان تغرب الشمس — ١٧٨

● نعيم عاشور

ثرثرة فى شارع (بليس) — ١٨٠

مصادر دراسة الادب البحرينى الحديث (محاولة لوضع قائمة ببلوجرافية) — عبد الرحمن الجامع — ١٨٢ — ١٨٧ — ١٨٩ — ١٩٥

اضاءة

ما أعظم فرحتنا ،
عندما تبزغ الشمس الفضية فجاة
فى يوم قاتم ،
وأعظم منها تلك الفرحة التى تجتاح النفوس ، للمحة وجيزة ،
عندما ينفذ شعاع منها الى قبو مظلم ٠
نجمة واحدة تكفى لتهدى الملاح الضائع فى البحر
وشرارة واحدة تكفى أحيانا
لاشعال حريق يصعد حتى السماء ٠٠
وفى الليل العاصف ، الذى لا أثر فيه للنجوم ،
يرسم البرق مسارا ساطعا ٠٠
فيا انتم ، كم هى جهودكم بلا جدوى !
فنار القلوب لا يمكن اخمادها !
حتى لو جنحت الشمس فى القبة السماوية
الى الغروب ٠٠ الى الانطفاء ،
فان الانسان سيذهب مفتشا ، ولو فى الجحيم ،
عن مشعل يضىء العالم ٠

لوحة الغلاف الخارجى	:	عبد الله يوسف
لوحة الغلاف الداخلى	:	ناصر اليوسف
الرسوم الداخلية	:	عبد اللطيف مفيز
الخطوط	:	محمود الملا

سعر النسخة فى البحرين : ٧٥٠ فلسا بحرينيا
فى اقطار الوطن العربى ما يعادل نفس السعر مضافا اليه أجرة البريد

مفتتح

للحقيقة نسجل هنا بأن بدايتنا مع هذا الكتاب كانت بسيطة جدا ، حسبما تصورناها ورسمنا لها فى ظل جميع الظروف · فالأدب العربى الجديد فى البحرين بحاجة الى متنفس طبيعى للنشر ، وقد تعذر عليه ذلك ، ولأن الكلمة المضيئة تؤرقنا وهى همنا اليومى وجدنا انه بطريقة ما يمكن سد جزء من هذا الفراغ ، فجاء « كتابات ٧٦ » ·· وصدر الجزء الاول ليكون فاتحة أجزاء متوالية ·

قبل اصدار ذلك الجزء ناقشنا احتمالات ردود الفعل على جميع الأصعدة ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة ، ووضعنا تقديرات بحجم تصورنا ، ومددنا رحابة صدر بعرض فلاة ، وشرعنا نوافذنا على جميع الجهات ·· واثقين من أن محصلة كل ما سياتى ستكون ـ على اية حال ـ شيئا مفيدا نتعلم منه جديدا نجهله ·

كنا نعلم منذ البداية اننا نضع بين يدى القارىء العربى كتابا دوريا متواضعا وسط عدد كبير جدا من الكتب المماثلة والمجلات الأدبية والفنية والعلمية المتخصصة ، الشهرية منها والفصلية ، المدعمة بأكبر الامكانيات الرسمية والطاقات العلمية الكبيرة من ذوى الاختصاص والتفرغ · وأننا بالكاد نستطيع أن نغطى تكاليف الطبع والمصاريف الضرورية الأخرى لجزء ·· حتى نبدأ بجزء بعده · لا لنحرق أصابعنا فى النار ، ولكنا أمام الضرورة الملحة وغياب البديل نحاول مغالبة شراسة جميع الظروف ونيل اقصى ما هو متاح من (الممكن) لتقديم كلمة صادقة ، بمذاق خاص · ومن

خلال جولة قصيرة فى الخليج لاستطلاع آراء مثقفيه وكتابه خرجنا بقدر ليس هين من التفاؤل ، ربما للفرح والحماس الصادقين اللذين لقيهما الجزء الاول ، والرغبة الحقيقية فى المشاركة ، والتأكيد على ضرورة الاستمرار ، والدعوة للخروج بالأدب العربى فى الخليج من النرجسية ·· ليتمثل كتابه المرحلة بنظرة شمولية أكبر لذا يهمنا التأكيد على أنه كلما استطاع هذا الكتاب أن يقدم للقارىء العربى الصورة الحقيقية الأخرى لانسان الخليج : تطلعاته ، مستوى ابداعه ، وفاعليته ، كلما استطاع أن يؤدى جزءا من مهمته ·

لقد استقبل القراء جزءنا الأول استقبالا مدهشا ، اربك الكثير من استعدادنا البسيط · وبقدر ما فرحنا لذلك شعرنا برهبة المسئولية فى أن نكون أهلا لهذه الثقة ·· دائما ، وأن تظل للكلمة عندنا كرامتها ·· ووهجها الواضح وفعلها الصحيح · وما هذا الاستقبال الا مؤشرا حقيقيا الى ما يتمتع به القارىء العربى من وعى وتقدير للفكر والثقافة ، واحترام عظيم للكلمة الجادة ·

يقول كاتب صديق : (لقد نجح كتابكم لأنه كان يجب أن ينجح ، فانتم فى وسط لا يرحم الفاشلين) · ونجاح توزيع أى كتاب ليس ـ دائما ـ دليل جودة محتواه ، لذلك كنا فى انتظار نقد وملاحظات الآخرين ، فحمل الينا البريد ، من داخل البحرين وخارجها ، كلمات طيبة انهالت علينا من أساتذة وكتاب وأدباء ومفكرين وقراء عاديين ، لقد حل اخضرار هذه الكلمات فى القلب ، وستظل فى الجانب المضىء من الذاكرة أبدا ·

أما بالنسبة لما نشر محليا ، كنا قد اتفقنا ، والكتاب ما زال فكرة ، على أن نأخذ بما هو مفيد ، ونناى بالكتاب وبانفسنا عن المهاترات والأخذ والرد العقيمين ، حتى لو كلفنا ذلك أن نتجرع كل سموم حساسيات الوسط الادبى · قرانا كل ما نشر ، واستمعنا لكل ما قيل بأناة شديدة ، تعلمنا واستفدنا بما ينفع ، أما الزبد فقد آل جفاءا دون عناء ·

وها نخطو خطوة ثانية لنؤكد التزامنا بما بدانا به ·· « وكتابات ٧٦ » ما هو الا اجتهاد بسيط ·· وجد ليستمر ·· ويتطور ·

تبقى ·· كلمة : فى الموقع والمناخ اللذين نتحرك فيهما تصبح تجـربة اصدار مثل هذا الكتاب معاناة طريفة جدا ، تستحق أن تروى ، وأطرف ما فيها انه لا يمكن أن نرويها الآن ·

تحية ·· الى الأدباء والكتاب الذين زودونا بآرائهم ونقدهم البناء ، مكاتبة أو نشرا فى الصحف والمجلات ، والى الذين حرصوا منهم على المساهمة معنا بأعمالهم الأدبية · تحية ·· الى الشباب الذين يعملون بصمت فى الظل لاخراج هذا الكتاب بصورة لائقة ··

نشد على يد القارىء ، تحية ، وبتعضيده الرائع يحق لنا أن نتفاءل ·

علي خليفة

الجوانب الغيبية في أعمال

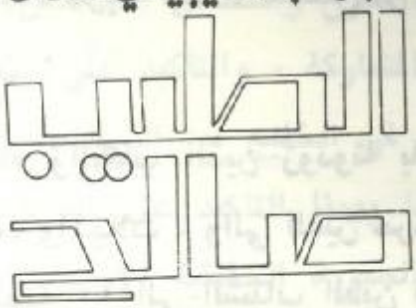

بقلم : عبد الحميد المحادين

(لن تكون ثمة ضرورة لقطع الدومة ، ليس ثمة داع لازالة الضريح ، الامر الذى فات على هؤلاء الناس جميعا ، ان المكان يتسع لكل هذه الاشياء ، يتسع للدومة والضريح ، ومكنة الماء ومحطة الباخرة) ٠

يحس المتابع للطيب صالح فى رواياته انه يقف باستمرار عند نقطة التلاصق ، أو نقطة التوتر ، أو نقطة الالتحام والانفصام ، عند لحظة يكون فيها الماضى كأوهى ما يكون ، والمستقبل كأوهى ما يكون ، ذاك يقين كاد يسقط ، وهذا حلم كاد يتحقق ، فى لحظة الملامسة والملابسة يقف الطيب صالح ، هى لحظة لقاء الماضى بالمستقبل ، يتلامسان كما يتلامس طرفا جرح يكاد يلتئم ، هنا فى هذه اللحظة فى هذا المكان يوقفنا الطيب صالح فى وسط المجتمع السودانى ، فى أمكنة متشابهة ، فى أزمنة متباعدة ٠

تقرأ رواياته ، فتحس تلقائيا انك انزرعت فى قلب قرية سودانية ، تعيش ظروفها ، وتتحرك فى مجاميعها ، وتجد نفسك ببساطة واحدا منهم ، فالطيب صالح يتيح لك فرصة تكوين الموقف ، بل يترك لك موقفا ، أو يترك لك جانبا تشكل من خلاله موقفك ، انه يضعك فى الصورة مباشرة ، وبسرعة ٠٠

(لقد جسم الطيب صالح صورة القرية السودانية فى ضمير قراء

القصة العربية ، وانطق فلاحيها واضفى عليهم من الملامح ما جعلهم اليـــوم شخوصا حية ، تعيش فى مشاعرنا وتكون جزءا من وعى قراء العربية) ٠ (١)

وعالم الطيب صالح متكامل ، كمـــا ان فنه متكامل ، وابرز ما فى فنه تعدد الجوانب وخصوبة هذا التعدد ، فهو متجانس ومتنوع فى آن واحد ، وذو ابعاد كثيرة يمكننا ان ندرسها معا متكاملة ، أو ندرسها منفصلة ، ويمكننا أن ندرس كل أعماله على انها وحدة واحدة ، ومع الطيب صالح نجد دائما ما نقوله ٠

يمكننا تتبع شخصية واحدة فى جميع رواياته ، ويمكننا دراسة الروايات واحدة واحدة مركزين على الفن القصـصى لدى الطيب صـالح ، لغته متميزة وجديرة بالدراسة ، وتعامله مع الفصحى والعامية جدير بان ينفرد ببحث مستقل ، لانه ـ فى اعتقـــادى ـ تمكن من خلق معايشة رائعة بين مستويين من مستويات اللغة العربية ، كان موضـــوع العلاقة بينهما مثار جدل كبير وعنيف ٠ وتعامل الطيب صالح مع الزمن جاء بأبعاد جديدة ربما لم تألفها الرواية العربية ، أو لم نألفها نحن فى الرواية العربية ، فالزمن لديه متراكب، لا متسلسل ، ويقترب من المونتاج السينمائى فى ترتيب الاحداث فهى أحداث لا تترتب حسب افتراضية وقوعها فى زمان ، بل تترتب طبقا لمنظور يختلف ، بل أن الاحداث تجىء احيانا حسب تواردها على الذهن فى لحظة ما ، فقـــد تتشابك ، وتتسابق ، ويجىء المتأخر قبل المتقدم ، والكاتب ممسك بخيوط هذه الأزمنة المقطعة ، المتواصلة ، بحنكة وبساطة ، مازجا بين التقرير وبين تيار الوعى ، مزاوجا بين طبيعة الاشياء فى الخارج ، والاحساس بها من الداخل ، مستعينا بالومضات الراجعة الى أعماق الماضى ، مازجا بين الواقع والحلم ، مغيرا من مواقع الرؤيـــة بتغيير طبيعـــة الراوى ، أو طبيعـــة موقعه ، ويبهرنا باسقاطات معينة ، حيث يغير الزاوية التى يرصد منها الحدث ٠ هذا التغيير ينقلنا الى مجالات عدة ذات أبعاد مختلفة ، لكنها جميعها موظفة باتقان وفى ذات الاتجاه الذى يريده الراوى أو يريده الطيب صالح ، ولذا فان ظهور

---

(١) فى الرواية العربية المعاصرة د ٠ فاطمة موسى ص ٢٣٣ ٠

الحدث الواحد أكثر من مرة فى رواياته ما هو الا تغيير للزوايا ، وتغيير الزوايا أمر اذا لم يدرك المقصود منه بوعى ، كان سرفا لا قيمة له ٠

ثم هناك هذه القدرة البارعة على التقاط الاشياء البسيطة ، وتوظيفها فى سبيل ايضاح الجوانب الاجتماعية ، أو فى سبيل الكشف السريع عن الخصائص الفردية للبطل من خلال ومضة هى أقرب ما تكون لومضة Flash حيث يضىء الاشياء بسرعة ، فييسر للعدسة النافذة تسجيل ما تقع عليه ، فالكاتب يلجأ الى هذه الومضات الصغيرة السريعة التى تنقلنا الى عوالم داخلية اشد اتساعا وأرحب ، أو توضح لنا هذه اللقطة السريعة طبيعة علاقة اجتماعية ، أو بعدا من ابعاد التركيب السيكولوجى ، أو شكلا ما من أشكال السلوك ، هذا مع ميله الواضح الى النفاذ الى داخل نسيج العلاقات الاجتماعية والفكر الاجتماعى ، موظفا فنه للكشف عن أبعاد هذه العلاقات وهذه الافكار ، أو موظفا هذه العلاقات وهذه الافكار للكشف عن فنه ، مع ميل شديد الى الغموض وعدم تبرير الاحداث ، والتفسير الغيبى الذى لا علاقة له بالعصر العلمى ، بل لعله يعود بنا بعيدا الى زمن الاساطير والخرافات ، حيث كان الانسان أقرب الى الله أو كان الله أقرب الى الانسان ، وكانت العلاقة بينهما أكثر مباشرة وأشد تلاصقا ، أيام كان الناس يظنون أن الله قد منح بعض خلقه قليلا من خصائصه أو اختصاصاته يمارسها طبقا لمشيئة انسانية محضة ٠٠

(والواقع أن السنوات العشر الاخيرة شهدت عدة أعمال أدبية ومسرحية جديدة ومعاصرة ، وصلت الى فئات واسعة من القراء العرب ، سواء عن طريق المجلات أم الكتب المستقلة التى لاقت رواجا واسعا ، وان هذه الاعمال الفنية ذات تركيب بنائى معاصر ومعقد كذلك ، وتتجلى فيها مختلف المفاهيم التى صرنا نسمعها عن خصائص الموجة الجديدة ، من تداخل الازمنة ، التقطيع الاشبه بمونتاج سينمائى ، امتزاج الحلم بالواقع ، الجمل القصيرة ، المؤثرة ، القافزة ، تحطيم السرد ، وغيرها من المكتسبات الفنية الجديدة ٠ وتحضرنى الان على سبيل المثال فقط بعض الاسماء والاعمال ، السودانى الطيب صالح ، خصوصا فى موسم الهجرة الى الشمال ، هذه الرواية ذات

التركيب الفنى المعاصر والاصيل ، والتى تحمل عدة مستويات واقعية ورمزية ، وترتفع بالواقع الى مستوى الاسطورة ، وتتلاعب بمجرى الاحداث ، فى تقطيع سينمائى مدهش وتطرح من خلال الفن نفسه قضايا قومية وفكرية ، قد تناقشها على صعيد الفكر دون أن تنكر قدرة الفنان على تحـــويل الموقف الفكرى الى تجليات فنية مضيئة) ٠ (١)

هذا من جانب البناء الفنى لديه ، أما جانب تمثله لبيئته ، وروح عصره ، فان (الاديب أى أديب يكون أصيلا بمقدار ما يتمثل بيئته ، ويكون معاصرا بمقدار ما يعبر عن روح عصره ، وهاتان القيمتان ، الاصالة والمعاصرة هما الركيزتان المحوريتان اللتان يدور حولهما أدب هذا الاديب) ٠ (٢)

ومن الغريب أن الطيب صالح يتعمد لسبب أو لآخر أن يلتقط أبطاله من نماذج تحيطهم علامات الاستفهام ، فكل أبطاله تقريبا لهم جانبان ، جانب ظاهر يتركز عليه الضوء ، ومساحة الجانب المضاء قليلة ، وجانب يغرق فى الظلام والظل ، ومساحة الجانب الغارق كبيرة وكثيرة ، نواجه ذلك فى موسم الهجرة الى الشمال ، وعرس الزين ، ودومة ود حامد ، وبندر شاه ضـــو البيت ، والرجل القبرصى ، وليس هناك من تفسير أو تعليل لتعمد الطيب صالح فى اختيار هذا الصنف من الابطال ، سوى أصالة الكاتب وعمق تصويره للفكـــر السودانى الصوفى فى جوهره ، (ولا شك أن أصالة الكاتب هى التى حدت به الى اضفاء النزعة الصوفية على مضمون روايته ٠٠٠ فالباحث عن النزعـــات الفلسـفية فى الفكر الســودانى عامة فى القديم والحـديث لا يجد بابا أوسـع من باب التصوف ، فهو أبرز دعائم الفكر السودانى على الاطلاق ، سواء فى العصور الوثنية ، عندما كان مرتبطا بالتراث المصرى القديم ، وكان مجاله كله هو التقرب الى الآلهه ، أوفى العهد المسيحى عندما سادت النزعات الداعية الى فلسفة الخلاص من رقّ الابدان ، أبدان الاجساد وأبدان كل ما هو دنيوى على الاطلاق ، الى أن جاء العهد الاسلامى) ٠ (٣)

---

(١) الاداب عام ١٩٧٢ عدد ١ كانون ٢ / دور الاداء والتعبير الفنى ـ محمد دكروب

(٢) ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة ـ جلال العشرى ص ٢٥٧

(٣) نفس المصدر ـ ص ٢٦٩

هذا الاتجاه لدى الطيب صالح فى اختيار أبطاله ممن يحيطهم الغموض هو كما ذكرنا تأثر بالجوانب الروحية السائدة فى المجتمع السودانى ، ولعل الافكار الصوفية فى مجتمع ما ، اذا انحدرت لتصبح معتقدات شعبية ، تتغير طبيعتها وتمتزج بالخرافة امتزاجا واضحا ، وبالاسطورة ، وبالقصة الشعبية ، وتتداخل فى نسيج روحى متعدد الجوانب والابعاد والاعماق ، لكنه بعيد عن وقائع الاشياء ، ويصدق منها مالا يصدق ، بل كذلك تصبح هذه الافكار ذات سيطرة عليه فيمكن أن توجهه وان يتأثر بها ، وان تترك آثارا واضحة على سلوكه ، ومن هنا نجد أن الطيب صالح انطلق من هذا العالم الروحى الصوفى الخرافى الاسطورى الشعبى ، متمازجا ، وألتقط شخصيات من هنا وهناك ، تجمع بين نقائض الواقع وكمال الخيال تجمع بين الحقيقة بعيوبها ، والوهم بتمامه ونقاوته ، تحسها أحيانا أكذوبة لبعد ما بين حقيقتها والخيال المنبثق عن حضورها ، وتحسها أحيانا واقعا ، وتقف دائما بينهما ٠٠ وتبقى الشخصية تخفى وتبين مع تفاوت كمى فى هذا وذاك ، كخشبة طافية على الماء يحركها الموج ٠

ونحن نعلم أن العوالم الروحانية تخضع لاعتبارات ومعتقدات لا يمكن تفسيرها ، هذا العالم الخفى يمزجه الطيب صالح بعالم الاحلام واللاشعور ، فنجد اننا ازاء وقائع لا يمكن تصديقها فى ذاتها وان كان الناس يتحسسون آثارها على حياتهم ويلمسون هذه الاثار ، ويعمد الطيب صالح أحيانا الى خداع الاضواء فيلقى ضوءا ساطعا مرة وخافتا مرة أخرى ، ويكثر من هذا وذاك مما يجعل المتابع يتأثر بشكل أو آخر بهذه الاجواء الروحية ٠٠ ولعل بعض اللقطات التى يصورها الطيب صالح تذكرنا بجلسات تحضير الارواح واستخراج الجن ٠

ولذا فنحن حين نمسك بخيط واحد عبر جميع رواياته ، وبعض أقاصيصه القصيرة ، خيط الغموض والاسطورة والتصوف نجد اننا عبر رواياته نتابع خيطا واحدا من الجوانب المتسمة بالغموض الذى يتعذر تبريره وتفسيره ٠ ولنبدأ الخيط من أوله ، من موسم الهجرة الى الشمال ، فمنذ البداية يواجهنا

الكاتب بالغموض الذى يحيط بحياة مصطفى سعيد ٠

(فجأة تذكرت وجها رأيته بين المستقبلين ، لم أعرفه ، سألتهم عنه ، ووصفته لهم ، رجل ربعة القامة فى نحو الخمسين ، أو يزيد قليلا شعر رأسه كثيف مبيض ، ليست له لحيه ، وشاربه أصغر قليلا من شوارب الرجال فى البلد ، رجل وسيم ٠٠

وقال أبى : هذا مصطفى !

مصطفى من ؟

هو أحد المغتربين من أبناء البلد عاد !

وقال أبى : أن مصطفى ليس من أهل البلد لكنه غريب جاء منذ خمسة أعوام ، اشترى مزرعة وبنى بيتا وتزوج بنت محمود ، رجل فى حاله ، لا يعلمون عنه الكثير) ٠ (١)

ماذا يعنى هذا الحوار البسيط ، أو هذه اللقطة البسيطة ، ما دلالة قبولهم له بينهم وتزويجهم له ومشاركتهم له فى حياتهم ما داموا لا يعلمون عنه الكثير ، هنا يضعنا الطيب صالح أمام جانب من جوانب طبيعة الشعب السودانى فى ذلك الاقليم على الاقل ٠٠

ان مصطفى سعيد فى ظنى رمز للجديد الطارىء ، وكيف قبله أهل ذلك الاقليم هو رمز لطريقتهم فى تقبل الاشياء الجديدة والطارئة والمستحدثة ، هل هو يواجهها بنفور وخوف أم يقبلها مع حذر ، هل الموقف الثانى هو الصحيح ؟ هو يقبلها مسودنه ، أى حين تصبح سودانية ، أى اذا ارتدت ملابس سودانية ، حتى لو كانت ليست نابتة فى تربتهم ٠٠ ويسير بنا الطيب صالح مع مصطفى سعيد ، ويكتشف الراوى حقائق حياته أو معظمها ، ولكنه يبقى بالنسبة للناس هو هو ، لا يعلمون عنه الكثير ، يعايشهم ويعايشونه ويشاركهم فى أمورهم ويشاركونه مع جهلهم بحقيقته ولعل معرفة الراوى لاسرار وخبايا مصطفى

---

(١) موسم الهجرة ص ٦

سعيد ، لا يغير من دلالة غموض شخصيته فى شىء ، وعلاقة ذلك بالمجتمع المحيط به ٠

حتى (كانت ليلة قائظة من ليالى شهر يوليو ، وكان النيل قد فاض ذلك العام أحد فيضاناته تلك التى تحدث مرة كل عشرين أو ثلاثين سنة ، وتصبح أساطير يحدث بها الاباء أبناءهم وغمر الماء الارض الممتدة بين الشاطىء وطرف الصحراء حيث تقوم البيوت ، وبقيت الحقول كجزيرة وسط الماء ، وكان الرجال يتنقلون بين البيوت والحقول فى قوارب صغيرة ، أو يقطعون المسافة سباحة ، وكان مصطفى سعيد حسب علمى يجيد السباحة ، حدثنى أبى ، فقد كنت فى الخرطوم وقتها ، انهم سمعوا بعد صلاة العشـــــاء صراخ نسوة فى الحى فهرعوا الى مصدر الصوت ، فاذا الصراخ فى دار مصطفى سعيد ، كان من عادته أن يعود من حقله مع مغيب الشمس، ولكن زوجته انتظرت دون جدوى، وذهبت تسأل عنه هنا وهناك فأخبروها انهم رأوه فى حقله والبعض ظن انه عاد الى بيته ، مع بقية الرجال ، وانكبت البلد كلها على الشاطىء ، الرجال فى ايديهم المصابيح وبعضهم فى القوارب وظلوا يبحثون الليل كله دون جدوى ، وأرسلوا اشـــــارات تلفونية الى مركز البوليس ، على امتداد النيل ، حتى كرمه ، ولكن الجثث التى حملها الموج الى الشاطىء ذلك الاسبوع لم تكن بينها جثة مصطفى سعيد ، وفى النهاية أخلدوا الى الرأى انه لابد قد مات غرقا وان جثمـانه قد اســـــتقر فى بطون التمـــاسيح ، التى يغص بها المـاء فى تلك المنطقـة) (١)

وهكذا جاء مصطفى سعيد ، وهكذا ذهب ، تاركا زوجة وطفلين ، وهجرته السرية ، هذه جميع آثاره ٠

وقد قدمه لنا الراوى على السنة الناس الذين عرفوه وعرفهم ، الذين زاملوه وزاملهم فى دراسته فى لندن ، أو فى عمله فى السودان ، وكلهم كان ينظر اليه من زاوية ، مصطفى سعيد الســـــودانى النابغة فى نظر اناس ، ومصطفى سعيد العميل الانجليزى فى نظر آخرين ، رسول افريقيا الى لندن ،

---

(١) موسم الهجرة ٤٩ ـ ٥٠

أو عميل انجلترا فى افريقيا ، وبينهما ، فمن هو مصطفى سعيد وأين ذهب ؟ هل تريد أن تعرف حقيقة مصطفى سعيد ؟

(فقال مخجوب أنت لست سكرانا بل مجنونا أيضا ، مصطفى سعيد هو فى الحقيقة نبى الله الخضر ، يظهر فجأة ويغيب فجأة ، والكنوز التى فى هذه الغرفة هى كنوز الملك سليمان حملها الجان الى هنا ، وأنت عندك مفتاح الكنز ، افتح ياسمسم ودعنا نفرق الذهب والجواهر على الناس) ٠ (١) بل ويصل الامر أحيانا الى اعتقاد أبعد فى الاغراب والتشكيك فى شخصيته (أحيانا تخطر لى فجأة تلك الفكرة المزعجة ، أن مصطفى سعيد لم يحدث اطلاقا ، وانه فعلا أكذوبة ، أوطيف أوحلم أوكابوس ألم بأهل القرية تلك ليلة داكنة خائفة ، ولما فتحوا أعينهم مع ضوء الشمس لم يروها) ٠ (٢)

مصطفى سعيد ، كل ما يمكن أن نعلمه عنه أنه استهوته ذكريات الشمال ، فاختار موسم الهجرة الى الشمال وهاجر !!

ونلتقى بضو البيت ، فاذا حكاية كحكاية مصطفى سعيد مع فوارق تفصيلية تضعنا كذلك أمام نفس السؤال ونفس الموقف ٠

قال حسب الرسول فيما روى عنه ابنه مختار :

رأيت الدهمة تتشوبح بين النهر والسماء ، كأنها ممددة بين النار على الشاطىء وقبس الفجر الباهت تحت خط الافق ، واحسست بنفسى أضيع ، وفيما انا اهوى تذكرت اننى متوضىء لصلاة الصبح ، وان وضوئى لم ينتقض ، بدأت أطفو وأنا متشبث بتلابيب القرآن ، أردد الاسماء بلا وعى ، حال رجل من الاميين ، اشرعت مسبحتى ، يس ، حاميم ، كلم ، قاف صاد عين ، وكل اسم يدفعنى الى أعلى ، فلما عدت الى قريب من حالتى الاولى ، وقلبى يتقافز وعرقى يتصبب ، وحالتى من الكرب والبلاء مالا يعلمه الا الله ، رأيت الدهمة صارت شيطانا واحدا بدل جمع شياطين ، وقلت الذى كفانى

---

(١) موسم الهجرة ص ١١٠ ، ١١١

(٢) نفس المصدر ص ٤٢

شرهم يكفينى شر هذا كمان ، تشجعت وتماسكت ، وبلعت ريقى وقلت للمارد الواقف فى الماء بين الارض والسماء « السلام على من اتبع الهدى » ٠ لم يرد على سلامى ، ومضى يخوض الماء قاصـــــدا مكانى ، فاكثرت من التهليل والتكبير ، وبين كل بسم الله ولا حول ولا قوة الا بالله أحس بملك من ملائكة السلام يحل فى قلبى ، حتى وجدت الذى ضاع من لسانى وجنانى ، سألته وأنا على تلك الحالة ، وما بى حاجة الى سؤال :

« أنت شيطان أم انسان ؟ » ٠

فأجابنى وهو واقف أمامى وكان ما بينى وبينه مقدار مائة فرســـخ ، قال بلغة عربية ولكنة أعجمية : « شيطان » كانت مخاوفى قد صارت خوفا واحدا ، وكأن أذنى كانتا مغلقتين انفتحتا مرة واحدة فسمعت حس الموج على الشاطىء ، كأنه قصف الرعد ـ قلت له : « شيطان جاى من وين ؟ » ٠

أجابنى وقد اتضحت فصاحته وعجمته أكثر : « من محـــل ما تجى الشياطين » ٠

قلت له : « الشياطين تجى من وين ؟ »

فأجاب : « من بعيد وراء البحر » ٠٠ قلت له : « وجيت هنا على شـان ايش ؟ » قال : « على شان جوعان » ٠

فجأة انقشع خوفى كما تنقشع الغمامة ، قلت فى نفسى شيطان جوعان ، هذا لا يقبله مخ بشر ، أما انه شـيطان كحيان واما انــه بنى آدم مثلى ومثلك ، ضحكت وسمعت ضحكتى تسافر الى الشاطىء الثانى وتعود ٠ قلت له وقد عدت حسب الرسول ود مختار ، والدنيا فى ود حامد فجر قرب يطلع ٠

« يازول شيطان جوعان ، عليك أمان الله انت بنى آدم متلى ومتلك » ، كان قد خرج من المـاء ورأيته واقفـا أمامى ، لا يغبانى ، أبيض اللون ، طـويل القامة ، عيونه خضر ، أراها على ضوء نارى ، لكنه بنى آدم متلى ومتلك ، قال لى :

« يا مغفل · هل الشياطين تحضر على طوق فوق النيل ، ،انسـان تعبان وجوعان ، أيام ولياليها عيونى ما ذاقت النوم ، وبطنى ما ذاقت الطعام » ·

« أهلا وسهلا » قلت له (١)

هكذا جاء ضو البيت ، مجهول جاء من جهة مجهولة يحيطه الغموض فى شخصه وغرضه ، ورحلته ، وماضيه ومستقبله ، حتى لم يعرف لنفسه اسما ، ولما سئل من أين جاء ، لم يدر لنفسه مجيئا ، لا يعلم لنفسـه دينا ولا معتقدا ، يتلقاه الناس كعادتهم بقبول حذر ، ويسقط متألما من جرح بجانبه ويقومون على تمريضه ، ويتخصص بتمريضه فاطمة بنت جبر الدار ··

وعندما شفى أرادوا الحاقه الحاقا عمليا بمجتمعهم ، أى اجراء عمليـة (سودنة) له ، فعرفوه على خصائصهم وهى خصائص المجتمع السودانى ·

(عمى محمود قال :

« يا عبدالله · نحن كما ترى نعيش تحت ستر المهيمن الديان · حياتنا كد وشظف لكن قلوبنا عامرة بالرضى قابلين بقسمتنا ال قسمها الله لنا · نصلى فروضنا ونحفظ عروضنا متحزمين ومتلزمين على نوايب الزمان وصروف القدر · الكثير لا يبطرنا والقليل لا يقلقنا ، حياتنا طريقها مرسوم ومعلوم من المهد الى اللحد · القليل ال عندنا عملناه بسواعدنا ما تعدينا على حقوق انسان ولا أكلنا ربا وسـحتا · ناس سـلام وقت السـلام وناس غضب وقت الغضب · ال ما يعرفنا يظن أننا ضعاف اذا نفخنا الهواء يرمينا ، لكننا فى الحقيقة مثل شـجر الحراز النابت فى الحقول · وانت يا عبد الله جيتنا من حيث لا ندرى ، كقضاء الله وقدره ألقاك الموج على أبوابنا ، ما نعلم أنت مين وقاصد وين · طالب خير أو طالب شر · مهما كان نحنقبلناك بين ظهرانينا زى ما نقبل الحر والبرد والموت والحياة · تقيم معنا لك مالنا وعليك ما علينا اذا كنت خير تجد عندنا كل خير واذا كنت شر فالله حسبنا ونعم الوكيل ») · (٢)

---

(١) بندر شاه ، ضوالبيت ص ١٠٣ ، ١٠٤

(٢) بندر شاه ص ١١٢

وثمت مراسيم السودنة ، من جميع الوجوه ، أعطوه أرضا ليعمل ، وختنوه وزوجوه وأسموه ضو البيت ، وأدخلوه الى الجماعة واحدا منهم ٠٠ ولكن :

(قال عبد الخالق ود حمد كما روى ابنه حمد ولد حليمة بعد ذلك بأعوام وأعوام :

« كنت أنا وعمى محمود وحسب الرسول وضو البيت على الشاطىء نفك حطب الساقية ونرفعه ، والدنيا فيضان والنهر طامى ينذر بالخطر يرتفع كأنه يخطو ، تحس مده كل لحظة ٠ كانت الشمس قد غربت لتوها وحولت النهر الى بحر من الدم ٠ كنا نحن الثلاثة تحت ، وضو البيت فوق على حجرة القيف نناوله الحطب فيسحبه الى بر الامان ، بغتة انهار ما تحت أرجلنا نحن الثلاثة ولا ندرى الا ونحن فى عرض النهر نصارع الموج ، وفى لحظات تشتتنا ذات اليمين وذات اليسار ٠ كنت أنا وعمى محمود تماسيح نيل ، أما حسب الرسول فقد كان فارس بر ، لا يقوى عليه أحد فى الجرى والمصارعة والقشاط والصفقة والعرضه ، وفى النهر لا حول له ولا قوة ٠ رأيناه من بعيد يغطس ويقلع ، فأخذنا نقاوم التيار لنصل اليه ، ولا فائدة ، فقد كان التيار جبار وغلاب يدفعنا تدفيعا ، فمددت له يدى ومد يده نحوى ، ولا فائدة ، وكان عمى محمود يلف ويدور فى الماء كالتمساح المسعور يحاول ان يجد ثغرة فى خضم الماء لينفذ الى حسب الرسول، لمحته فى حمرة الشفق وكأنه وطن نفسه على الموت ، وسمعته ينادى : « انجوا بأنفسكم والا ضعنا كلنا ، استودعكم الله ٠ خلوا بالكم من ميمونة ومختار والوليدات ، مع السلامة ٠ مع السلامة » ٠

ونحن على تلك الحال رأيت ضو البيت يضرب فى اليم متجها صوبنا وكان عمى محمود قد ضاع لا أرى له أثرا ، وأنا أغطس وأطفو والموج يصفعنى فى وجهى كقضاء الله وقدره ٠ وأنا أهوى فى القاع رأيت ضو البيت وكأنه معلق بخيوط الشمس الغاربة ، رافعا بذراعيه حسب الرسول فوق فى حمرة الشفق ٠ ثم رأيت النخل والشجر على الشاطئين كأنه يغوص معى وتلون الكون كله بلون الدم بعد ذلك لا أذكر أى شىء الا أننى وجدت نفسى على الشاطىء فى زحمة الناس وأصوات تتصارع وأشباح تقفز هنا وها هنا ، نظرت فاذا حسب الرسول

راقد كالميت وسمعت صوت عمى محمود ينادى « ضو البيت ، ضو البيت » . قام حسب الرسول بغتة وأخذ يجرى وينظر فى وجوه الناس وينادى « ضو البيت ، ضو البيت » بعد ذلك هاج الناس وماجوا ، بعضنا نزل الماء وبعضنا جرى على امتداد الشاطىء ، وضوت المشاعل على الضفتين ، ونادى الناس من مكان الى مكان ومن شاطىء الى شاطىء الى أن صارت الدنيا كلها تنادى فى جوف الظلام « ضو البيت » . انتظرنا يوما بعد يوم ، بين اليأس والرجاء ، نقول لعل وعسى ولكن ضو البيت اختفى ، لا خبر ولا أثر ، ذهب من حيث أتى ، من الماء الى الماء ، ومن الظلام الى الظلام ، وحسب الرسول يبكى ويقول « غير معقول غير معقول » . (١)

(كنا نتذاكر ماذا حصل عند المغيب ذاك اليوم . عمى محمود قال انه يذكر أنه لمح ضو البيت كأنه معلق بين السماء والأرض يحيط به وهج أخضر . بعد ذلك لا يذكر الا أنه وجد نفسه على الشاطىء كأنه يستيقظ من حلم ، والناس يتصايحون ويجرون مشتتين ها هنا وها هناك . وقال حسب الرسول انه يذكر وهو بين الموت والحياة أنه رأى ضو البيت وكأنه فى قلب الشفق الاحمر ، يبتعد ويبتعد . وفجأة امتدت يد مارد من حمرة الشفق وانتزعته وحذفت به فاذا هو على الشاطىء . استيقظ فاذا العالم ظلام والدنيا تصرخ « ضو البيت » .) (٢)

(كأنه ما كان ، لولا ابنه عيسى الذى ولد بعد موته بثلاثة أشهر . ننظر الى وجهه فلا نرى ضو البيت ، وننظر الى عينيه ، فاذا هو ضو البيت ، الخالق الناطق .) (٣)

وهكذا ذهب أيضا ضو البيت ، من حيث جاء ، من النيل الى النيل ، ومصطفى سعيد ذهب من المجهول الى المجهول ، هل كان ضو البيت أيضا أكذوبة ، أم أسطورة ، أم فكرة ألمت بهم فترة ثم اختفت .

---

(١) ضو البيت ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٢) ضو البيت ص ١٣٥

(٣) ضو البيت ص ١٣٥

ومع أن رواية ضو البيت فى مجملها تصور رغبة أهل قرية ود حامد فى التغيير وتحركهم نحـوه ، لكنه تغيير على اســـتحياء ، لا يتخلص من الأفكار السابقة والسلطة ، وهى خطوة نحو الأمام ، ويتمثل ذلك باقالة محجوب ، وثورة العبيد على بندر شـاه ومقتله ، وان كـانت الثانية هى فكرة وحـكاية ، الا أن (هذه الرواية هى السودان ، ومن لا يحاول استيعابها فلن يتاح له فرصة كهذه لمعرفة ما السودان) ٠ (١)

لكن يبقى السؤال : لماذا أنهى الطيب صالح الطارئين على مجتمع ود حامد، أو أى مجتمع سودانى ، نهاية تشابه البداية ، فعكس السهم فقط ، الى المجهول ، وقد مازج بينهما وبين البيئة السودانية فأبقى منهما أثرا ٠

ما الذى رمز اليه الطيب صـالح فى هـذين البطلين ، من حيث البـداية والنهاية ، هل هو تصوير مكثف لعلاقة السودان بكل طارىء مستجد ، ربما ، هل هما رمزان فقط ، هل هما بدايتان ونهايتان شاءهما الطيب صالح ، هكذا وجدا وهكذا انتهيا ، هذا الالحاح على شكل معين من البداية والنهاية يساويه الحاح الكاتب على وقائع بعينها يكررها فى رواياته مع تفاصيل مختلفة بسيطة وسنرى ذلك ٠

ففى عرس الزين ، نحن أمام بطل يكتنفه غموض بشكلمغاير تماما للغموض الذى كان يلف شخصيتى مصطفى سعيد وضـو البيت ، فالزين ليس مصـطفى سعيد ، ولا هو ضو البيت ، فهو شخصية من تلك التى يسكنها الغموض ، فهو فى رأى البعض عبيط محظوظ يشبه شكل المهرج فى بعض الأعمال الدرامية فهو الرابطة بين جميع الأحداث ٠٠ وهو على أحسن الظنون درويش غامض ، فمن هو الزين ؟ ما الظواهر التى تكتنفه وتنبىء على أنه غير عادى بشكل أو بآخر :

(وأمه تقول ان فمه كان مليئا بأســنان بيضـاء كاللؤلؤ ٠ ولما كان فى السادسة ذهبت به يوما لزيارة قريبات لها ، فمرا عند مغيب الشمس على خرابة يشاع أنها مسكونة ٠ وفجأة تسمر الزين مكانه وأخذ يرتجف كمن به حمى ، ثم صرخ ٠ وبعدها لزم الفراش أياما ٠ ولما قام من مرضه كانت أسنانه جميعـا

---

(١) الاداب / عدد٣ ١٩٧٣ عبد الهادى صديق

قد سقطت ، الا واحدة فى فكه الأعلى ، وأخرى فى فكه الأسفل ٠) (١)

ليس هذا فقط ، فالاطفال حينما يولدون يستقبلون الحياة بالصريخ أما الزين فالذى يروى عنه أول ما مس الأرض انفجـــر ضاحكا ، فظل هكذا طول حيـاته ٠

(وروجت أم الزين ان ابنها ولى من أوليـاء الله ، وقوى هـذا الاعتقاد صداقة الزين مع الحنين ٠

كان رجلا صالحا منقطعا للعبادة ٠ يقيم فى البلد ستة أشهر فى صـــلاة وصوم ، ثم يحمل أبريقه ومصلاته ويضرب مصعدا فى الصحراء ، ويغيب ستة أشهر ، ثم يعود ، ولا يدرى أحد أين ذهب ، ولكن الناس يتناقلون قصصا غريبة عنه ٠ يحلف أحدهم أنه رآه فى مروى فى وقت معين ، بينما يقسم اخر أنه شاهده فى كرمه فى ذلك الوقت نفسه ـ وبين البلدين مسيرة ستة أيام ـ ٠ ويزعم أناس أن الحنين يجتمع برفقة من الأولياء الســـائحين الـــذين يضربون فى الأرض يتعبدون ٠ والحنين قلما يتحدث مع أحد من أهل البلد ، واذا ســئل أين يذهب ستة أشهر كل عام ، لا يجيب ٠ ولا أحد يدرى ماذا يأكل وماذا يشرب ، فهو لا يحمل زادا فى أسفاره الطويلة ٠ ولكن فى البلد انسانا واحدا يأنس اليه الحنين ويهش له ويتحدث معه ـ ذلك هو الزين ـ ٠ كان اذا قابله فى الطريق عانقه وقبله على رأسه ، وكان يناديه « المبروك » وكان الزين أيضا اذا رأى الحنين مقبلا ، ترك عبثه وهذره وأسرع اليه وعانقه ٠ ولم يكن الحنين يأكل طعاما فى بيت أحد، الا دار أهل الزين ٠ يسوقه الزين معه الى أمه ويأمرها بصنع الغداء أو الشاى أو القهوة ٠ ويظل الزين والحنين ساعات فى ضحك وكلام ٠ ويحاول أهل البلد أن يعرفوا من الزين ســر الصــداقة التى بينه وبين الحنين فــلا يزيد على قوله « الحنين راجل مبروك » ٠) (٢)

هذا الزين الشاب الغامض الذى يظهر فى الكثير من تصرفاته أنه غريب

---

(١) عرس الزين ص ١٥

(٢) عرس الذين ص ٣٥ ، ٣٦

وغامض ومعتوه ، وهو يتعاطف مع ذوى العاهات فى المجتمع ، وحتى لقد اختلف الناس فى التعرف على طبيعته ٠

(لعله نبى الله الخضر ، لعله ملاك أنزله الله فى هيكل آدمى زرى ، ليذكر عباده أن القلب الكبير قد يخفق حتى فى الصدر المجوف والسمت المضحك كصدر الزين وسمته ٠ وبعضهم يقول يضع سره فى أضعف خلقه ٠) (١)

هـذه اللقطات تصـور لنـا جوانب كبيرة من الحيـاة العقلية للمجتمـع السودانى ، الذى تجرى فيه أحداث الرواية ، وهى حياة تتشابه فى كثير من جوانبها مع البيئات الانسانية الأخرى الواقعة فى لحظة الانشداد الى الماضى ، أى لحظات قبل العصر العلمى الحديث ، لحظات سيادة الخرافة والأسـطورة ، والصوفية الشعبية والقصص الخيالى ، عصر الجن والمرده ، والنبوءة ، حيث (أحست أم الزين برجفة خفيفة فى جنبها الأيسر فلم تستبشر خيرا ، انها تعتقد أن جنبها الأيسر اذا رجف فان شرا سيلم بها أو بأحد من أهلها لا محالة) (٢)

هى نفسها المعتقدات التى كانت تضفى على الزين فى اعتقادهم قوة رهيبة ، ليست لاحد من بيئته ففى صراعه مع سيف الدين نجده وقد (تدفعت فى جسـم الزين قوة مريعة جبارة لا طاقة لأحد بها ٠ أهل البلد جميعا يعرفون هذه القوة الرهيبة ويهابونها ٠ وأهل الزين يبذلون جهدهم حتى لا يستعملها الزين ضـد أحد ٠ انهم يرتعدون روعا كلما ذكروا أن الزين أمسـك مـرة بقرنى ثور جامح استفزه فى الحقل ، أمسك به من قرنيه ورفعه عن الارض كأنه حزمة قش وطرح به ثم ألقاه أرضا مهشم العظام ، وكيف أنه مرة فى فورة من فورات حماسـه قلع شجرة سنط من جذورها وكأنها عود ذرة ٠ كلهم يعلم أن فى هذا الجسم الضاوى قوة خارقة ليست فى مقدور بشر) (٣)

(وكان الطاهر الرواسى رجلا مشهورا بقوته ٠ كان فى بحثه عن السمك

---

(١) عرس الزين ص ٣٧
(٢) عرس الزين ص ٦٠
(٣) عرس الزين ص ٦٤

فى الليل يعوم النيل ذهابا وجيئة ويغطس فى الماء نصف الساعة فلا ينقطع نفسه · لكن قوته لم تكن شيئا بجانب الزين) (١)

هذه المعتقدات ، وهذه الامور التى استقرت فى الاذهان ، كأنها حقائق مادية لا سبيل الى دفعها ، بل ويقيمون عليها الدليل المادى . ماذا تعنى أكثر من بقايا معتقدات خرافية وأسطورية وصوفية ، تعطى هؤلاء الدراويش قوة ليست لهم ، وتمنحهم حضورا غيبيا رهيبا ، ليس فيهم بذاتهم ، بل هو نابع من بقايا معتقدات دينية وخرافية ·

ولا يختص الراوى بطله الزين بهذه القوة الخارقة ، وانما يعطى الحنين ، ذلك الشيخ الغامض ، دورا مستندا على الاتصال بأشياء غيبية تمكنه من العيش ستة شهور دون طعام ، أو تنقله مسافة الستة أيام فى لحظة ، وفوق ذلك هو رجل مبروك مستجاب الدعاء ، يملك قدرة النبوءة ، ولا نبالغ أنهم اعتقدوا أنه يملك قدرة النبوءة ويشارك فى تحقيقها ·· هكذا ظنوه ·

(وقال الحنين فى صوت أكثر رقة وحنانا « كل البنات دايراتنك يالمبروك · باكر تعرس أحسن بت فى البلد دى » وأحس محجوب بخفقة خفية فى قلبه · كان فيه رهبة دفينة من أهل الدين ، خاصة النساك منهم أمثال الحنين · كان يهابهم ويبتعد عن طريقهم ولا يتعامل معهم · وكان يحاذر نبوءاتهم ويحس ، بالرغم من عدم اهتمامه الظاهرى ، بأن لها أثرا غامضا « نبوءات هؤلاء النساك لا تذهب هدرا » (٢)

ماذا يعنى ذلك ؟ أيعنى أن مخلفات من معتقدات دينية هى أقرب الى الرواسب ماتزال تستقر فى عقلية ووجدان المجتمع السودانى ، حتى أولئك الذين يتظاهرون بأنهم لا يهتمون ، اذ أنهم تجاوزوا مرحلة المعتقد الخرافى ، أو الموروث الشعبى الغيبى ، مايزالون فى قرارة نفوسهم يحسون الخوف من رجال الدين ، والنساك خاصة ، ويستشعرون الرجفة الخفية ، أمام حديثهم ونبوءاتهم،

---

(١) عرس الزين ص ٦٤ ـ ٦٥

(٢) عرس الزين ص ٦٦ ـ ٦٧

هذا يذهب بنا بعيـدا الى عمق الفكر الاجتماعى حتى ليكاد يبلـغ بنا مراحـله البدائية وهنا لابد من ملاحظة أن الفكر السودانى قابل للجمع بين مستويين من التفكير ·· التفكير العلمى المتطور والتفكير الغيبى المتخلف فى آن واحد ··

وحينما دعا عليهم الحنين بأن يبارك الله فيهم جميعا يذكرون كيف حلت بهم البركة ، وسمى العام فيما بعد بعام الحنين ، حتى سيف الدين رغم سلوكه الشائن تاب ·· وقد اتخذ امام المسجد من توبته ذريعة ليزيد هجـــومه على المخالفين للدين ، ولم يحفل الامام بأن الحنين وهو يمثل الجانب الخفى فى عالم الروحانيات ، وهو جانب لا يعترف به الامام ، كان هو السبب المباشر فى توبة سيف الدين !! هذه الرواية تصور لنا (بحث الطيب صالح عن الملامح الحقيقية للنفس الأفريقية وسط مجموعة من الاطر التراثية ، والبيئة الاجتماعية ، هنـاك فى السودان حيث البساطة الحلوة والطبيعة البكر ، والانسان على الفطرة ، وهى تدور حـول شـخصية شـديدة التركيب ولا أقول التعقيد وهى شـخصية الزين) (١)

ولنا وقفة عند تفسير الكاتب لهذا المقطع ، فيعلق على ضحك الزين ساعة مولده كما روى يقول :

(ضحك الزين ساعة مولده هو الفرح بالحياة ، فالذات الأفريقية ذات ملتحمة بالحياة التحاما يكاد يكون عضويا) (٢)

لا يمكن لانسان أن يمر بهذا التعليل مرا خفيفا دون وقفة تأمل ، لا أدرى لماذاذهب الى التصوير البعيد جدا ، والتفسير الذى لا يكاد يقبل ، ولم افترض أن الطيب صالح صور لنا الزين ضاحكا عند مولده ليرمز بذلك الى الشخصية الأفريقية ، التى هى شخصية تفرح بالحياة وتلتحم بها ، ان هذا تعليل بعيد جدا، فالزين ذاته لا يمثل شيئا ، لا الشخصية الأفريقية ولا الشخصية السودانية ، فهو بذاته لا يعنى شيئا ، ولكن التمثيل الذى يعكس العقلية الأفريقية والسودانية هو

---

(١) ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة ، جلال العشرى ص ٢٦٤

(٢) ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة ، جلال العشرى ص ٢٦٥

موقف المجتمع منه ، موقف الآخرين ، مدى ايمانهم به ، مدى تقبلهم له ، مدى ما أعطوه من الصفات الأسطورية التى ليست فيه ، مدى ما أضفوا عليه من الخصائص والقداسة الخارقة وغير العادية ، هذا الذى يمثل لنا المجتمع الأفريقى والمجتمع السودانى ، اننا نتلمس الخصائص العقلية والنبتة الفكرية للمجتمع من خلال هذه الرواية ، مستنتجين ذلك من موقف الجماعة من ظاهرة ما ، فالظاهرة بحد ذاتها ـ فى اعتقادى ـ حيادية لا تعنى شيئا بذاتها ·· ويمكن أن توجد فى أى مجتمع ، لكن موقف المجتمع من هذه الظاهرة وكيفية تعامله معها وتفاعله بها ، وتفسيرها ، والموضع الذى يحلها فيه ، والمكانة التى يعطيها لها من فكره وعقله ووجدانه ، هذه التى تختلف من مجتمع لمجتمع ، وبيئة لبيئة ، طبقا للحياة العقلية ومدى عمق الوعى الحضارى للأشياء ·· اما أن يكون ما قيل عن أن الزين ضحك حين مولده يمثل حب الأفارقة للحياة ، فهذا تفسير لا يقبله من يزعم أن الزين قيل عنه أنه ضحك حين مولده ليقال أنه اختلف عن الآخرين ، فكل الأطفال يبكون ساعة ميلادهم الا الزين فقد ضحك ، اذن هو شىء مختلف على كيفية من الكيفيات ، قيل هذا عندماكبر وتبين أنه درويش أو عبيط ، لكن البيئة بنت فيه القدسية ، ربما لم يبك ، لكن لذلك دلالة غير نسبية ، فهى ظاهرة تخلف ·· ولأوضح الصورة بأن اقترب من جوهر ما أريد قوله : فلو أن الزين اياه أوجده الطيب صالح فى السويد أو النرويج أو انجلترا ، فكيف سيقف منه المجتمع الانجليزى ، لن يمنحه أكثر من عطفه وبطاقة دخول الى احدى المدارس التى تهتم بالمتخلفين ·· أو مستشفى لمعالجة المعتوهين ·· دون أن يضفى عليه هذه الهالات ·· ان المسألة مسألة المجتمع لا مسألة الظاهرة ·· موقف المجتمع من الظاهرة هو القياس الفعلى لمدى تقدم هذا المجتمع العقلى ·· ولذا فالزين ظاهرة لا تعنى شيئا ، وان المجتمع السودانى هو الذى أعطاها كل شىء ··

والحنين هذا الشيخ الأسطورى ، الذى ينتقل بسرعة أكبر من سرعة الصوت ، وهو الذى يخالف منطق العقل ، فيوجد فى مكانين معا فى آن واحد ، أيضا هذه ظاهرة عادية أن يوجد رجل متنسك كالحنين لكن الذى هو غير عادى ايماننا بكراماته وقدراته الفائقة لكل عقل ، وهنا مرة أخرى نجد المجتمع السودانى ، والعقلية السودانية ، ونفس الشيخ الحنين هذا نلتقى به مرة ثانية

فى بندر شاه ضو البيت اذ يقول سعيد عشا البايتات :

(يا جماعة فى سر عاوز أقوله ليكم · ما قلته لجنس انسان ·· حصل على انتباههم بعد مشقة ، فقال :

« الشتا الفات فىأمشير · الدنيا برد وهبوب بين العشا والفجر · ماتقولوا حلم ، أبدا · شوف عيان زى ما أنا شايفكم هالساعة · وحياة خوتكم ياالخوان ، أنا صاحى والفانوس موقد ، متغطى بتلاتة بطاطين والريح بره تصرخ واى واى واى · الشبابيك مقفولة والباب مقفول · بسم الله الرحمن الرحيم · أعوذ بالله من الشيطان الرجيم · وقف فوق رأسى · قال لى بنهرة «قوم» · شيخنا الحنين اللهم ارضى عنه · وقف الخوف راح منى عاينت له زين · يا هو ذاته ذاته · لابس عبايته وشاله فوق كتفه وأبريقه ال ما يغبانى فى ايده · قال لى قوم ، قلت له على وين يا شيخنا ؟ قال لى امش القلعة · قلت له الخرابات ؟ قال لى ماها خرابات · امش القلعة تلقى قصر · قلت له قصر منو ؟ قال لى قصر بندرشاه · قلت له بندر شاه يبقى منو ؟ قال لى واحد من سلاطين الدنيا الزايلة · زمان زمان كان موجود · كان عنده أملاك وأطيان ما ليها أول ولا آخر · أراضيه كانت الخيل ترمح فيها ما تصل حدها · تمرة وعيشه وقمحه كان يغلبوا فى له · كان عنده ولد واحد وحداشر عبد امش القصر فوق القلعة تلقى باب مفتوح أدخله وامشى لحد ما تدخل ديوان · تلقى بندر شاه وولده ينتظرونك · عندهم أمانة على شانك · لا تسلم عليهم · لا تتكلم معاهم · لا تتلفت يمين ولا شمال · أدخل استلم الامانة وامرق · الحذر ثم الحذر تقول بم ولا بفم · تدخل دار الهلاك وال يكوسك ما يلقاك · الأمانة مال · مالك حلالك · بندر شاه ظن نفسه يرث الأرض ومن عليها · الأرض أرضك وأرض الضعفاء بعدك · قوم قوم ·

يا زول مشيت القلعة لقيت زى ما وصف لى شيخنا الحنين · قصر وين وين انى آمنت بالله منور تقول بابور بحر وحس غناء ورقيص وضحك · مشيت لا أتلفت شمال ولا يمين وزى كان بنات يجرنى لى جاى ولى جاى · الديوان لاشك كان مليان نسوان ، ما اتلفت ولا عاينت لكين الريحة ضاربة محلب وصندل ما تغبانى · لقيتهم الاتنين جالسين جلسة قدرة الله كأنه ملك

ومعاه وزير · الراجل الكبير قال لى « أهلا وسهلا ومرحبا · أهلا بابننا عشا البايتات · اجلس اشرب واطرب » · ما رديت عليه · مديت ايدى وعقلى يحضر ويغيب : الولد الصغير نطق قال « انطق بالكلام · ردعلينا السلام · عليك أمان الله » قربت اتكلم لكين ستر رب العباد · سكت ساكت · الراجل الكبير صفق بايديه · جات بنية زى الحورية · نهدها طالعيادوب ، زى تمرة اللالوب · عريانة جل ، تتقصع وتتقدل ، الكفل زى السحلية ، والبطن زىجنين الشايقية · مسكتنى من شيتى ، وقالت لى هاك هيتى · رقدت وفتحت فخذيها ، شفت البيها وال عليها قالت يا الله يا شاكى تعال وارقد بين أوراكى · تلقى مناك وتنال هنـــاك · آخ آخ يا اخوان من وقدة النيران · شفت بى عينى سكة النجاة وسكة الهلاك · ولولا عناية الله كنت رحت فى ستين داهية وما همانى · اتعوذت فى سرى من الشيطان الرجيم وقلت يا منجى ، ومديت أيدى صم بكم زى ما وصانى شيخنا الحنين· · وقف الولد الصغير وضرب رجله بى زعل ونهر البت مشت فى حال سبيلها · الراجـل الكبير ضحك وقال له لا تغضب يا مريود · دا وارث وطالب حق ، سلمه الامانة وخليه ينصرف بلا شر · الولد سلمنى صرة أخذتها ومرقت زى ما دخلت لا ســـلام ولا كـــلام ولا بفـم · وقت فت لقيت نفســى عند الجامع ، بردان وعرقان أبكى زى الناقة على الفصيل) · (١)

ويخرج سعيد عشا البايتات ليؤذن ذلك الفجر ، ويقبل الناس كما لم يقبلوا من قبل قط (زى كأن البلد كلها اجتمعت فى المسجد عند الفجر · كنت عارف يا اخوان انهم كلهم حضروا لانهم سمعوا الصوت · ناداهم المنـــادى بلسانى · كان فى شى عجيب داك الفجر · أقيمت الصلاة وأنا دموعى نازلة شل شل · الامام قرأ سورة الضحى سمعت بكاء عبد الحفيظ وبعدين سيف الدين وبعـدين محجوب محيميد ، وأنا أبكى معـاهم وأجـرهم وراى ، لحـــد ما كل المصلين بكوا الدمع السخين فى داك الفجر لايش وعلى ايش ؟ ؟ آخ آخ · وكان عند الشباك اليسار راجل غريب ليه علاقة بكل ما جرى ودار ، يختفى ويبين لحد ما الناس قالوا عليكم الســـلام · اختفى ولا خبر ولا أثر

---

(١) بندر شاه ص ٦٤ ـ ٦٧

محيميد المسكين يصرخ بطول الحس ، يقول الشخص الكان هنا راح وين) ٠ (١)

(فى البيت ضويت المصباح قبل ما يبين ضو الصباح ٠ فتحت الصرة لقيت اشكال والوان ٠ كأنها كنوز الملك سليمان ٠ جلت قدرة الله ، قلبتها فى أيدى بدون أى بهجة ولا انشراح كأنى أقلب فى رماد ٠ رميتها فى مكان فى البيت ما ادرى وين ونمت النهار نوم كأنه نوم الاموات ٠ صحيت من النوم وأنا أبكى الدموع الغزار ، ما أعرف لايش وعلى ايش) ٠ (٢)

ونفس المشهد السابق يرويه لنا الراوى من زاوية أخرى ، طبقا لما شاهده شخص آخر فى الرواية هو محيميد ، يقول عن محيميد وصل المسجد فوجده غاصا بالناس ٠ دهش أول وهلة ، وسأل عبد الحفيظ هل ذلك الزحام لان أمرا عظيما حل بالبلد ٠ قال عبد الحفيظ « الله يهدى من يشاء) (٣)

(وفى الركن الايسر تحت النافذة كان يجلس رجل لحضوره أثر ، لم يستطع أن يميزه ، سأل عنه عبد الحفيظ فقال أنه لا يعرفه ، شعر محيميد وهو يتمعن فى الرجل الجالس تحت النافذة بذلك الاحساس القديم عنده ، مزيج من الخوف والترقب والتماسك ٠) (٤)

(وأحس محيميد أنه يغرق ورأى فوق خط الافق الشخص الذى كان جالسا تحت النافذة ، جالسا فى صدر القاعة ، كما كان تلك الليلة ، أسود اللون، أزرق العينين ، ممسكا بخيوط الفوضى مثل شعاع باهر مدمر ٠ كانت ثم ديار عامرة وبيوت كانها قلاع ، وحقول ناضجة الثمار ، وأشجار فينانة وطيور تغنى ٠ كانت الانهار تجرى باللبن والعسل ، وفتيات بارزات النهود ، من كل الاشكال والالوان يرقصن ويغنين ، كانت الريح تولول شرا ونارا ، ونساء ثكالى ، ورجال مقيدون بالاصفاد ووقع السياط على اللحم الحى ٠ وكان بندر

---

(١) بندر شاه ص ٦٧ ـ ٦٨
(١) بندر شاه ص ٦٨
(٣) بندر شاه ص ٥٣
(٤) بندر شاه ص ٥٤

شاه يجلس فى صدر القاعة يسمع ويرى وأصوات تنادى « يا أبانا اغفر لنا وارحمنا » · كانوا اخوة احد عشر ، ارقاء للذى مضى والذى لن يجىء على صورة محددة ، ثاروا ذات يوم وحطموها معا ، فأقفرت الديار وعفت الآثار ، وجاء الجند وقادوهم الى السجن · استيقظ محيميد على صوت عبد الحفيظ وهو يقول له : « استغفر الله · استغفر الله » فوجد نفسه ساجدا يحس بألم فى جبهته ووجهه مبلل بالدموع · استوى راكعا وقال : « السلام عليكم » برعب، فاذا الناس قد فرغوا من صلاتهم وبقى ساجدا وحده · كانوا جميعا ينظرون اليه بدهشة · التفت فورا ناحية النافذة ، حيث كان الرجل الغريب ، فاذا هو ليس هناك · جرى نحوه ولكن لم يكن أحد · صرخ بأعلى صوته « هل رأيتم الرجل الذى كان هنا ؟ » بعضهم قال نعم وبعضهم قال لا ، ولكن احدا منهم لم يره حين خرج) · (١)

وطبيعى أن الحديث هنا يدور حول بندر شاه ، الذى (يروى حمد ود حليمة أن عيسى ود ضو البيت خرج عليهم ذات يوم وكانوا صبية صغارا فى لباس كأنه لباس العيد ولم يكن الوقت عيدا · كان يلبس جلابية جديدة من الحرير وعلى رأسه طاقية حمراء جديدة مشغولة وعمة ناصعة البياض وفى رجليه حذاء أحمر يلمع · ويقول حمد أن هيئة عيسى كانت شاذة حقيقة وسط صبية بينهم العارى والذى لا يلبس غير خرقة حول وسطه ، والمقطع الثياب والمتسخ الثياب ، ظهر لنا غريبا ومضحكا · أول ما رأيته صرخت « بندر شاه » · وأخذنا جميعا نردد « بندر شاه بندر شاه » وطاردناه حتى أدخلناه داره ، ومن يومها ولا أحد يناديه بغير بندر شاه) · (٢)

ونفس الواقعه يوردها الطيب صالح فى قصة الرجل القبرصى ، يقول الروائى فى معرض حلم قابل فيه الطاهر ود الرواسى :

ـ عبد الحفيظ قال انك ما دخلت الجامع فى حياتك أبدا صحيح ؟

---

(١) بندر شاه ص ٥٦

(٢) بندر شاه ص ٣٤

ـ مـــرة واحدة بس دخلت الجامع ، وكان شتاء من الشتوات طويه أو أمشير ، الله أعلم ٠

قلت له :

ـ كان فى أمشير بعد وفتم مريم بالليل ٠

ـ صحيح عرفت كيف ؟

ـ كنت معاكم موجود ٠

ـ وين ما شفتك ذاك الصباح ، مع أن البلد اجتمعت كلها يوم ذاك فى الجامع ٠

ـ كنت عند الشباك اظهر وأبين لحد ما قلتم ولا الضالين آمين ٠

ـ سبحان الله الرجل الغريب ٠٠ محيميد المسكين كان يصرخ ويقول : الراجل الكان هنا راح وين ؟

ـ وبعدين) (١)

كان بندر شاه حين يحضر الى عرس أو الى مأتم يحيط به أبناؤه الاحـد عشر ، وحفيده مريود ، وكان مريود وهو وكيل الجد ونائبه وقائمقامه ٠

وهكذا نلاحظ أن بندر شاه ابن ضو البيت ، هو أيضا غموض ، بل كلمة ضبابية فلا نعلم على وجه التحديد والدقة علاقته بالاحداث وبالاحد عشر ، ومن هم وما دورهم ، وكيف يتصورهم الناس ؟

هذا البندر شاه الذى تحس انه موجود فى كل الاحداث التى أصابت هذه البيئة فى تلك الايام ، هو يحرك الاحداث ، لكنك لا تستطيع متابعته ودوره ، وما علاقته بالصراع الخفى الذى دار بين أبناء الطريفى ومحجوب ، انتهى

---

(١) الثقافة العربيةعدد ٢ سنة ١٩٧٣ ٠

بتخلى محجوب وسيطرة أبناء الطريفى ، والطيب صالح يداخل فى رواياته ولكن كل مرة يعطيها أبعادا تختلف ، وان كانت الظواهر هى هى :

فبندر شاه هذا الذى كان ممسكا بخيوط الفوضى فى رواية ضو البيت نجده فى نسيج الاحداث جميعها وان كان لا يظهر مباشرة ، فمن هو بندر شاه ٠

وبندر شاه هذا تضاربت فيه الاقاويل ، يزعم بعض رواة الاخبار فى فى ود حامد انه كان ملكا نصرانيا من ملوك النوبة ، بسط سلطانه قبلى الى غاية ديار المناصير ، وبحرىالى حدود الريف ، وكانت عاصمته حيث تقوم «ود حامد اليوم» وقد هزمته جيوش العرب ، وفى رواية أخرى ، انه لم يكن نصرانيا ولكنه كان ملكا نوبيا ، غزا ذلك الاقليم بجيش عظيم من الجنود السود من أعالى النيل ، وأقاموا فى ودحامد وماجاورها مملكة سودانية قوية ، ويرجح بعضالمؤرخين أن بندر شاه أمير حبشى يدعى مندرسى بنى على ربوة بلدا أسموها «دبوراس» أى الربوة بلغتهم حسبما تروى الاســـــاطير ، وفى رواية أن الامير هذا مندرسى حارب الحبشة وقتلوه ، وبقى من أصلهم بقايا فى قرية ود حامد وهم مشهورون بوسامة رجالهم ونسائهم ، وفى رواية ، أن بندر شاه كان رجلا أبيض ، ورد على ود حامد من حيث لايعلم أحد ، وسخر عبيده فى زراعة التمباك ، وهو بندر شاه الذى بنى القصر على قمة الربوة ، هذا القصر كما وصف سابقا : وحدثوا أن أعظم متعة عند بندرشاه هذاكان أن يجلس على ذلكالعرش كل ليلة بعد أن يكون قد أكل حتى شبع ، وشرب حتى ثمل ، فيأمر عبيده فيساقون اليه فى اغـــــلال الحديد ، ويأمر جلاديه فيجلدونهم بسياط غليظة ، من جلد عجل البحر ، حتى يغمى عليهم ، وتسيل الدماء من ظهورهم ثم يأمر بهم فيجرون جرا ثم يصفق فتدخل القاعة جوارى عاريات ، يرقصن ويغنين ويضربن بالدف والطنبور ، حتى يأخذ منهالنعاس ، وما أن يتثاءب حتى تخلوالقاعة ويحمله عبيدهالى غرفة نومه، وذكروا أن بندر شاه قضى زمنا على هذه الصفة يسوم عبيده سوء العذاب ، لا لذنب جنوه ، ولكن متعة وتلذذا ، حتى كان ذات ليلة حين ثاروا ثورة رجلواحد وانقضوا عليهفقتلوه ، ثم قطعوه قطعا ، ورموا لحمه فى بئر القصر وأحرقوا

القصر بما فيه ٠ (١)

كل هذا ينقلنا الى اعتقاد واحد ، هو أن بندر شاه شخصية ما استقرت فى لاشعور البيئة التى يحدثنا عنها فى رواياته الطيب صالح وتعاودهم هذه الشخصية على شكل أحلام ٠ لايربطها رابط ، ولا يسوغها مسوغ ، هى أحلام ولا شعور يطفو على السطح مرة بعد مرة وكل مرة يتخذ بعدا مختلفا ومسافات مختلفة والطيب صالح بذكائه يلتقط كل مرة ما يطفو على السطح بدقة ٠

هى موروثات الشعب يصوغ منها أجمل الحكايا ، ويضمنها هذه الروايات الرائعة ذات الطابع المميز ، الغارقة فى الغموض والاسطورية ، والبعد عن التعليل المنطقى ، أحداث تجرى طبقا لمنطق غير منطق الانسان ، منطق الخرافة والاسطورة والحلم التى تجيز كل شىء وتقبل كل شىء ، وتصدق كل شىء دون مناقشة ، هذه مرحلة من مراحل تطور الشعوب مبكرة جدا فى سلم التطور الحضارى والفكرى ٠

وليس المجتمع بالضرورة هو مصدر هذه الغيبية عند الطيب صالح ، فهو بطبيعة الحال يملك قدرة رائعة على النفاذ إلى هذا الجانب من جوانب الحياة ، والفكر والسلوك ، فالرجل القبرصى ، ذلك الرجل الغامض ، الذى كان قوة فعالة ومنقذة ، حتى لعله يرمز الى ملك الموت ، حيث يملك قوته ، فقد لقيه الراوى فى نيقوسيا ودار بينهما حديث عادى أخذ يتطور ، ثم أخذت الاحداث ذاتها تتطور الى اتجاه غير عادى ، وتبدأ حكاية الغموض حين يسأل الراوى الرجل القبرصى :

ـ هل تخدع الموت ؟

ـ ماهو الموت ، شخص يلقاك صدفة ، يجلس معك ، كما تجلس الان ، وينبسط معك فى الحديث ، ربما عن الطقس أو النساء أو أسعار الاسهم فى سوق المال ثم يوصلك بادب الى الباب ، يفتح الباب ويشير اليك أن تخرج بعد ذلك لاتعلم ٠

---

(١) جريدة السياسة الكويتية ٧٦/١/٢٧ (مربود) الطيب صالح ٠

وتروى القصة ظاهرتين افتاتن سقطتا بمجرد أن أشار اليهمـــا الرجل القبرصى باشتهاء . الاولى انشق رأسها على حجر . والاخرى اختنقت بشرابها .

ويهرب الراوى الى بار المقهى . منزعجـــا من جاره الرجل القبرصى ويلحق به هذا . ولكنهذه المرة يمشى على عكازين . زاعما أنه فقد ساقه اليمنىفى الحرب . ويشرب كأسا من الوسكى . ويقف على ساقيه سليمتين .

ويروى لنا الراوى أنه قضى فىسريره ليلة كلها آلام شديدة . حتى الصباح. وسافر الى بيروت . وفى مساء اليوم التالى فى بيروت دق جرس البـاب واذا امرأة متشحة بالســـواد تحمل طفـلا . كانت تبـكى . وأول جملة قالتها : أنا فلسطينية . ابنتى ماتت . وقفت برهة أنظر اليهـا لا أدرى ماذا أقول . لكنها دخلت وجلست وقالت : هل تتركنى أرتاح وأرضع الطفل .

بينما هى تحكى لى قصتها دق جرس الباب . أخذت البرقية . وفتحتها . كانت المرأة الفلســطينية تحكى لى أنباء الفاجعة الكبرى . وأنا مشـغول عنهـا بفجيعتى .

قطعت البحار والقفار . وكنت أريد أن أعلم قبل أى شىء متى مات وكيف مـات !!

وطبقا لما أعلموه . فقد كان قد مات فى ذات اللحظات التى كان يعانى فيها الألم فى فراشه قبل سفره الى بيروت .

وقفت على قبره وقت الضحى . وكان الرجل القبرصى جالسا على حافة القبر فى زيه الرسمى يستمع الى وأنا أدعو وابتهل . قال لى بصوت كأنه ينبع من الأرض والسماء . ويحيط بى من نواحى كافة : لن ترانى على هذه الهيئة الا فى آخر لحظة . حين أفتح لك الباب . وأغنى لك فى أدب وأقول لك تفضل ياصاحب السعادة . سوف ترانى فى أزياء أخرى . مختلفة . قد تلقانى على هيئة فتـاة جميلة . تجيئك وتقول لك أنها معجبة بأفكارك . وآرائك . وتحب أن تعمـل معك مقابلة لصحيفة . أو مجلة . أو على هيئـة رئيس أو حـاكم يعرض عليك وظيفة يخفق لها قلبك . أو على هيئة لعبة من ألاعيب الحياة تعطيك مالا كثيرا . لم تبذل

فيه جهدا . وربما على هيئة جمهـــور ضخم يصفق لك لسبب لاتعرفه وربما ترانى على هيئـــة بنت تصـــغرك بعشـرين عاما . تتشهاها . تقـــول لك نذهب الى كوخ منعزل فى الجبل . احترس . لن يكون أبوك موجودا فى المـرة القادمة ليفديك بروحه . احترس الأجل مسمى . لكنا نأخذ بعين الاعتبار المهرة فى اللعب . احترس فانك الآن تصعد نحو قمة الجبل . ولما تيقنت أنه كان ذلك اليوم فى نيوقوسيا تفاضل بينى وبين أبى . وانه اختار أفضلنا . بكيت الدموع التى ظلت حبيسة طول ذلك العهد . بكيت حتى نسيت الموت والحياة والرجـــل القبرصى . (١)

قصة غامضة غريبة . هى أقرب الى الحلم منها الى الوقائع الممكنة الحصول. بل هى فعلا مجموعة أحلام وكوابيس . وهى منسجمة مع عالم الطيب صالح .. وقدرته على أن يحلم وهو مستيقظ وفى دومة ود حامد يقول لنا الطيب صالح بوضوح ماكان يريد أن يقوله فى جميع كتاباته السابقة أوكاد .. ويضعنا مباشرة فى مواجهة المجتمع السودانى . دون مواربة . ودومة ود حامد . العمـلاقة التى يجتاز ظلها النهر أو يصل الى المقبرة . هذه الدومة الرمز . الدومة السر . حتى أن الشعب المسالم الذى لم يثر على شىء قط . لما سمعوا بأمر قطع الدومة هبوا عن آخرهم » . (٢)

ما من أحد زرعها يا بنى . وهل الأرض التى نبتت فيها أرض زراعية . ألم ترانها حجرية مسطحة مرتفعة ارتفاعا بينا عن ضفة النهر . كأنها قاعدة تمثال . والنهر يتلوى تحتها كأنه ثعبان مقدس من آلهة المصريين القديمة .

ـ لا يا بنى ما من أحد زرعها انها نمت وحدها . (٣)

اجلس الى أهل هذه البلد واسمع اليهم يقصون أحلامهم . يصحو الرجل من نومه فيقص على جاره أنه رأى نفسه فى أرض رملية واسعة . رملها أبيض

(١) الثقافة الربية عدد ٢ سنة ١ اكتوبر ١٩٧١
(٢) دومة ود حامد ص ٣٧
(٣) دومة ود حامد ص ٣٨

كلجين الفضة . مشى فيها . تكاد رجلاه تغوصان فيقتلعهما بصعوبة . ومشى ومشى حتى لحقه الظما . وبلغ منه الجوع والرمل لا ينتهى عند حد . ثم صعد تلا فلما بلغ قمته رأى غابة كثة من الدوم وسطها دومة ، دومة طويلة ، بقية الدوم بالنسبة لها كقطيع من الماعز بينها بعير ، وانحدر الرجل من التل . وبعدها وجد كأن الأرض تنطوى له ، فما هى الا خطوة وخطوة وخطوة حتى وجد نفسه تحت دومة ود حامد . ووجد اناء فيه لبن رغوته معقودة عليه كأنه حلب لساعته . فشرب منها حتى ارتوى ولم ينقص منه شيء . فيقول له جاره « أبشر بالفرج بعد الشدة » .

وتروى المرأة لصاحبتها أنها حلمت أنها سائرة فى مضيق فى البحر . فاذا مددت يدى مسست الشاطىء من كلا الجانبين ورأيت الشاطئين ينسدان على ، وصحت بأعلى صوتى يا ود حامد ونظرت فاذا رجل صبوح الوجه له لحية بيضاء غزيرة قد غطت صدره ، رداؤه ابيض ناصع . وفى يده مسبحة من الكهرمان فوضع يده على جبهتى وقال : لا تخافى . فهدأ روعى . ونظرت فاذا الشاطىء يتسع والماء يسيل هادئا . ووقف القارب تحت الدومة . وخرج منه الرجل قبلى . فربط القارب ، ومد لى يده فأخرجنى . ثم ضربنى برفق بمسبحته على كتفى والتقط من الأرض دومة وضعها فى يدى والتفت فلم أجده . وتقول لها صاحبتها . هذا ود حامد . تمرضينَ مرضا تشرفين فيه على الموت . لكنك تشفين منه . تلزمك الكرامة لود حامد تحت الدومة . (١)

وهكذا يابنى ما من رجل وامرأة أو طفل أو شيخ يحلم فى ليلة الا ويرى دومة ود حامد فى موضع ما بين حلمه ، ويروى له كيف أن الحكومة أرادت أن تقيم محطة للباخرة عند مكان الدومة . وردوا على الموظف ان المكان غير ملائم ، ثم أن يوم أربعاء الذى تقرر فيه وقوف الباخرة هو يوم زيارة دومة ود حامد ، فرد عليهم « اذا غيروا يوم الزيارة . ولو ان ذلك الموظف قال لأولئك الرجال فى تلك اللحظة ان كلا منهم ابن حرام لما أغضبهم كما أغضبتهم عبارته تلك . فهبوا

---

(١) دومة ود حامد ص ٤٠

لتوهم هبة رجل واحد وعصفوا بالرجل وكادوا يفتكون به ٠ (١)

نعم يابنى ، نحن قوم لا نعرف درب المستشفيات فى الأمور الصـــغيرة ، للكدمات والعقارب والحمى والفلك والكسر نلزم الاسرة ، حتى نشـــفى وفى المعضلات نذهب الى الدومة ٠ (٢)

أما من هو ود حامد هذا ؟

حدثنى أبى نقلا عن جدى قال : كان ود حامد فى الزمن السالف مملوكا لرجل فاسق ، وكان من أولياء الله الصـــالحين ، يتكتم ايمانه ، ولا يجرؤ على الصلاة جهارا حتى لا يفتك به سيده الفاسق ، ولما ضاق ذرعا بحياته مع ذلك الفاسق دعا الله أن ينقذه منه ، فهتف به هاتف ، ان افرش مصلاتك على الماء ، فاذا وقعت بك على الشـــاطىء فانزل ، وقعت به المصـــلاة عند موضع الدومة ، الان ، وكان مكانا خرابا ، فأقام الرجل لوحده يصلى نهاره ، فاذا جاء الليل أتاه امرؤ ما بصحاف الطعام ، فيأكل ويواصل العبادة حتى يطلع عليه الفجر ، كان هذا قبل أن تعمر البلد ، وكأنما هذه البلدة بأهلها وسواقيها وعمارها قـد انشقت عنها الأرض ، كذاب من يقول لك أنه يعرف تاريخ نشأتها ، البلاد الأخرى تبدأ صغيرة ثم تكبر ، ولكن بلدنا هذا تقام دفعة واحدة ، أهله لا يزيد عددهـم ولا ينقص ، وهيأته لا تتغير ، ومنذ كانت بلدنا كانت دومة ود حامد ٠ ثم يروى كيف حاولت الدولة قطعها ، وقامت احتجاجات أهـل البـلد ، واعتقلوهم وفى السجن أقاموا مدة ، ثم أثير الأمر فى البرلمان وتحول موضوع دومة ود حامد الى قضية سياسية ٠٠ وكتبت الصحيفة الأولى فى القطر تقول ان دومة ود حامد أصبحت رمزا ليقظة الشعب ٠ (٣)

ويسأل الراوى مضيفه :

وهل تظن أن الدومة ستقطع يوما ما ، فنظر الى مليا وكأنه يريد أن ينقل الى خلال عينيه المتعبتين الباهتتين مالا تقوى على نقله الكلمات ، لن تكون ثمة

---

(٢) نفس المصدر ص ٤٣
(٣) نفس المصدر ص ٤٥
(٣) نفس المصدر ص ٥٠

ضرورة لقطع الدومة . ليس ثمة داع لازالة الضريح الأمر الذى فات على هؤلاء الناس جميعا ان المكان يتسع لكل هذه الأشياء . يتسع للدومة والضريح ومكنة الماء . ومحطة الباخرة .

نعم هذه هى صورة الموقف السودانى من الأشياء . فهو مجتمع كما يظهر من الروايات . لا يخضع للصراع بين القديم والجديد . بل هو يحافظ على القديم ويفسح المجال بحذر للجديد . وهذا الجديد عليه أن يتكيف . حتى يصبح مقبولا لديهم . عليه ارتداء الملابس السودانية . فالحياة السودانية تتسع لكل هـــذه الأشياء تتسع للدومة والضريح . للقديم وكل المعتقدات القديمة . والأســـاطير الشعبية والتراث القومى الكبير . ويتسع لمكنة الماء ومحطة الباخرة رمز الحياة الحديثة . والعلم . والمكان يتســع لأن الســودانى يتقبل هذه وتلك معا . فهمـا يتعايشان وينتفى الصراع بين القديم والجديد .. كما فى البيئات الاخرى .

ما القديم . ما الجديد . كلها أشياء سودانية . تقبل وتبقى . ولكن مالا يقبل هو ما ينافى طبيعتهم . ولا يتكيف معهم . مجتمع يقبل السحر . والخط الصوفى . والأساطير والشعوذات . ويتقبل فكرة الخضوع لسطوة قوى خفية وغيبية . لذا نجد أن معظم أبطال الطيب صالح قد تجردوا من الاختيار فى تحركهم وتحـرك العـالم حولهم . فهم يتحركون أحيـانا بغير تبرير . وبدون أى قصد . وتخلوا روايات الطيب صالح من الصراع لهيمنة القوى الخفية . فهى تحل كل تناقض ولأن المعايشة هى أساس العلاقات فى المجتمع السودانى

ونطرح السؤال الأخير : بم التزم الطيب صالح

والاجابة هى :

« الالتزام عنده ليس هو الالتزام بمعناه الضيق المحدود الذى يقتصر على الجانب السياسى أو الاجتماعى . وانما هو الالتزام بمعناه الأعمق والأعرض . هو المعنى الروحى والحضارى الذى يبحث عن الجـــذور العميقة للشخصية الأفريقية والمقومات الحضارية للانسان الأفريقى الجديد » (١)

---

(١) ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة ـ جلال العشرى ص ٢٥٥

وهذا ما يفسر لنا « محاولة بعث ما فى ، هذا الماضى من فن ودين ، على اعتبار أن هاتين الدعامتين من أهم دعائم الحضارة » (٢)

وتعكس لنا روايات الطيب صالح صورة مكثفة يمكن سحبها على مجتمع قرية تشبثت بحقائقها الخاصة ، ومعتقداتها المميزة مع قبولها للتطورات الجديدة، لكن على أن يكون القديم والجديد معا · "In the same boat"

---

(٢) ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة ـ جلال العشرى ص ٢٥٨

التراث الشفوي في الفن الموسيقي الشرقي

حين توفر لي الحظ منذ مدة أن التقي منير بشير وأمضي معه ومع عوده ، الذي لا ينفصل عنه ، ساعات ثمينة ، أدركت بصورة أفضل ما يمكن للغة موسيقية تراثية وحتى بدائية أن تحتضن من غنى وعمق · فنحن لم نعد أمام موسيقى تعود الناس ، في اطار الحضارة التقنية ، أن ينظروا اليها كضرب من « التسلية » الفردية أو الجماعية ، بل أمام ما هو بأن واحد بحث عن الانسان وتجسيد لأعمق مافيه ·

ان ما يثير لدى الفنان ، أكثر من تقاسيم المقامات التي يؤديها ببراعة مدهشة وسيطرة لا تضاهى ، هي هذه الوقفات ، أثر كل صيغة ميلودية ـ ايقاعية، التي تبدو لي أكثر اكتنازا بالايحاء والدلالات · ولعل هذه الوقفات العديدة الدقيقة تفصح عن أبعاد خفية أصيلة لهذه الموسيقى التي تتحول هنا الى طقس مقدس بل الى تأمل روحي يمحى وراءه العود والفنان ·

هكذا ندرك بشكل حميم لماذا أعادت الحضارات الشفوية ، خاصة في الشرق ، أصول الموسيقى الى ينابيع الهية ووجدت فيها طاقة سحرية خارقة · ولقد عمدت الحضارة الاسلامية ـ وارثة هذه الحضارات القديمة المنسية ، الى خلق نظرية توفيقية SYNTHESE تضع الموسيقى في مقدمة الفنون السامية · وتحدثنا المؤلفات العربية القديمة عن أصول الموسيقى فتقول : كان موسى في صحراء سيناء يحاول الاتصال بالله ، فأتاه الملاك جبريل وقال له « أضرب الصخر بعصاك » · وحين فعل تفجر من الصخر اثنا عشر ينبوعا كل منها يبعث

صوتا مختلف العذوبة والجمال · وهذه الأصوات تشكل المقامات الكلاسيكية الاثنى عشر التى كان كبار « الأنبياء » بموهبة من الله ، يغنون على ايقاعاتها المنوعة : آدم على مقام « الرصد » ، موسى على مقام « عشاق » ، يوسف على مقام « العراق » ، يونس على مقام « ما وراء النهر » ، داوود على مقام « الحسينى » ، ابراهيم على مقام « حجاز » واسماعيل على مقام « نوى » ·

بدءا من هذه الاصول الالهية ترتبط نشأة الموسيقى بقصة الخلق والتكوين · فالنجوم وعناصر الطبيعة تشكل الاطار الحميم لماهية الموسيقى · وهذا ما يفضى بنا الى رؤيا رمزية للكون يصبح بموجبها مبدأ الخلق ، اله الخير واله الشر ـ وكلاهما مرتل أو مغن ـ منتعشين بطاقة الموسيقى التى هى جزء من الله ، الكواكب التى يخضع لها مصير الانسان تلعب هنا دورها أيضا ، فلكل مقام واحد من ابراج الفلك الاثنى عشر · ومن هنا كانت العلاقة بعناصر الطبيعة (الهواء ، النار ، الماء ، التراب) وبالارقام العددية وأحرف الهجاء ، كل ذلك عبر صيغ رمزية صوفية · يقول عبد المؤمن البلخى فى القرن العاشر : « أعلم أن لمقام الرصد طابع النار وبرج الحمل وساعة الزهرة فى الدائرة الثالثة من يوم الجمعة · أما مقام عشاق فله طابع الماء وبرج الجوزاء وساعة عطارد فى الدائرة الثانية من يوم الاربعاء » ·

لا عجب أن نكتشف اذن وراء هذه الرمزية فكرة « المزاجية أو الطبائعية ETHOS » ، التى نعرفها عن الاغريقيين ، مع كافة معادلاتها للشروط المناخية والحالات الجسدية ـ النفسية للانسان · فاذا كان كل مقام ينبع من ويعبر عن صفة فيزيائية كالحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف ، فهو بآن واحد متصل بتحولات النفس المختلفة من فرح وحزن وسكينة · هذه الرؤيا الكونية ـ الالهية للموسيقى تشمل أيضا الآلات الموسيقية نفسها التى يعيدها الوحى التوراتى الى أصول مماثلة : فالله قد منح أولاد قايين الموهبة والقدرة على ابتكار هذه الآلات ، فصنع « لامك » العود ، و « طوبال » الدف أو الطبل ، و « دلال » (بنت نوح ؟) المعزف ، وقبيلة « لوط » للطنبور ·

هل يهم بعد هذا أن تعبر الموسيقى عن نفسها بصورة منوعة متمايزة عبر

تاريخ الشعوب المختلفة ؟ أليس الامر كذلك على صعيد اللغة ، واللباس ، وانماط الحياة ·· التى لا تبدل من كون الانسان واحدا فى كل مكان وعبر كل العصور ؟ وهل هناك حقا من خلاف جوهرى بين نشيد الحداء الذى يترنم به البدوى فى الصحراء والسمفونية التى تستغل أركسترا الغرب فى تقديمها كل طاقاتها وامكاناتها الواسعة ؟ أليست الظاهرتان وجهين لفن واحد ؟ وحالة النشوة والطرب التى يحدثها فى نفس البدوى ذلك الحداء الميلودى ، ذو المظهر الفقير الرتيب ، هل هى حقا ، فى سلم الأصالة والقوة ، فى مرتبة أدنى من حالة الاثارة التى نعانيها باستماعنا للموسيقى الكلاسيكية العظيمة ؟

لعل فى هذا سر الالتباس الكبير الناجم عن الرغبة المطلقة باقامة مقارنات تقييمية بين الموسيقى العربية والغربية تنطلق من قواعد واحدة وتعتمد مقاييس نوعية واحدة · لكننا ننسى بهذا ، كشرط أولى لكل محاولة تحليلية للموسيقى التراثية ، اننا أمام لغة موسيقية خاصة لا تحتمل المقارنة مع أصول وتعبيرات الموسيقى الغربية فى اطار التطور الذى وصلت اليه هذه الأخيرة ·

اذا استخدمنا رسما مبسطا للمقارنة أمكننا أن نتصور لغة الموسيقى الشرقية ، وخاصة العربية الاسلامية منها ، وكأنها تتشكل وفق جمالية ذات خط أفقى يرتسم من تتابع أصوات متوالية ووقفات مترابطة عموما وصيغ ميلودية تتموضع وتتراكب فوق بعضها البعض دون أن تتحد الا نادرا وبصورة منعزلة · أما لغة الموسيقى الأوروبية فهى خاضعة أساسيا ، حتى فى الأعمال « الكونترابوتتيةCONTRAPUNTIQUES» ، الى مستلزمات السماع العامودى · وبتعبير آخر ، فيما تستند الموسيقى الشرقية الى أساس من الجناس الصوتى البسيط HOMOPHONIE ، تعتمد الموسيقى الغربية على جناس صوتى تعددى مركب POLYPHONIE ، وبنية ائتلافية HARMONIE · هذا يتيح لنا أن نتعرف على مصدر الزخرفة الميلودية ، البسيطة التجانس ، والقائمة على سلسلة من التطريز والنمنمات النغمية التى لا يجيدها سوى الفنانين الشرقيين والتى تحتل فى الموسيقى المكان الذى تشغله الزخرفة ARABESQUE فى الفن التشكيلى · ان النظام الايقاعى والميلودى غنى هنا بتعدد الصيغ وتنوعها ، لكنه

يجهل تماما نظام الماجور والمينور الغربى · فالموسيقى العربية تملك ما يزيد على مائة مقام كلاسيكى ـ والمؤلفات الموسيقية القديمة تشير الى وجود أربعمائة ـ وهذه المقامات هى النمـاذج الميلودية ـ الايقاعية التى تحتضـن وتحـافظ على تراثات موسيقية عريقة ·

هناك نتيجة أخرى لهذه الجهود المركزة حول الميلوديا ، تتمثل بالانصباب على تحليل وتشريح الامكانات المتوفرة فى سلم الأصوات وعلاقاتها ، واستثمار

هذه الامكانات الى أقصى الحـدود · من هنا كانت هـذه الوقفات الدقيقة البارعة التى تعـادل ربع درجـة TON أو ثلاثة ارباع ، فيما لا يعرف السـلم الغربى سوى درجة TON ونصف الدرجـة · وحيث نرى أن التييرس مينور TIERLE MINEURE TEMPEREEالغربية لا تتضمن الا ثلاث فواصل يعادل كل منها نصف درجة ، تحتوى التييرس العربية على ست فواصل ·

خاصة أخرى لابد من التعرف عليها لفهم العبقرية الخاصة لهذا الفن · فهو ينتمى اصلا الى عصر الحضارات الشفوية (غير المكتوبة) ويحـافظ على نفسه بفضل تراث شفوى يمكن اعتباره ، حسب اختلاف المفاهيم ، عنصر افقار أو على العكس ينبوعا من الحيـاة والنقاء الأصـيل · هكـذا ندرك كيف ان الاصطلاحات التدوينية الغربية (النوتة) التى استعارتها الموسيقى الشرقية فى العصر الحديث لا تستطيع حتى الان أن تعكس لنا سوى ظلا باهتا للوحة فنيـة يفتقر الى ما فيها من حياة وما يفجر الفنان فى طياتها من قوة وموهبة ·

فى هذا الاطار ، تظل الموسيقى العربية خلقا دائما متجددا ، تتضافر فيه حساسية الفنان وموهبته ، عبر اتصالهما بالحاضر ، لاحياء وانعاش التراثات العريقة التى يستقى من ينابيعها · كأنه بذلك يعمل على انقاذها من خطر النسيان وقدرية المصير الذى يهدد كل التراثات الشفوية التى هى ، بطبيعتها ، هشـة وعرضة للزوال ربما كان هذا مصدر الكآبة واليأس العميق الذى يغلف المقامات القديمة كما يرشح من أعماق القصائد والأناشيد الشعبية التراثية · ولعل هـذا الطابع هو أيضا صورة التوتر والآلام الطويلة للانسان فوق أرض الشرق التى

يبدو مصيرها ، عبر الماضى والحاضر القريب ، وكأنه مرسوم بخاتم العذاب والتمزق والحنين الأبدى · غير ان الكآبة الشرقية تنبع بالاساس من فلسفة أصيلة للحياة ، ولذا نجد أن هذا الحنين بالذات ، يعبر عن نفسه فى صيغة من الهدوء والسكينة ·

ان أفضل مثال على هذا الفن الشرقى قد أعطى لنا فى موسيقى العود التى تعتمد بالدرجة الاولى على البداهة والارتجال ، وفى هذه التقاسيم التى تشكل من التنويعات VARIATIONS تعيدنا الى المنابع الكلاسيكية لموسيقى القرون الوسطى حيث كان الشرق ، دون جدال ، معلما لأوروبا · ولعل أصداء من هذه الموسيقى قد وصلتنا من قبل عبر رباعيات الخيام الخالدة :

« أنصت الى الأنغام تهب من أعواد العاشقين ، تلك مزامير داوود الاصيلة· دعك مما مضى ومما سيأتى ، واقتنص اللحظة التى أنت فيها : ذاك سر السلام » ·

مما يثير بالفعل هو أن نتصور أن هذا الصندوق المتواضع البسيط ، بأوتاره الخمسة أو الستة المزدوجة ، يمكن أن يصلنا بأرفع المراتب الحضارية السالفة ، ويمثل أمامنا الآن « الجد القديم » لعدد كبير من آلاتنا الوترية الحديثة الرائعة · وربما كان فى لفظة « عود » ما يشير الى أصل أكثر عراقة فى تاريخ الفن الاسلامى · فلعله اشتقاق من القضيب ـ أساس « القوس الموسيقى » الذى عرفته الانسانية فى الخلجات الأولى لتعبيراتها الموسيقية · ولقد كان ، على كل حال ، واحدة من الآلات الموسيقية المفضلة عند السومريين والبابليين والآشوريين، وقد ورد ذكره فى التوراة ، كما نجده بين مجموعة الآلات الموسيقية فى الصين فى عهد سلالة « هان » حوالى عام ٢٠٦ قبل الميلاد · ونحن نعرف كيف أصبح فيما بعد الآلة النبيلة فى اطار الموسيقى العربية الاسلامية الكلاسيكية ، حيث بلغ أوج ازدهاره فى عصر الخلفاء العباسيين · ففى أكثر من صفحة فى رائعة ألف ليلة وليلة ، التى تدور حوادثها فى بغداد بين القرن التاسع والعاشر تتردد أصداء نبراته السحرية · فلا عجب اذن أن نجد مؤسسى مدرسة العود البغدادية ابراهيم الموصلى وخاصة ولده اسحاق ، بين الشخصيات الكبيرة المتمتعة

بالاعجاب والتقدير · ويكفى أن نذكر ما قاله الخليفة الواثق عن المعلم اسحاق بعد أن تقدم به العمر وأثقلت قواه الشيخوخة : « والله هذه نعمة من نعم الملك ، ولو كان الشباب والعافية يعطيان بالمال لاشتريتهما له بنصف مملكتى » · ثم ما قاله المتوكل يوم وفاته : « لقد توارى اليوم نصيب كبير من حسن الخلافة ونضارتها » ·

ولقد كان اشعاع « معلم بغداد » من الكثافة والسعة أن أحد تلامذته الموهوبين « زرياب » قد حمل فن العود الى أقاصى الامبراطورية الاسلامية فى أسبانيا ، ذلك الفنالذى كان فيهذا الأخير ، مع معلمه اسحاق ، أكبر الضاربين والمبدعين · بعد أن أستقر زرياب حوالى عام ٨٢٢ م فى قرطبة ، وكانت آنذاك مركز حضارة رائعة ، أصبحت هذه المدينة قبلة الهواة والمهتمين بالشعر والموسيقى ، ومشتلا خصيبا لنمو فن عربى أندلسى · وليس هناك من شك أن هذا الفن قد أثر بشكل عميق فى ولادة الفنون الموسيقية الأولية فى أوروبا كما تبدو لنا عبر أولى أغانى « الرومانس » فى أسبانيا وجنوبى فرنسا ، كما ترك أثره أيضا فى تطور الأناشيد الدينية · فباستطاعتنا أن نتعرف حتى اليوم ، فى بنية هذه الموسيقى ، على طرائق وأساليب تعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة صيغ الموسيقى الشرقية · ألا يكفى أن نشير الى الأهمية التى كانت تتمتع بها فى الموسيقى الأوروبية ، الانشادية والآلية ، قبل العصر الحديث خاصة ، هذه النمنمات والتنميقات التى كانت تأخذ أشكالا مختلفة من الزخرفة والتطريز الموسيقى والتى نجد آثارها أيضا فى الغناء الغريغورى ؟ ثم ماذا نقول عن المكانة الممتازة التى احتلها العود ، بعد أن اتخذ تسمية « لوت Luth » ، فى زمن سيباستيان باخ ؟ فمن تلك الآلة بالذات ولدت كل هذه العائلة من الآلات الوترية الخطيرة الأهمية فى موسيقانا المعاصرة · من منا لا يحس بهذه القرابة بين العود الشرقى واحدى الآلات الصاعدة الأهمية فى الوقت الراهن ، وهى الغيتار الأسبانى ؟ لا ننسى بالمناسبة أن « القيثارة » هو أحد الاسماء القديمة للعود ·

سيمون جارجي - جنيف

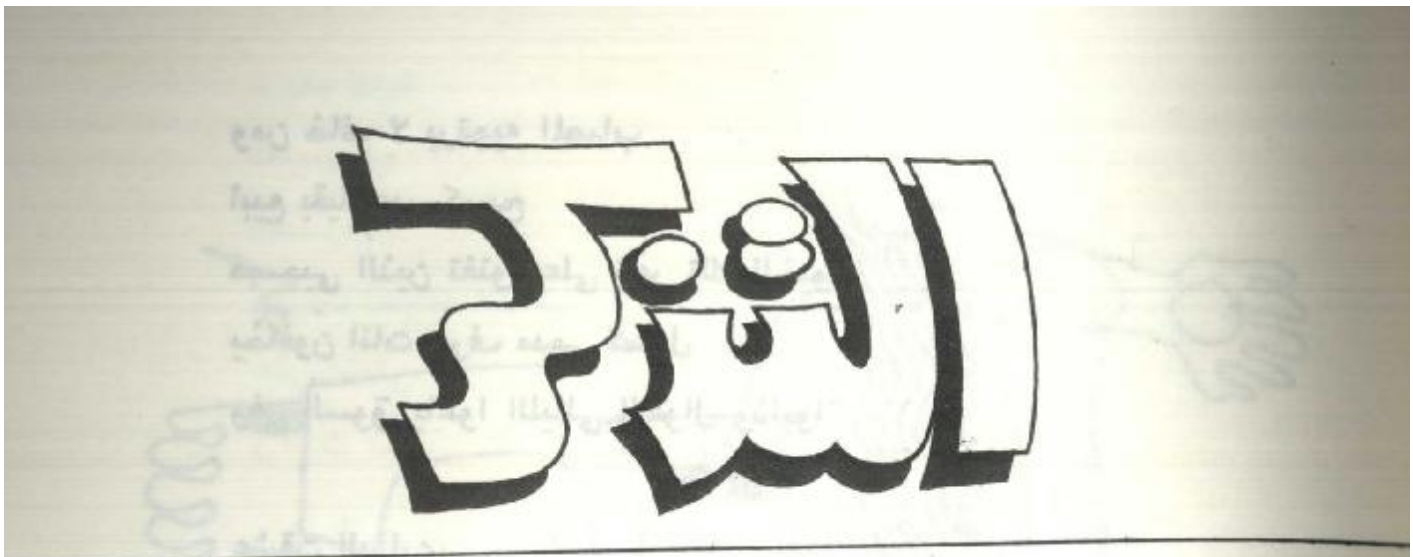

فيصل السعد

انام ، وحلمى ،
يدثره فى المنام التراب
ويركلنى الوهم ، أصحو وأدرك ،
أن شرودى هروب ، وصحوى اغتراب
تعالوا فان التلون كهفى
ولون النفاق دثارى
تعالوا لابكى على كتفكم
وخلوا حروفى تعاتب سيفى
فأنتم عذابى اللذيذ الذى تحت جلدى
وكتف الاحبة ذاك المضمخ بالحزن دارى :
ـ أنا من تعالت عليه الرمال التى كان فيها جريح
وعافته راياته والصحارى
وطلقه بالثلاث السحاب
ولم يبق لى غير حرفى الذبيح
خذوه يتيما
تبنوه ان شئتم ،
لاتهابوا
أنين المسيح

ومن خاف لا يرتجيه المصاب
أبيع بقية عمر كسيح
فصحبى الذين تغنوا على ظهر تلك الخيول
يخافون أنات حرف مدمى كسول
وفى السوق باعوا الليالى الطوال وذابوا

■■

عشقت البرارى
وفى غربة الطفل عن مهده ،
كفـــــرت
ومزقت ذاتى التى مزقتنى
وبعت سوارى
لان الديار التى كنت فيها خراب
تعودت أن اغلق الباب دونى
لان طلاقى لنصف من العمر ،
ـ كان حبيبى ـ عذاب
وجائتنى فى الحلم غيمات ذاك السحاب
وقالت :
ـ لماذا البكاء ؟
فأدمعت العين أنّت :
ـ غياب
تمنيت موتا على حفنة من تراب
وفى صدرى المغلق الان يغفو حنينى
فأدرب فى غربتى من سنينى
ويأتى مع الليل صوت السماء :
ـ لماذا تخاف الطيوف
أتخجل من لمعة فارقتها السيوف
وتغفو لتنسى
فماذا اذا الصبح جاء ؟

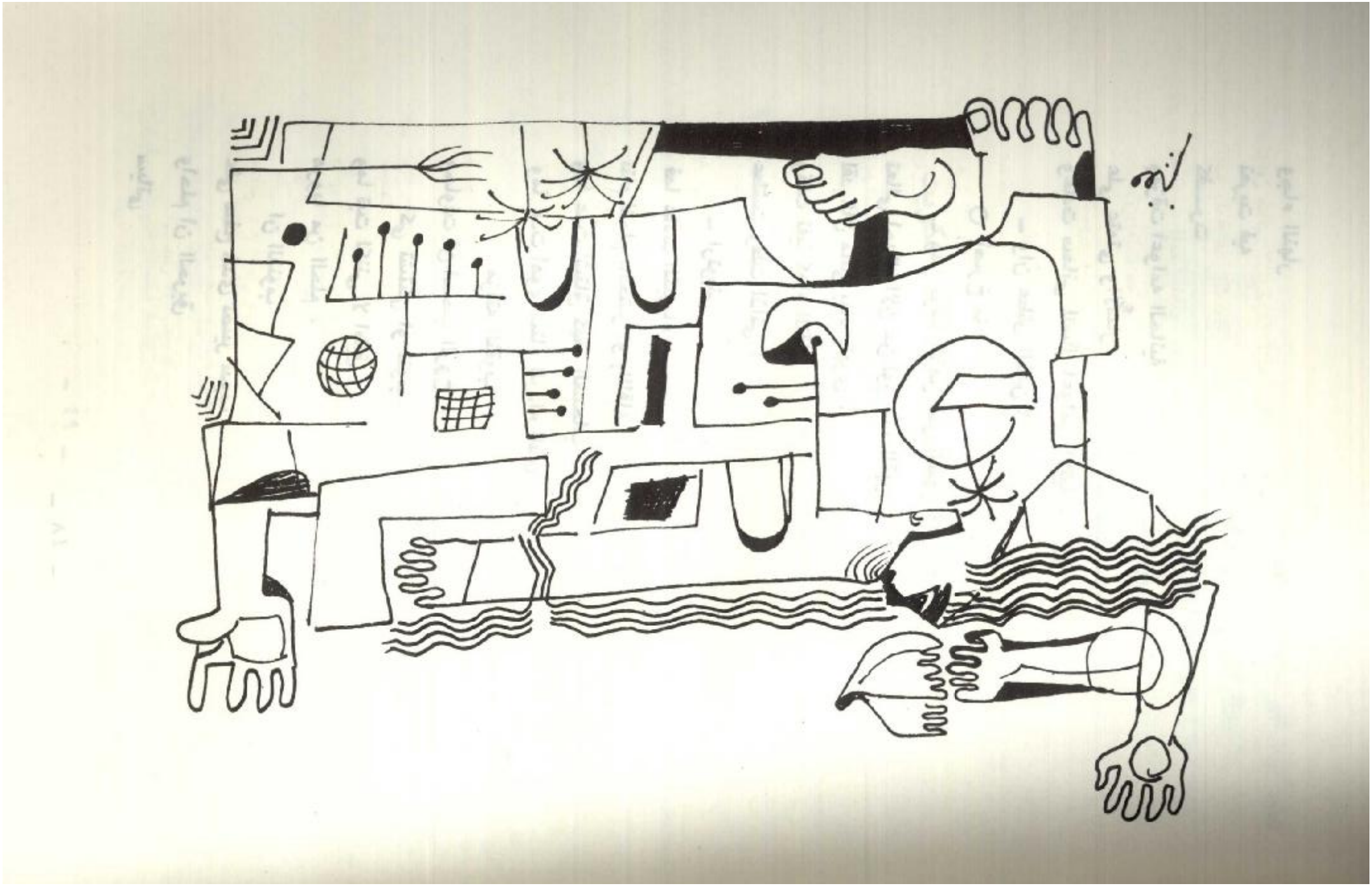

وجاء النهار
تعريت فيه
كفـــرت
ومزقت أعوامه الحانية
على عتمتى والأسار
وعادت سمائى لتسأل أعوامى الآتية :
- وان عطش الذهن ؟
○ أصرخ ماء
- ومن يوقظ الذهن غير السهر ؟
تعالى أحدثك الآن عن لون هذا القهر
لقد كان مائى ينام بنهرى ،
وكنت نقيا كماء النقاء
عطشت وقلت لذاتى :
- ارتوينى
فما عادت الكبرياء
تنام لتحلم بالحشر أو باللقاء
وما عدت أشتاق كهف الصحاب
وما عدت أهوى شتاء الرداء الذى
مزقته الثقوب
وحاولت أن أسحب الروح ،
كى تشتكى أو تتوب
وما تبت لكننى لا أطيق
هروبا من الحلم ،
ان الذنوب
على سفح خدى تصير ندوب
وأحلم أن الحريق
سيأتى

تمنيت موتا على حفنة من تراب

.... ـت موتا على حفنة من تراب

.... على حفنـة من تراب

.... ـنة من تراب

..... تـــــــراب

تـــــــراب

تـــــــراب

فيصل السعد ـ الكويت

المغني والأميرة

قصة : عبدالله خليفة

ـ ١ ـ

قال الملك لوزيره بسرور :

ـ بحثت لدى الأطباء عن دواء فلم أجـــد ، واكتشفت أخيرا أن النفس لا تعالج بالامصال والابر ٠

رد الوزير باهتمام :

ـ يا صاحب الجلالة ٠ ولكن ما هذا الدواء الذى سوف يشفى أميرتنـــا المحبوبة بعد أن أعيتنا الحيل ؟

رأى الملك وجه وزيره الملىء بالشـــحم ينتفض عن شرارات من حب الاستطلاع والحسد والاعجاب ٠ سكت قليلا ثم أردف :

ـ انه مغن فقير سمعته مصادفة ٠ كنت أتجول متخفيا مع بعض الاصحاب بين أزقة مدينتنا ، فرأيت رجلا يطرد من حانة ومعه عوده ٠ وسمعت صيحات الرجل تنبعث من هذه الحانة الحقيرة تتوعد هذا المغنى بالويل اذا جاء مرة أخرى٠ أوقفت الرجل وطلبت منه أن يعزف لى ٠ افهمته أنى محب كبير للغناء والموسيقى ويعز على أن لا أسمعه ٠ لم يتحدث الرجل بشىء ٠ لم يقل «لا» ٠ لم يهز رأسه أو يؤشر بيده ٠ فقط تناول عوده وتربع على مرتفع صخرى صغير ، وحينئذ راحت الاوتار تحدثنى ٠ سمعتها تحكى حكاية ٠ جاء المغنى فقيرا من الاكواخ ، وطاف بالمدينة فلفظته قصورها ورفضته حاناتها ، لكن الحانه غنت فى القلوب ،

فتكلم الحجر ، ورقصت الينابيع ، والافاعى الســـامة اختفت فى مخابئها . والناس تحولوا الى فراشات زاهية وطيور .

وقد جعلتنى ألحانه أتساءل : لم ظلمت الناس كل هذا الظلم ؟ لم هـذا البؤس الذى يعيش فيه الشعب ؟ لماذا لا نعيش أسرة واحدة ؟ !

طافت هذه الخواطر بذهنى لحظة العزف لكنى خنقتها بعد ذلك . والفكرة الذهبية التى راودتنى هى أن هذا الانسان يستطيع شفاء ابنتى .

استمع الآخر الى الحكاية بشىء من الدهشـــة والسخرية ، وقال فى نفسه « ياللافكار الغريبة التى تراود أهم رأس فى المملكة » .

وقال بصوت مسموع :

ـ ان الفن يا سيدى له سلطان عظيم على النفوس ..

ولم يهتم الملك بملاحظة وزيره ، ويبدو انه لم يسمعها لأنه واصل قوله :

ـ سوف ندع هذا المغنى يعزف لأميرتنا الصغيرة حتى تتلاشى كآبتها وتنطلق الى سماوات الفرح . انها تشكو من الصمت وعدم الزواج . سوف يجعلها هذا المغنى أغنية حب رائعة . أطيافا جميلة تطوف بعوالم المملكة .

استغرب الوزير هذا التفكير ، وهذه الالفاظ ، وظن أن الملك قد أصابه جنون شاعرى ، فقال وعيناه تلمعان بالشفقة :

ـ نرجو لها الشفاء ولكل المرضى .

ـ ٢ ـ

لم يصدق عيناه . أهو يدخل هـــذه الحديقة الملكية أهو يقابل الأميرة الصامتة أبدا ؟

تساءل بهذا لكنه حين دخل الحديقة رأى الأزهار خاملة مصفرة ، والماء لا ينطلق بحرية وارتياح ، حتى بلابلها شاحبة التغريد ، كأنها تغنى برواتب لا تدفع الا بعد سلسلة من المشاكل .

وحين رأى الأميرة تأكد أن هذا القصـــر مصاب بمرض عميق الجذور · فوجه الفتاة كان شاحبا ، ويبدو أن ملاك الموت هو جليسها الوحيد ·

لم تلتفت اليه لم تحرك عينيها · لم تحرك أصابعها · بدت تمثالا يحرس الحديقة من الطيور ·

جلس ليس بعيدا عنها ، وراح يعزف ويغنى من الاعماق ، كانت الاغنية عن امرأة دافئة العينين ، بريئة كالطفل ، أحبت غجريا · تركت أهلها ، تركت بلدتها ، وسارت وراءه ووجدوها فى الصحراء شجرة خضراء مزهرة ·

البلابل حين سمعت الغناء راحت ترقص بنشوة ، أما الازهار فقد تطاولت برؤوسها وراحت ترهف السمع للأصوات · واندفع الماء بجرأة فى الجـــدول ومضى يتنفس بحرية ويزفر آهات حرى ·

وفوجىء المغنى بجمود الأميرة · لم تغير موقفها · وانتبه اليها فوجدها فتاة بلا جمال ، نظراتها مستقرة كأنها عمياء ·

وقبل أن يخرج حركت عينيها نحوه غير أنه مضى ولم ينتبه ·

وفى اليوم التالى عزم أن يجعل الأزهار تغنى معه · انبعثت الموســـيقى هادئة ، بطيئة كالموج فى بحر بلا رياح · كأغنية طفل يسير بمهل وسرور فى الزقاق · ثم جاءت من بعيد شرارة ضئيلة ، وما لبثت أن ضاعت فى زخـــم الليل المدلهم · وواصلت الموسيقى الهادئة نسجها · أم تغنى لطفلهـــا الذى لا يريد أن ينام · حمامة تهدل لوليفها الحاضر · وبغته جاءت الشرارة ثانية ولم تنطفىء ، تسربت الى الظلمة ، اندلعت شرارات أخرى ، انفجرت صاعدة عنيفة ، انتشرت صواعق عنيفة أخرى ، نيران ، نيران ، لا ظلمة ، لا هدوء ، احترق الطفل ، وبكت الأم طويلا ، والحمامة بلا وليف · النار ، الدخـــان ، الموت ، النور ، الآلام ، كلها غطت الكون · ولكن من قلب هذه النار انطفأت شرارة ·· من بعيد جاء صوت مرح · وما لبث البحر أن هدأ · والأم ولدت مرة أخرى · وطارت الحمامة لسربها · ولكن العنف كان مستمرا ، والصخب عربة تجرى فى الأفق ·

حين انتهى العزف ظلت الفتاة تحدق بالشمس التى كانت تبتسم خلف الاشجار · وفجـــأة تحـــركت شفتاها ولم تنطق · طالعت المغنى لحظة ثم ابتسمت · وحين ابتسمت انبعثت أغنية عن طفل أضاع بيته · بحث طويلا فلم يزدد الا ضياعا · وعندما رأته احدى النجوم تصدع قلبها حزنا ، ونزلت الى الارض وقادته الى منزله ·

ـ ٣ ـ

البلبل سكن القصر · تبدلت ملابسه ، وتغير أكله وكلماته والفتاة أيضا تغيرت ، فالابتسامة عرفت وجهها لأول مرة ، ولم يلبث الاهتمام بالمغنى أن استيقظ فتولدت الدهشة والرعشة ·

المغنى غادر الأزقة وجحور العامة المظلمة وعرف الديبـــاج والحرير واللؤلؤ والصدور السمراء والبيضاء الناصعة ·

وفجأة حينما صحى ذات صباح ، وجد أنه لا يستطيع أن يغنى · أما أصابعه فقد عجزت عن التلاعب بالأوتار ·

جلس فى غرفته حزينا مقطبا ولم يخرج للقاء أحد · حتى الأميرة حينما دعته للمجىء اعتذر عن الحضور ·

ولما جاء النهار دخلت شلة من الحرس ، وأمسكته بعنف · وألقته خارج القصر · لم يجد معه ســـوى عوده · وهنا أحس أنه افتقد انسانا عزيزا · انبعثت من صدره زفرات وأحزان ·

وتخيل الحديقة الجميلة التى غادرها · الفتاة · الأزهار · البلابل · المياه · لن يرى أصدقاءه مرة أخرى فما أصعب الحياة ·

ـ ٤ ـ

طاف المغنى حول القصر فأشبعه الحراس ضربا حتى أنه لم يفكر ثانية فى الاقتراب من الاسوار · وجر قدميه نحو الازقة والحانات وأعماق المدينة · وعاد المتشرد الى مهنته الحقيقية · أهل السلطان حينما يحتاجون اليك يقدمون

كل شيء ، حتى تتقيأ كلما تعرفه وتعانيه ، وبعدئذ يلقون بك كالليمونة المعتصرة تماما ٠

فى احدى المجالس تحركت حنجرته ولانت أصابعه ٠ وغـــدا كل كيانه يهتز ٠ وكان كل شيء يدور حول امرأة ليست جميلة ، ولكنها ليست قبيحة أيضا ، بيضاء كالزهرة تضحك من قلبها ، وصوتها أنشودة ، وعيناها كنبعين صافيين يشفيان الصدور ٠ هذه المرأة أحبها رجل فقير ، جاذبته الحب ، وحين تسلل اليها ذات ليلة هجم عليه وحش ٠ وضعه أبوها لحراستها ، وافترسه ٠

قال الملك متسائلا بغضب :

ـ هل قبضتم على الشحاذ العازف ؟

أجاب الوزير بوداعة :

ـ نعم يا سيدى ٠

ـ وهل شنقتموه ؟

هز الوزير رأسه مستغربا :

ـ سيدى ان هذا الرجل هو الذى أنقذ مولاتنـــا الصغيرة وأعاد اليها الصحة ٠ انه ليس متشردا آخرا ٠

ـ أنقذ مولاتنا ! ! أأنت جاد يا صاحب السعادة ان هذا الرجـــل قـد فضحنا ، وكشف حياتنا الملكية للعالم ٠ ألم تسمع أغنيته التى يصفنى فيهـا بأنى عجوز ساحر عذبت الشعب ألا ترى كيف تتسرب أغانيه الى القلوب دون أن نتمكن حتى من تحصيل الضرائب عليها ؟

ـ وهل نشنق هذا الرجل تماما ؟

ضحك الملك بسعادة ، ثم قال بلهجة هازئة :

ـ تماما يا عزيزى ٠ الشنق حتى تكسر رقبته ٠ لا أريد أمثال هـــذه الحشرات فى مملكتى ٠

قام وتطلع من النـــافذة · رأى حقولا خضراء كالآمال السعيدة · ولكنه تشاءم لرؤية مجموعة من الغربان على شجرة قريبة · راحت تنعق وتنعق · طار أحدها واقترب من النافذة وهتف « ستموت أيها الملك وستحرق مملكتك » · أغلق النافذة بغضب ثم قال وهو يفرقع أصابعه :

ـ لقد سمعت أغانيه · ان كثيرا منها حول ابنتى العذراء الطاهرة · انها كلمات فاحشة فى الحب والغزل ·

ابتسم الوزير رغم تجهم الملك وقال :

ـ ولكن هذه الكلمات ، يا سيدى ، هى التى أظهرت للعالم صورة أميرتنا المشرقة ثم هل جمعك لهما مصادفة أم تخطيط وتدبير ؟!

ضحك الملك مجددا ، ونسى الغربان السود ، وأدرك أن الوزير قد فهمه الآن ، وسبر غوره · فقال بتواضع :

ـ هذا بعض ما لدينا من فهم وتدبير ·

ومضى الوزير فى حديثه :

ـ وفى هذه الايام تعيش مملكتنا أفراحا بهيجة فها هى أميرتنا المحبوبة تزف الى زوجها الشاب ، فهل تكدر الرعية بقتل هذا المغنى الا نؤجل هذا العمل الى مناسبة أخرى ·

لكن الملك لم يتزحزح :

ـ نعم نقتله فى هـــذه الأيام · لن ندعه ينشد أغانيه المريرة عن حب الأميرة · ألا تدرك أن أغانيه تهيج الناس وتجعلهم يحلمون بالمساواة وغيرها من الأمور الشريرة ان الشعب مشغول هـــذه الآونة بالسكر والولائم التى نقيمها · وعندما يصحو من الصعب أن نقتل هذا الرجل · انها فرصة جيدة ·

فى الفجر ، وحين هبت نسمات باردة من الشمال ، وخفتت أصـــوات العرس ، ونام السكارى على الارصفة ، أقتيد المغنى خارج المدينة وشنق ·

آمال الزهاوي

اميل عليكم خذونى
أشير اليكم خرجت
فان لم تمدوا اليدين
بعدت عن الجرف حتى استدرت
أشير اليكم
أنا أخرج الان لؤلؤة من محار
اشير اليكم
أنا أخرج الان من جسدى
فهل تمسكون بمعنى الذى يخرج الان من جسد الماء
نقيا ... وحيدا
فلا الارض فيه استطالت
ولا هو فيها استطال
وذاك السعير الذى يربط القلب بالقلب
ظل دليلى
توثبت فيه
وناضلت فيه
فهزوه .. هزوه حتى التذكر
كى يتقد الجمر بالحب

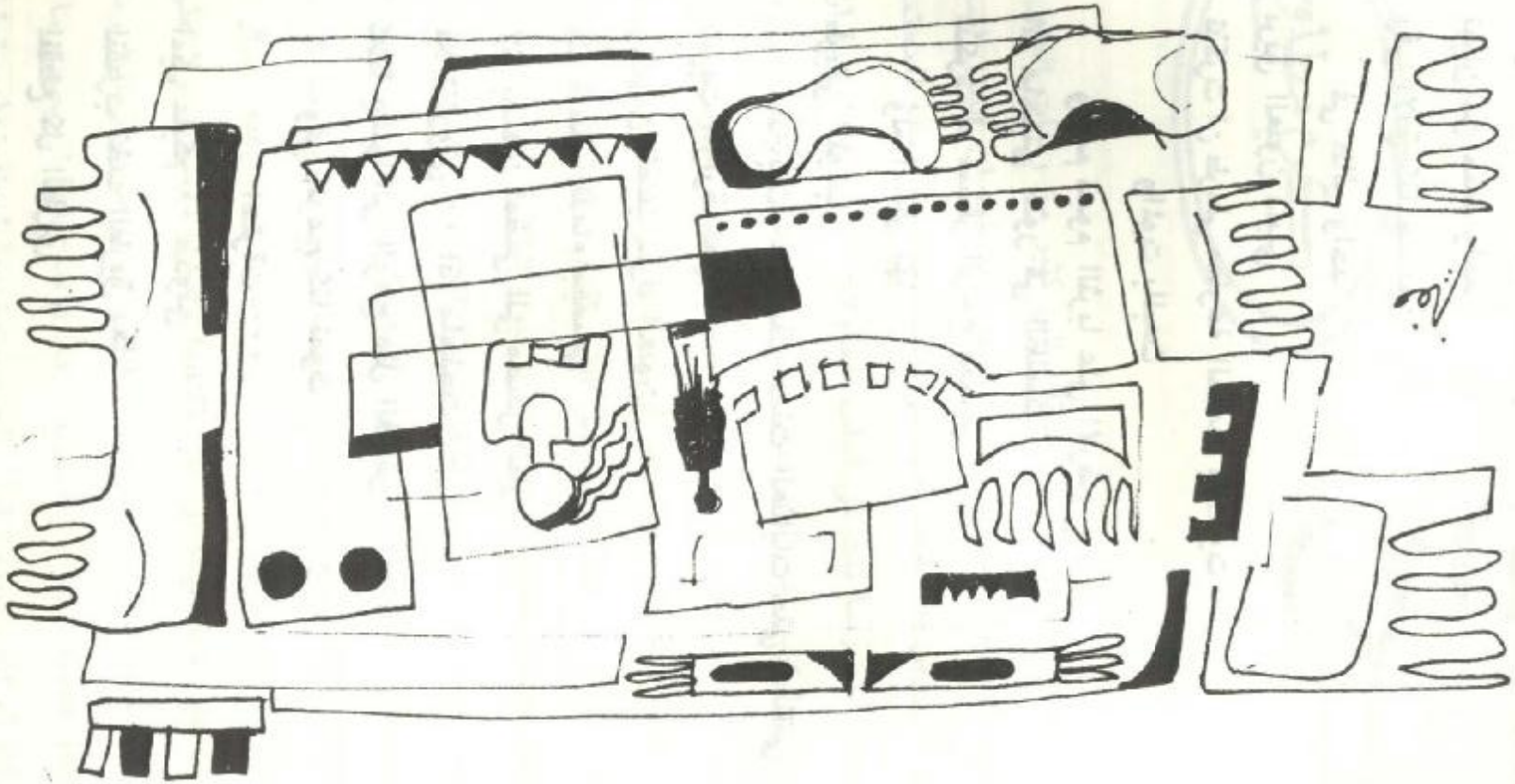

ويشتعل الدم فى الوطن العربى

على الدرب كنا يدين

تهبان من جسد واحد

وفى الافق كنا جناحين

فى طائر واحد

بريق العيون دليلى

تذكرت أن طريقى مقارعة الصمت بالصوت

والموت بالبعث

ورسم نجوم الثريا على الارض

أنا هاجسى النور فى الظلمات

تذكرت لم تستقر الرياح بجسمى

ولم أستقر بها

طريقى التوثب

أنا بنت العواصف أدمنت العذابات حتى أدمنتنى

شربت المرارة خمرا

وتشرين ينصب شرك العيون

فلم تستقر الدماء بجسمى

لانا بصفين نمضى الى مصدر النار

فلا تنكرونى ·· اذا ماجنحت

كلانا يسير الى الوهج مثل الفراش

وفى الوهج كنا نموت

احترقت ···

أميل عليكم ·· خذونى

لنشرب نخب الطريق معا

لنقطع كل الطريق ··

فلن أخرج الان من جسدى ·

آمال الزهاوى

بغداد

المجتمع والمسرح *

كرم مطاوع

نحن فى العالم العربى بالذات نحتاج الى كثير من وقفات التأمل ودراسة المسرح كظاهرة اجتماعية وبالذات بعد أن أثبت تاريخنا أن الغزو المسرحى أو الغزو الثقافى الاوروبى بدأ يلعب دورا فى تأكيد وجوده بالنسبة للمجتمعات العربية ، وبمعنى آخر ربما ثبت فى أغلب المحاولات المسرحية العربية أن المسرح بالمفهوم الأوروبى الغربى هو الذى يكاد يسود فى أذهان الفنانين سواء أكانوا كتابا مسرحيين أم مخرجين ، أم ممثلين بمعنى هو الذى يسود حركة المسرحية بادئا من شكل المسرح كمعمار وهو شكل أو زى مائة فى المائة مستورد ، مستطردا الى نوعية المسرحيات ، وشكل النصوص التى تقدم · فحتى عندما نجد الفنان المسرحى المتأصل فى فن الكتابة نجده متأثرا بفنون الكتابة الاوروبية ، وفى أسوأ الاحتمالات نجد محاولات مستمرة للتعريب والاقتباس من المسرح الاوروبى · وربما لهذا السبب يثور التساؤل نظرا لهذا التفكير أو هذا الواقع الذى لانستطيع منه فكاكا · واقع ان المسرح لم يستنبت فى الجزيرة العربية بشكل أو بآخر وان المسرح أصبح وافدا علينا ، وعلينا أن نحتضنه ونستوعبه بشكل لا يطغى على أصالتنا أو على شخصيتنا أو على ثقافتنا وحسنا الانسانى ولا على تراثنا ولا على ادراكنا الفعلى لدور المسرح وعلاقته بمجتمع محدد زمانيا ومكانيا · ولهذا السبب تثار قضية المسرح والمجتمع · هل لزاما علينا أن يصبح ما تعلمناه هدفا فى حد ذاته أم انه وسيلة ؟ فمنذ الصغر نهضمها ثم نفرزها مرة أخرى فى صورة أكثر لياقة ، وأقرب وأفعل وأكثر جدية وفعالية مما يكون عليه مجتمع معين

---

* نص محاضرة الفنان كرم مطاوع التى القاها فى البحرين مساء الخميس ٥ فبراير ١٩٧٦ ، بدعوة من مسرح أوال ·

له شخصيته وملامحه وله احتياجاته وله مشاكله وقضاياه وبالتالى يجب أن تكون له لغته الشخصية المحلية الواقعية المخلصة فى التعبير عن نفسه ٠

ربما لهذا السبب تصورت أن قضية المسرح فى المجتمع تصبح علاقة جدلية ، علينا أن نواجهها مفترضين أن المجتمع هو مصدر الالهام والابداع للفنان ، وان المجتمع نفسه هو الذى سيتلقى فن الفنان وهو الذى سيهضمه أو يرفضه بقدر ما يكون العمل مخلصا أو معبرا عنه أو غير معبر عنه ٠

هذه علاقة جدلية ، علاقة لا يستطيع المسرح أن يتحلل منها بنفس الدرجة ولا يستطيع المجتمع أن يرفضها أو يتبرأ منها ٠ علاقة عضوية لصيقة منذ أن وجد التاريخ ومنذ أن وجد الانسان ٠

منطقيا أن توجد لدى الانسان احتياجات للتعبير عن نفسه حتى عندما لم يكن بعد قد تملك أو استنبت أو اخترع أو اكتشف لغة التعبير الكلامية بمعنى الاكنولوجى (لغة الكلام أو لغة الكلمة) استطاع أن يعبر عن ذاته بلغات فنية أخرى ، ربما هو لم يقصد أن تكون لغة فنية ، ولكننا بتسجيلنا لها ورصدنا اياها، نستطيع أن نقول أنها كانت تعبيرا عن حس فنى ، اكتشف له الانسان الاول لغة خاصة استطاع أن يعبر بها عن نفسه بأدوات يملكها من خلال اطار يستطيع أن ينحت بهذه الأدوات وبدوافع انفعالاته وارادته الشخصية فنا ما ، أو شيئا ما ، أو لغة ما ، هذه اللغة لو دققنا فيها كثيرا سواء أكانت نحتا على جدران الجبل بالنسبة للانسان الاول ، أو حتى فيما يتعلق ببدايات ما قبل الحضارات الانسانية٠

مظاهر كل الفنون كانت تعبيرا عن احتياج فنان بلغة عصره ، تعبيرا عن شىء ما ، هو يحسه ، يفهمه الاخرون ، يشتركون معه على الاقل فى مشاركة هذا الحدث ، وفى فنه واستيعابه ٠ وبالتالى عندما نرصد نتاج الفنان الاول ، أو نتاج فنان الانسان الاول ، نكتشف أن هذا الفن كان تسجيلا لمرحلة تاريخية معينة نستطيع من خلال هذا النتاج الفنى أن نتعرف على معالم هذه المرحلة ٠

اذا وصلنا الى الاداب اليونانية القديمة ، وهى كانت آدابا ، أو فنونا أدبية واقعية بالدرجة الاولى ، نكتشف أن هذا الفن وان هذا الادب كان تلخيصا

لمرحلة تاريخية محددة · فالفنـــان بفنه أراد ام لم يرد يتحمل عبء مرحلة تاريخية مؤداها انه يسجل بفنه معالم وتضاريس مرحـــلة زمنية معينة بكل ما تحويه هذه المرحلة من مشاكل أو تناقضات أو من قضايا اجتماعية أو فلسفية أو دينية الى آخر هذه المظاهر المختلفة للفكر الانسانى ·

شيء غريب أنه عندما نتعرض الى المسرح الاغريقى ـ أرسطوفان مثلا ـ نكتشف فى بعض المسرحيات وعلى سبيل المثال « المرأة فى البرلمان » أن قضية الديمقراطية ، وقضية مطالبة المرأة بحقها فى المشاركة فى ادارة دفة الحياة ، مثارة منذ ذلك الزمن · وأن تناول أرسطوفان لهذا الموضوع ما هو الا تعبير عن موقف اجتماعى لمسه هو بنفسه وكان مخلصـــا وأمينا اجتماعيا فى تعبيره بواقعية عن هذا الشكل ، أو هذه القضية المثارة ، وسجلها · هو أصبح وسيطا تاريخيا بالنسبة الينا حتى انه بصرف النظر عن القضية الفنية أو التقييم الأدبى للعمل ، نستطيع أن نجزم أو نزعم عن صدق ، أن قضية مطالبة المرأة بحقها فى مشاركة الحياة مع الرجل ، قضية مثارة منذ العصر اليونانى القديم بجانب ان أرسطوفان كان واقعيا فى تعبيره عن قضية اجتماعية حالة وقتذاك ، أصـــبح هو مسجلا تاريخيا لواقع اجتماعى ·

عندما نرصـــد نحن الفن نكتشـــف التـــاريخ ، وعنـــدما نتعمق فى الأدب الواقعى نستخلص معالم وتضاريس مرحلة تاريخية معينة ، ومن هنا كـــانت خطورة رسالة الفنان لأنه ليس فقط معبرا عن بعض المشاكل ، وليس فقط مسجلا لبعض الخواطر والانفعالات الذاتية ، ولكن دوره يتعدى حدود ذلك ، بل يتعدى حدود فنه أيضا ، كما يتعدى حدود عصره وحدود مكانه ، ويصبح وسيلة تأريخ وتسجيل لمرحلة تاريخية كاملة ، على جميع المستويات ·

أرسطوفان هو الذى كتب مسرحية « السلام » وهى أيضا مسرحية تدعو الى قضية السلام منذ آلاف السنوات · اذن قضية ارتباط الفن بالمجتمع ليست فقط قضية سفسطائية أو قضية شكلية أو قضية يتسلل منها بعض الناس عزوفا عن حمل المســئولية ، أو ربما هربا من بعض المخـــاطر ولكنها حقيقة واقعة ان الفنان شـــاهد عصره ولكن بصـــياغة فنية من خـــلال رؤيا فلســـفية ذاتية فنية

خاصة · اعتبر هذا مدخلا للعلاقة ما بين فنان وبين مجتمع يعيش فيه ، هـذه العلاقة التى يراد أحيانا أن تصبح علاقة هامشية ، وأحيانا كثيرة لا ينجح هذا المطمح ، يراد للفنان أن يغض الطرف عن الوقائع التى تحرك وجدانه لأنه جزء من مجتمع يتحرك وجدانه بما يحدث فى هذا المجتمع ، فيقال مثلا للفنان : دع هذه المشاكل الكبرى فهناك من يفكر فيها ، فكر أنت فى تسلية الناس · وكأن قضية الفنان ، قضية قرارات القوانين أو ازرار تداس عليها فتفرز مشاكل وتحجب مشاكل ، تطفو على السطح قضايا ، وتطمس قضايا · الفنان بكل حسه ، بكل وجدانه كجزء من مجتمع ، ينفعل بما فى هذا المجتمع من مشاكل ورسالته أن يطرح هذه المشاكل اذا كان فنانا برؤية ذاتية ، فان لم يستطع هو نفسه أن يجد لها الحل بما يتمتع به الفنان بجانب قدرته على الرصد ، قدرته على التحليل ، بما يتمتع به الفنان من رؤية مستقبلية أو قدرة على استشفاف المستقبل فهو على الاقل يكون قد سجلها وهذا أضعف الايمان · رصدها وسجلها ووضعها فى اطار فنى نستطيع من خلاله فيما بعد أن نتعرف على تضاريس الفكر الانسانى فى مرحلة اجتماعية معينة · هذه هى العلاقة العضوية التى تثار عندما تثار قضية الفن والمجتمع أو المسرح والمجتمع أو الثقافة والمجتمع ·

ربما هذا الموضوع يستتبع منطقيا السؤال التالى :

كل فن طالما أنه فن هو تعبير عن احتياج ما ، عن انفعال ما ، والفنان عضو فى المجتمع سواء أكان منحرفا أم غير منحرف هو عضو فى المجتمع ، فعندما يعبر عن نفسه فهو يعبر بالتالى وبالضرورة وبالتبعية عن جزء من هذا المجتمع ، وربما هذا التصور طرح عندما تبلورت قضية التزام الفنان بمجتمعه· ربما بدأت منذ البداية بالقضايا المسرحية المستوردة أو الشكل المسرحى المستورد · أما عن ارتباط الفنان بالمجتمع ، فعندما نقول لفنان أنت لا تنبع من مجتمعك ولكنك تنبع من أفكار غزتك من خلال روافد فكرية وثقافية تلقيتها فى الخارج ، وبالتالى ليست تعبيرا عن مجتمعك يستطيع أن يرد ببساطة وبمنطقية أيضا : أنا عضو فى هذا المجتمع أتنفس الهواء الذى يتنفسه الآخرون ، أحس بهذه المشاكل فاذا ما خرج منى هذا الفن فى صورة متكاملة فهذا يعتبر فن

اجتماعى أو فن واقعى فى تعبيره عن مجتمعى ، بينما يأتى فنان آخر وربما يكون قد درس فى الخارج وتلقى أيضا ثقافات غذته وصبغته بصبغة ما ، ولكنه يصر على أن يكون تعبيره شكلا وموضوعا مستوحى ومستنبتا من التربة ومن البيئة والمناخ الذى يحياه ، وتصبح القضية بالنسبة له قضية مختلفة عن قضية الشخص الأول · وبالتالى تثار قضية بم يلتزم الملتزم ؟ ما هى قضية الالتزام ؟

هنا حقيقة ، هذه الحركة أو هذه الانتفاضة ، انتفاضة ازاحة الستار عن الفن المطلق وتعريته · الفن الذى كان ينادى فىوقت من الأوقات على الاقل لدينا فى مصر بأنه فن الفن ·

ربما هذه الاتجاهات توجد فى بعض الانواع أو نماذج الفنون التشكيلية حيث يزعم الفنان التشكيلى أنه لا رقيب عليه ، أنه لا أحد يفرض عليه موضوعا، انه ينطلق ربما فى الليل يستيقظ وقد أيقظته شياطين الفن فأمسك بفرشاته وصبغ بعض الألوان على اللوحة وقال : هذه لوحة انطباعية ، انفعلت بموضوع ما ، أفرزته فى تشكيل ما وفى (فورمة) وفى تكوين لونى ما ·

الفن المسرحى ليس بهذه البساطة ولا بهذه العفوية ، فأصحاب هذه النظرية ربما وجدوا فى الفنون التشكيلية بعض الدفاعات التى تؤيد وجهة نظرهم ، بأنه لا يمكن ارغام الفنان التشكيلى أن ينتهج مسلكا ما ، أو لغة ـ فى التشكيلية ـ فنية ما ، وانما هو ينزع من احساسه الفطرى مدفوعا برغبة فنية فى التعبير عن هذا الاحساس ، ثم هو فى النهاية لا يسأل حتى عن اعطاء اسم للوحة ولا يهم فيما بعد أن تكون هذه اللوحة مفهومة من الآخرين ، أو ان تكون تعبيرا عن قضاياتهم الغالبية العظمى ، لان الفن التشكيلى بالذات فن انطباعى ذاتى بشكل مباشر ·

ربما بدأت هذه الظاهرة تغزو بعض الفنون التعبيرية الأخرى ، مثل الشعر والقصة ، وأحيانا دخلوا فى السينما والمسرح · قالوا : نحن لسنا مرغمين على أن نحول مسرحنا الى مسرح أعلامى أو أن نحول أدبنا الى أدب يلتزم أو يلزم بفكر أو بفكرة أو بقضية ما · تحت شعار اللاالتزام ، أو شعار حرية الفنان فى صياغة فنية ارتكب الكثير من الجرائم الفنية والأدبية باسم

أن الهدف من العمل الفنى هو الامتاع وعليك أن تستجيب لهـــذه المتعة بحسك وانفعالك ، حتى لو لم يخاطب العمل الفنى مناطق أخـرى من جسـمك كالعقل مثلا · بدأت تظهر فى الستينات لدينا فى مصر ، قضية التزام الفنان بمجتمعه ، وثارت القضية ، وتفجرت الأسـئلة المضـحكة أحيانا ، والتى كانت تنادى بأن المجتمع هو مجموعة أفراد ، فاذا عبرت أنا عن طبقة من هذا المجتمع فأنا أعبر عن المجتمع ، وبالتالى أنا لست ملزما أن أعبر عن طبقة دون أخرى ، أو لست ملزما أن أنتهج منهجا فكريا ، ولكنى حر فى اختيار الضوابط التى تضبطنى فى سبيل تعبيرى عن فنى وعن أفكارى ·

الواقع أنه لاشىء هناك يسمى لا التزام ، دائما تستخدم هذه الكلمة ، هذا الفنان غير ملتزم ، أو هـذا الفنان ملتزم ، ليس هنـاك شىء اسـمه غير الملتزم ، لأن الغير ملتزم بقضية ما أو بسـياسة ما ، هو ملتزم بسـياسة ما ، واللاالتزام فى حد ذاته هو التزام بعدم الالتزام ، فهو موقف ليس عفويا ، ولكنه موقف مـراد ، من لا يريد أن يلتزم بالضـوابط والمعايير الخلقيـة ، هو ملتزم باللااخلاقيات · من لا يدين بالرأسمالية هو يدين بدين آخر مناقض للرأسمالية· عندما أهاجم مبدأ لابد أن يكون هذا الهجوم لصالح المبدأ المناقض أو المناهض · اذن القضية ببساطة شديدة التزام بماذا ؟ بم يلتزم الفنان ؟ هذه القضية وكل مجتمع عندما يجد لنفسه ردا على هذا السـؤال ، يسـتطيع بالفعـل أن يعطى لمسرحه لا أقول شعارا ، ولكن على الاقل اتجاها وصياغة فلسفية محددتين ، دون أن تكون القضية ، قضية عشوائية · طبعا الهدف من تفجير هذا الموضوع هو تبادل الخبرات أو لنسـمها الثقافات · الهدف منه الوصـول بصـوت عال وبتفكير متعمق الى أين نحن مما نعمل ، وماذا نطمح أن نحققه ، وأى مسار نتخذ لتحقيق ماذا ؟

أسئلة تدور فى ذهن كل فنان وعلى ضوء الرد على السؤال الذى يختاره، والذى يعتبر نفسه مسئولا أمام نفسه والآخرين عما يفكر ، ثم عما يترجم هذا الفكر أو التفكير الى سلوك فنى · الشىء الغريب وهذا أيضا قضية من القضايا التى تثار بصدد العلاقة بين المسرح أو الفن والمجتمع · اننا عندما نسـترجع

قليلا مما كان يحدث قبيل عصر النهضة ، ثم فى عصر النهضة ، وعلى وجه التحديد فى أواخر القرن الرابع عشر فى ايطاليا ، وقتما كان الفنان ينظر له على انه شىء رخيص مبتذل ، جزء مكمل لديكور يجلس فيه الأمير أو الاقطاعى، وقتئذ يتسامر مع ضيوفه . وهناك فى الخلفية نغمة موسيقية تصدر من آلة يعزفها فنان موسيقى ، ثم مشهد تمثيلى يدور بشكل تهريجى يظل فى خلفية المشهد بينما السمر والرقص يدور . وكل هذه مظاهر ليس لها من الاحترام شىء لأن الفنان وقتئذ لم يكن يحتل احتراما لدى ارستقراطية الشعب أو ارستقراطية المجتمع ٠

ومع بداية عصر النهضة يبدأ الفنان فى التمرد على هذا الوضع ، على أن يكون شيئا قليلا صغيرا لا يلتفت اليه الا عندما تخطىء العين فتبصره ابصارا عفويا ، ولا يقصد فى ذاته ولا يتعامل معه كخالق مبدع يستحق أن تلتفت له وتصغى اليه وترتاده وتذهب وتقصد اليه ٠ ورغم هذا كان لايزال هذا الفنان المتمرد خائفا لانه لا يملك رأس المال ولا يملك السلطة ولا يملك حتى الاستقلال عن الطبقة التى بدأ ينحسر عنها أو ينسلخ منها ٠ وظل هذا الاحساس المركب : الخوف والتمرد . ظلا يشغلانه فبدأ يهاجم من أساء اليه . وهم طبقة النبلاء وفى نفس الوقت يدافع عن نفسه فى خوف من بطشهم اذا ما نالوه ، فبدأ حركة المسرح المرتجل بدأ الغزو المسرحى للأسواق ، وللتجمعات الشعبية وللميادين . فى مكان ما تنصب منصة صغيرة يعتليها شخص يلفت النظر اليه ببعض الأصوات أو ببعض الحركات ثم يقدم عندما يلتف بعض الناس حوله ، عرضا بلا كلمة كى لاتسجل عليه وتحسب ضده ، بالحركة التعبيرية البانتومايم ولكن ما يقدمه يحكى قصة بالفعل ، ويحكى واقعا بالفعل ، هو يريد أن يقوله ولكنه يخشى أن ينطق به ، ثم امعانا فى الدفاع عن نفسه يتخفى خلف قناع كى يصبح القناع هو الذى ينتقد وليس الممثل ٠ فاذا كان اسم القناع ارلكينو فان ارلكينو ـ وهو اسم القناع ـ الذى يلبسه ابراهيم الممثل ـ فأرلكينو هو الذى يهاجم النبيل وليس ابراهيم ٠ ومع مرور الزمن تحول القناع الى شخصية ٠

هنا نتوقف قليلا كى نقول أن أحاييل الفنان لا تنتهى ٠ اذا ما أراد أن

يقول شيئا آمن هو به مهما كانت مظاهر القمع أو المنع أو الحجب أو المصادرة التى يمكن أن تقع عليه ، فيلجأ فى مرحلة الى اللغة التعبيرية الحركية دون الكلمة ، ثم يلجأ الى تغطية معالم الوجه ·· تغطية البطاقة الشخصية بقناع ، وفى مرحلة أخرى يلجأ الى الرمز فيقول ولا يقول · ولكن هل سيسكت الفنان ؟ هل من حق الفنان مهما كانت الضغوط عليه أن يتخلى عن رسالته التاريخية بصرف النظر عن هواياته ورغباته الشخصية ولعل هذا الفن يعبر عنه يحيا به وله · عندما يصبح الفنان فنانا حقيقيا ، هل من الممكن أن يتخلى عن رسالته التاريخية أمام أى مظهر من مظاهر القمع أو القهر أو المنع أو الحظر · هذه القضية هى أيضا لصيقة بقضية المسرح والمجتمع · قلت ان المسرح مظهر ابداع ، مصدر الخلق والابداع للفنان ، هو الذى يلهمه ، هو الذى يحركه ، هو الذى يلقنه ، هو الذى يوحى اليه ، هو الذى يعلمه ، هو الذى يعطيه مواد الخلق ، المادة الدرامية هو نفسه الذى يستقبل · هذا هو الحوار · فبقدر ما يكون المجتمع به خلل ما ، بقدر ما تكون فعالية دور الفنان فى مواجهة هذا الخلل ، وليس فى الهروب منه ·

هذا هو الحوار ايا كانت التسمية ، التزام أو غير التزام ايمان أو غير ايمان ، تجاوز ، الى آخر هذه المترادفات ولكن لا يمكن فى مجتمع ما أن يستنطق الفنان لغة ليست لغته أو أن يحقق المتفرج نغمة لا يهضمها بل البحث عن النغمة الصحيحة من المجتمع فى تعامله مع الفنان ومن الفنان فى عطائه للمجتمع ، لابد أن يكون هناك هذا التماس الهارمونيكال المتجانس بين مصدر الالهام وبين أشكال الابداع المفرزة المعطاة للمجتمع ·

اذن خلاصة هذه المسلمة الجدلية هو أنه لا يمكن أن نتصور مجتمعنا حيا صحيا دون أن يكون هناك فن يعبر عنه كما انه منطقيا لا يمكن أن نتصور فنا دون أن يكون محاطا باطار اجتماعى ما ·

للبعض وهذا فى اعتقادى زعم خاطىء ان يحظر على الفنان أن يخوض فى قضايا سياسية ، ربما سمعنا عن نغمة المسرح السياسى تتفجر فى العشر سنوات الماضية ، ربما فى مصر ربما فى الشرق أو البلاد العربية أو هنا ،

قضية المسرحية السياسية ، أو انشاء مسرح سياسى ، أو هذا المخرج تخصص فى الاخراج المسرحى السياسى · وبدا للبعض أن هذا نوع من الانتحار أو نوع من الصدام مع السلطة لان السياسة من وجهة نظـــر هؤلاء ، حكر واحتـراف يحترفها من هم أصحابها والسياسة للسياسيين ، والسياسيون هم الحـــكام · اذن لا يجب أن تخوض فى السياسة . فاذا خضت فى موضوع سياسى فمآلك اما أن يصادر العمل أو اما الحجر المعروف ·

وبدت هـذه النزعة وربما كانت مفجرة من قبل وربما بأكثر من خمسـين سنة فى ألمانيا على وجه التحديد · المسرح السياسى فسكاتور مثلا وغيره ، المسرح التسجيلى الوثائقى الذى يعتمد على الاحداث اليومية ويعلق عليها ·

بدأ يخلط بين هـذا النوع وبين المسرح النقدى ، المسرح الـذى يناقش القضايا الجدلية ، لا أن يظل يدور فى فلك علاقة الرجل بالمرأة ، الزوج بزوجته، والأخ بأخيه أو الثالوث اللامقدس وهو الزوج ، الزوجة والعشيق ، هذهالقضايا التى ابتذلت · قضايا الصالونات البنفسجية ، الالوان المائعة التى أصـــبح يمجها الذوق السليم · أصبح يتصادم مع قضـايا فكرية ويتعارك مع مبـادىء فلسفية أقرها هذا المسرح السياسى على أساس أنه نغمة نشاز لابد أن تجد نوعا من المقاومة الشديدة من زيد أو من عمرو ·

الفنان الملتزم بمجتمعه هو الذى يتكلم فى السـياسة · وتقتضينى الأمانة أن أطرح هذا التوضـيح · ان أى سـلوك بشرى له عـلاقة ان لم تكن مباشرة فهى غير مباشرة بالسياسة وانه ما من حركة اقتصادية أو اجتماعية ، فلسفية أو غير اجتماعية ، دينية الا ولها رد فعل ، أو محرك أو صـدى على المستوى السياسى · السياسة من ادارة مقاليد الحكم أو بمعنى أبسط فن ادارة وقيادة الجماهير ، هكذا عرفنا كلمة بوليتيكوس باللاتينية ، بوليتيكوس تعنى فن قيادة الجمـاهير وسـياستهم ، أى أن تسوسـهم أى أن تقودهم أن تطوعهم لأفكارك أو لمعتقداتك · الفن المسرحى أو المسرح هو فن قيادة الجماهير بلغة المسرح بغرض استمالتهم الى فكرة ما ، أو بغرض طمس أو الغـــاء فكرة ما

واحلال فكرة أخرى محل الفكرة الأولى .

المسرحية التى تعايش الفضيلة هى تحارب الرذيلة ، تستميل المتفرج الى الفضيلة ، وتحضه عليها ، وتحضه على الابتعاد عن الرذيلة . أن تنجح المسرحية فى أن تقنع المتفرج بهذا الهدف يقال عنها أنها نجحت فى تفريغ مفهوم ما ، كان فى عقل المتفرج واحلال مفهوم آخر محل المفهوم الأول . اذن هى نجحت فى اقناعه ونجحت فى استمالته الى فكرة ما . اذن هى قادت الجماهير نحو منطلق فكرى أو أخلاقى ما ، اذن أردنا أم لم نرد الفن المسرحى هو سياسة أو فن سياسة الحياة من خلال لغة المسرح .

اذن كيف يبتعد الفنان عن ما يشغل ذهنه طيلة اليوم فى الحياة عن كل شىء يلمس وجوده ، تنزل أمطار ، توحل الشوارع ، لا يتحرك الانسان ، تثار قضية رصف الشوارع ، الأمطار تغطى الحقل ، ينبت نبات ما ، يحترق هذا الحقل أو يتلف ، تنقص هذه السلع ، تثار قضية أين السلعة ، قضية سياسية .

فيلمين فى دارى سينما مختلفتين يعالجان نفس الموضوع . هاملت هنا وهاملت هناك . هاملت هنا يتناوله مخرج رومانتيكى ، هاملت هنا يتناوله مخرج ديالكتيكى ، أنت تعلم أن هذا رومانتيكى وهذا ديالكتيكى ، أنت تميل الى الرومانتيكية وترفض الديالكتيكية ، أنت تذهب الى الفيلم الأول وترفض الفيلم الثانى ، هذا موقف فكرى . لديك جريدتين ذات اتجاهين مختلفتين فأنت تشترى الجريدة الأولى ولا تشترى الجريدة الثانية هذا موقف فكرى . لديك نجمين اجتماعيين أو رياضيين انت تدعم وتسهم فى النادى ضد النادى الثانى هذا موقف فكرى .

ان أى سلوك يسلكه الانسان فى الحياة هو تعبير عن منطلق اختيارى ، لأن الانسان يختار ، وعندما يختار الانسان يفاضل ، وعندما يستقر اختياره بعد المفاضلة اذن فهو رفض ما لم يختره واستقر على ما كان يريده اذن الانسان والفنان بالضرورة ، يريد شيئ ولا يريد شيئا آخر ، يريد أن يفكر بشكل ما ، فيفكر بهذا الشكل ، ويرفض أن يفكر بشكل مناقض . فكيف نرغم الفنان على أن

يغير جوهر تفكيره ، بل يفكر بالطريقة « أ » وأن يفكر بالطريقة « ب » وهو غير مقتنع بهذا لان جوهره يخلو من « الباء » ويمتلىء « بالالف » اذن الزعم بأن دع السياسة للسياسيين والمسرح السياسى هو افتئات على ميدان السياسة المحترف وانه خروج على الحيز أو المجال أو الفلك الذى يجب أن يدور فيه الفنان هو زعم خاطىء .

عندما يأخذ الفنان مظاهر السلوك ربما لا يتعرض للسياسة ، عندما يعرض فقط قضية الصدق والكذب أو السرقة والأمانة ، دون أن يوغل فى تحليل منبع الصدق ومنبع الكذب ، منبع السرقة ، ومنبع الأمانة ويرد مظاهر التحليل هذه الى مجتمعه ويوغل فى تفاصيل واقع هذه الفضيلة أو تلك الرذيلة .

اذا لم يفعل هذا يصبح سطحيا لأنه يعرض صورة كاريكاتورية . انما عندما يتغلغل فى دراسة واقعية الشىء ويربط هذه الظاهرة بأصولها الواقعية فى المجتمع ويحاول قدر المستطاع أن يرصد أسسها وجذورها ، اذن هو لامس قضية سياسية دون أن يزعم لنفسه الحق فى أن يحكم ، دون أن يزعم لنفسه الحق فى احتكار السياسة بل حتى دون أن يزعم لنفسه بأنه يمارس السياسة ، ولكن حصيلة ما يقدمه هو فى جوهره ، تعبير عن واقع سياسى أو تعبير عن فلسفة سياسية أو رؤيا سياسية محددة .

اذن هذا القول الذى يربى أحياناً القاء الرعب فى نفس الفنان بأن يقال له حذار أن تقترب من موضوع القضايا السياسية لان هذا موضوع محرم عليك يصادر عليه بمنطق أن الفن يستلهم قضايا المجتمع ، ويتخاطب ويتفاعل معها لأنه يحياها فكيف يهرب منها وهى تلاحقه وهى بداخله ، اذن علاقة المسرح بالمجتمع لحظة التماس بين المسرح والمجتمع هى اللحظة التى يستطيع الفنان فيها أن يغوص فى مجتمعه الى أن يلمس قاع نفسه هو ، وهى نفس اللحظة آلتى يحس فيها المتفرج بأنه يلعب نفس الدور الذى يراه أمامه وانه يتنفس بنفس الرئتين .

هذا التماس بين الحقيقة الواقعية والحقيقة الفنية بين الصالة أو مكان

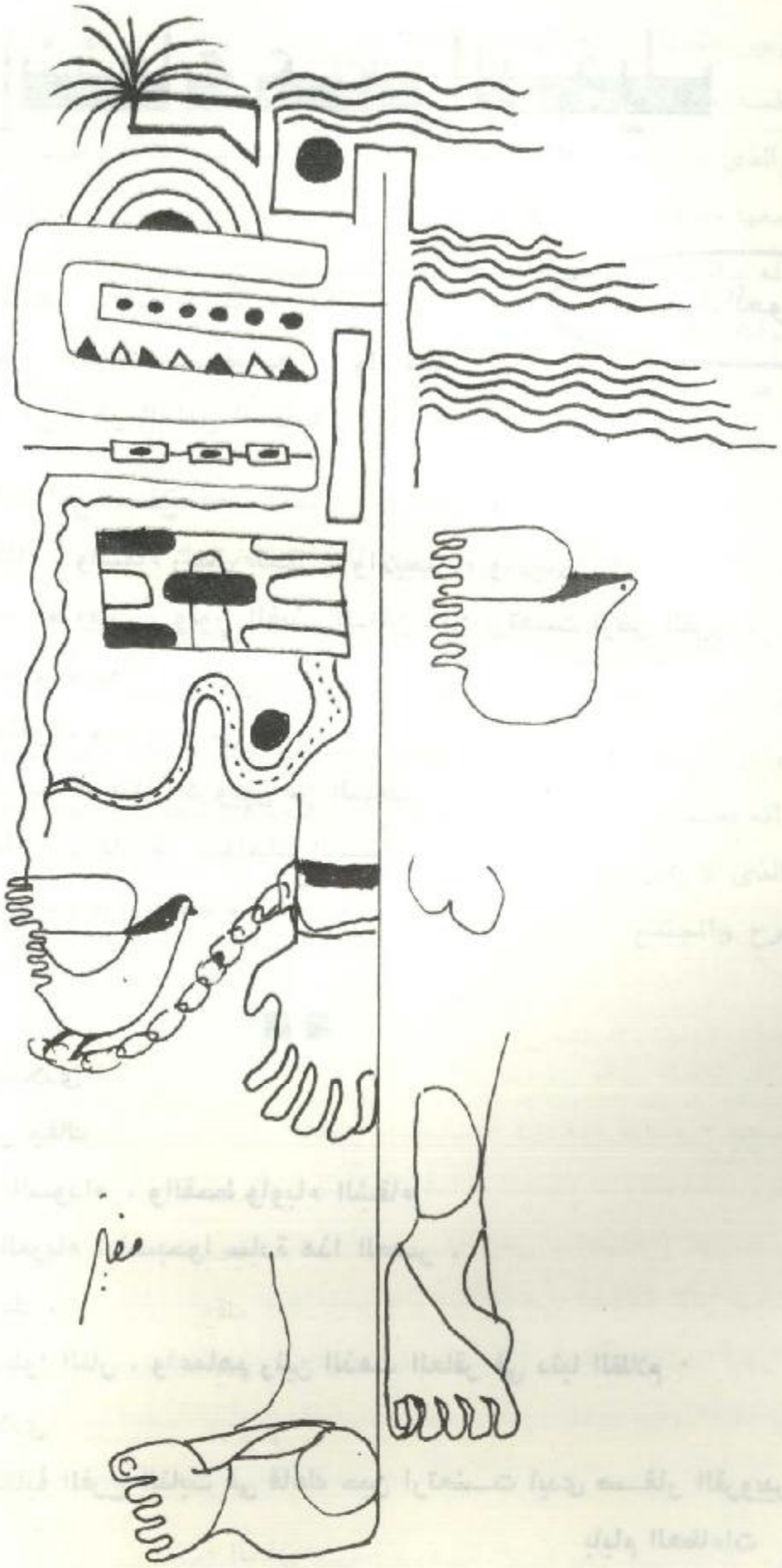

وأفراح الحسين ..

هل تذكرت صغار القرويين ، وهم يقتلعون السبخ العالق فى أرضك قبل الموعد الآتى ،

وقبل الزرع ، كى تصبح قيعان القرى مهبط وولادات غناء

هل تذكرت ختان الصبية. الظل.وأزمان الرخاء وتذكرت بصمت همهمات القرويين على مقربة من بركة الماء لكى يغتسلوا .

أنت يا نخل بلادى

قد رأيناك هلالا وليال مقمرات

فلعبنا تحت أشجارك أطفالا ، على أوجهنا لون فرح .

ورأيناك حقولا وليال من حصاد

فلذا تكتمل الفرحة فى أعيننا ، حين يجىء الليل والجدات يغزلن حزاوى الأولين..

وأبونا يرقب الانجم لا ينعس فى ليل الصفاء ..

وحنان الأمهات ، عالم يبعث فينا الدفء فى ليل الشتاء .

وقلوب الزهر الهائم فى الحقول ، كوكب يدخل فى حارتنا يقرع أبواب الصباح .

ويغنى ، وخرير الماء ايقاع تذوب الأذن فى مسمعه ساع اللقاء ..

■ ■

أيها النخل الخرافى استفق

قد غدونا غرباء

وغدا البحر شقاء

وغدا البحر شقاء

وغدا العالم فى أعيننا محض التقاء ..

أيها النخل الخرافى الجميل ..

هل تذكرت أبى بين عروقك ..

وأخى الفلاح قرب الماء يشدو بعض ألحان صباحك

وبنى قريتنا يفترشون الخوص فى الليل وأكوام السعف

هل تذكرت صياح الديكة

وخرير الماء ، والترنيمة الحلوة فى يوم الزفاف

وأهاليك الذين ابتدأو وأعراس الحياة

■■

أنت يا نخل بلادى

ها هم الآن نسـوك

وغدا عالمهم محض خرافة

وبيوت من حجر

فلذا عاثت أيادى الغرباء

وأتت كل كلاب الصيد تجتث جذورك

وتكيل اللوم تلو اللوم ضدك

ها هم يقتسمون :

لحظة الخزى وعار الذكريات

ويزفونك للقبر ، لعل القبر أفضل

ويهيلون التراب ..

■■

أنت يا نخل بلادى

غدا الساعة تأتى ،

حينها تلعنهم كل عصافير البلاد .

وطيور البحر والأسماك والظل وليل الذكريات

وغدا نلعنهم نحن

وصناع الحياة

أيها النخل اليك

واقفا أنتظر اللحظة

عل الفجر آت

وأزاهير المياه الدافئة ، وابتسامات الصغار

لحظة ينقشع الغيم ، وتهجرنا الكآبة ..

وتعود الأرض كالشمس لتأتينا الولادة .

الحضارة بين التخلف والفكر المتخلف

جاسم عاشور

فى المحاضرة التى ألقاها بنادى الخريجين د. لويس عوض ، طرح الكثير من القضايا ، نتجنب التطرق اليها ، لنصل الى القضية الأساسية والتى كانت أساس ندوة د. عوض عن الحضارة الأوروبية والحضارة العربية .

يرى د. عوض أن المجتمع العربى يعيش فى أزمة وللخروج من هذه الازمة لابد له من التمثل بالمجتمع الأوروبى ، وقبل أن ندخل فى نقاش حول قبول أو رفض هذا التماثل بالمجتمع الأوروبى ، نود أن نشير الى أن د. عوض يقول بأنه يطرح كلمة أوربا فى شمولها لروسيا الأوربية ، ومن هنا ـ فى نظرى ـ تبدأ المشكلة من وجهة نظر د. عوض فى هذه المسألة ، حيث أنه فى اغفاله ـ الواعى ـ لواقع أن هناك أوروبا شرقية وأخرى غربية ، وان لكل منهما مميزاته الخاصة الأمر الذى نرى أن د. عوض تعمد اغفاله ليعطى مفهوما أوروبيا ذا طابع واحد ومميزات واحدة ، هى مميزات وطابع أوروبا الغربية التى يدعو د. عوض للتمثل بها للخروج من الأزمة ـ أزمتنا الحضارية ـ ولاثبات وجودنا الحضارى من هذا الخضم من الصراع بين الحضارات .

اذن د. عوض يرى أنه للخروج من الأزمة لابد من التمثل بالبرجوازية الأوروبية على وجه التحديد ، وان هو لم يشر لذلك بشكل مباشر . وهذه الدعوة ليست جديدة ولا غريبة خاصة على انسان أوروبى الثقافة مثل د. عوض، ويطرح الآن هذه الفكرة فى مصر الكثير من « المفكرين » على سبيل المثال د. فؤاد زكريا وآخرون ، كما طرحها من قبل ـ وان اختلفت وجهات النظر ـ سلامة

موسى الذى يعرف كأحد رواد « النهضة » عندنا ٠

ساعدنا فى حكمنا بأن د٠ عوض يرى فى التمثل بالبرجوازية الأوروبية هو المخرج من الأزمة ، دفاعه عن المجتمع الأوروبى ، وقوله بأنه لايزال « بخير » وفى امكانه تقديم الكثير ٠٠ من هنا نتجنب النقاش حول ما يقوله من أن المجتمع الأوروبى لايزال هو المجتمع الأمثل أو قل الاقرب الى ذلك ٠٠ وان نتجنب الاشارة الى الازمات التى يمر بها هذا المجتمع أزمات اجتماعية ، سياسية واقتصادية ٠٠ الخ ، فاذا تركنا كل ذلك نجد أننا أمام سؤال آخر هل يريد منا د٠ عوض التمثل بالبرجوازية الأوروبية فى الوقت الحاضر ، أو كما كانت فى بداية نهضتها ؟

فاذا كان د٠ عوض يقصد بكلامه عن التمثل بالبرجوازية الأوروبية فى بداية نهضتها وتخطيها لبنية النظام الاقطاعى ، ونحن لا نريد الأخذ بما يطرحه د٠ عوض بهذه الصورة ، فان ذلك يعنى تجاهلا غير مقبول من مثقف مثل المحاضر للواقع الحالى لهذه البرجوازية ، وانه تجاهل لما صارت اليه هذه البرجوازية التى بفعل عوامل التطور الانتاجى برزت فيها التناقضات الاقتصادية والاجتماعية وأصبحت تقف عائقا أمام التطور الحتمى للتاريخ ٠

اذن ، هل يريد لنا د٠ عوض التمثل بالبرجوازية الأوروبية فى الوقت الحاضر ؟

ونحن اذا قلنا بأننا سنتجنب التطرق للازمات الداخلية التى خلقتها البرجوازية الأوروبية ، نود أن نتساءل : كيف لنا أن نتماثل بنظام اجتماعى مع تجاهل الآثام والخسائر والكوارث التى ألحقها هذا النظام بالانسانية ٠

وبما أن د٠ عوض لا يرى ـ كما فهمت ـ التمثل بالامبريالية الأمريكية لأن المجتمع الأمريكى وصل الى درجة كبيرة من التعقيد ٠٠ كذا !! ولأن د٠ عوض يرى ذلك يجب علينا هنا اغفال جرائم أمريكا فى حق الانسانية ، والمجازر التى ارتكبتها فى أفريقيا ، جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية ، ومع ذلك فأنى لا أرى بأن جرائم الامبريالية الأوروبية غير بينة وغير واضحة ، حيث يمكن تجاهل هذه الجرائم ، التى نذكر منها على سبيل المثال ، الاعتداء الثلاثى على مصر ،

والموقف من قضية الشعب العربى الفلسطينى ، وكذلك واقع أن الامبريالية لازالت تعتبرنا سوقا لترويج بضاعتها ، تستغل ثرواتنا الطبيعية ، من كل ذلك أردت أن أقول للدكتور عوض ·· كيف لنا التمثل بمجتمع قائم على استعباد الانسان واستغلال الشعوب الضعيفة ؟!

وفى معرض حديث د· عوض عن المجتمع الأوروبى أشار الى أن من سمات الرجل الاوربى الاحساس بضرورة وأهمية الوقت مما قاده الى اختراع التليفون ، الراديو ، الطائرة ·· الخ ، من أدوات الاتصال التى تلغي حدود الزمان والمكان من أجل تكثيف حياة الانسان ليعوض بذلك عن عجزه فى اطالة عمره ومنع الموت عنه ، هذا الاحساس الذى لا يتوفر فى الانسان العربى ، مما يقود هذا الانسان بالتالى الى عدم القدرة على الاحساس بضرورة الوقت ، وأهمية استعمال التكنولوجيا الحديثة ، وعدم القدرة بالأحرى على التفاعل مع هذه التكنولوجيا ·

فى الواقع هذا أمر قد لا نختلف مع د· عوض فى بعض عموميات ، ولكن مع ذلك يبقى هناك أمر واحد ، هو أن هذه القضية لا تعدو كونها ظاهرة ، وأنه لابد لكل ظاهرة ، جوهر معين ، يختلف عن الشكل الذى تظهر به هذه الظاهرة ، وقد تختلف ظواهر جوهر ما فى شكلها الخارجى باختلاف الزمان والمكان ولكنها تبقى مشدودة لجوهرها الذى هو أساس هذه الظاهرة ·

لذلك فان اللااحساس بضرورة الزمن عند الانسان العربى هو ظاهرة لجوهر معين ينتفى وجوده بالضرورة فى واقع المجتمع الأوروبى مما يجعله ينتج احساسا نقيضا · وهذا الجوهر ، سبب اللااحساس العربى بضرورة الزمن ، هو ما يغفل د· عوض عن ذكره ، وهو منطق البحث عنده الذى يطرح القضايا فى عموميتها دون تحديد وهو ما قاده ـ كما أعتقد ـ الى الفصل القسرى بين الحضارة والسياسة ، وتجاهله لواقع كون الحضارة مجموع النتاجات الاجتماعية ، المادية والفكرية ، التى هى نتيجة لعلاقات انتاج معينة (بنية تحتية) تحدد لها شكلها التاريخى · لذلك فان أخذ موضوع الحضارة بهذه الصورة ، يبعدنا عن الفصل القسرى للسياسة عن بنيات اجتماعية واقتصادية محددة تمارس تفاعلها المتبادل ·

أما بالنسبة لأزمة التخلف العربى ، فانى أرى أن الخروج من هذه الأزمة ليس التمثل بالبرجوازية الأوروبية ، والتى هى سبب من أهم أسباب تخلفنا فى سيطرتها على المجتمع العربى ، وانما بالتحرر من سيطرة ايديولوجية هذه البرجوازية ، التحرر الذى ينتج الفكر النقيض لها وبالتالى يقودنا للتحرر من سيطرتها الاستعمارية · لأن سبب التخلف العربى هو السيطرة الاستعمارية التى منى بها العالم العربى ، والمتمثل فى الامبريالية الأوروبية والامريكية ، وما مارسته هذه السيطرة الاستعمارية من عملية قطع بيننا وبين الحضارة ·

من هنا أجد أن حوار د· عوض حول هل نقبل ، أو لا نقبل ، بالحضارة الأوروبية بعد تنقيحها من الشوائب هو أمر يغفل تماما ان المسألة ليست مسألة (فى الوقت الحاضر ، على الاقل) أن نقبل أو لا نقبل ، وانما هى مسألة التحرر من السيطرة الاستعمارية أولا وأساسا ، التى هى سبب التخلف ·

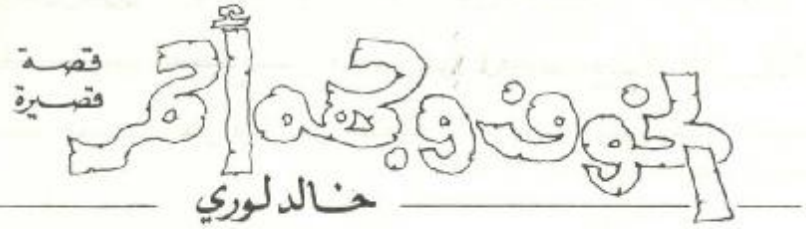

الوجه الاحمر يختنق

ـ هل غضب ... ؟ أعنى هل أنزعج ... ؟

ـ أظنه كذلك ... لانه صافح السائق ولم يصافحنى .

(فى عينيك ياحبيبتى يموت تعب النهار وتبدأ أحلامى مسيرتها نحو حديقة وردية ... اننى هنا أبحث عنك بلا جدوى لانك لاتسكنين الكلمات الغاضبة ... واننى أكره الوجه الاحمر لانه يحمل فى قسماته احتقارا لاحدود له ...)

سقطت النظارة على أرنبة الانف الاحمر ... غضب كريه يغزو قسمات الوجه الحليق ... انفعال غريب ينطلق مع الكلمات ...

ـ هل تدرك مافعلت ... !!

(ذات يوم وقفت أما مأحد المتاجر فى السوق ... ابتسمت وأنا أتخيل نفسى مرتديا سترة كحلية كانت معروضة ... سمعت خلفى صوت بصقة ... أحسست بالبصقة تنحدر على أصابع قدمى ... التفت يمينا ثم يسارا ... رأيت وجوها غريبة كانها رسوم لوجوه ممحية الملامح .... تخيلتك جالسة وأنا أقص عليك ما حدث ... الضياء فى وجهك ينقلب فجأة الى ظلام دامس ... خفت على عينيك أن تحزن ... فتوقفت عن متابعة القصة ... وكنت أخفى كل

ما أعانيه من حزن خلف ابتسامة بلهاء **لاحياة فيها** ... وكانت نظراتى دائما تسقط أمام نظرات عينيك حين أكون فى وضع مهزوم ... فأهرب الى الكذب واقص عليك قصصا خرافية عن النملة الصغيرة التى أكلت الفيل ذات يوم بعيد ...)

ـ لم يعلمنى أحد ما الذى يجب فعله ... !

ـالا يكفى أنك تعرف من هو ... !!!

(ذات ليلة كئيبة ضاجعت امرأة عوراء ... كنت يائسا حتى العدم ... وبعد أن خرجت من دارها اكتشفت بأننى أحمل على وجهى حزنا أحمر ... وحين التقينا رأيت الشك فى عينيك ... سمعت منك كلمات معاتبة .. نكست رأسى الى الارض ... ثم فتحت صدرى اليك ... كان قلبى يسبح فى بركة من القهر ...)

كآبة سوداء تخيم على جو الحجرة وتخنق خيوط الشمس التى تسلك عبر زجاج النافذة الوحيدة فى الحجرة ...

الوجه الاحمر يتظاهر بالتفكير ...

الاوراق ترتعش ... صورة المسيح وهو مصلوب على الجدار ترتعش ...

الوجه الاحمر زم شفتيه فى غضب ...

ـ ليس بعد الغلطة عودة ...

ـ هل تنتهى سنين الكفاح بهذه البساطة ... !!

(وحين تخيلته يلتقط شفتيك بشفتيه الغليظتين ياحبيبتى ، حزنت حتى الموت ... تمنيت لو أحمله وأرميه فى بحر بلا قرار ... وان آخذك من ذراعك ونجرى فى طريق لانهاية لها ...

ولكنه كان يبتسم ... ابتسامة كتلك التى رأيتها على شفاه الوجه الاحمر .. كان يضحك ... وكنت أجرى ... يدك فى يدى وكنا نجرى ... وحين

توقفنا ونحن نلهث ... كان هو هناك بابتسامته اللزجة ينتظرنا ... والتقط شفتيك بشفتيه فأحست شفتى بالغربة فدفنت رأسى فى التراب ...)

جو الحجرة ينذر بالانفجار ...

أفكار سوداء تحتضن رأسى ...

الوجه الاحمر عاد يصطنع التفكير ...

آلاف من الصور الحزينة والسعيدة تمر أمام عينى وكأنها تعيش النهاية سنون طويلة سقطت من حساب العمر وأنا معهم ... حزنت معهم أكثر ممـــا فرحت ... وجوههم الحمراء كنت أبتسم لهـــا ... وكانت تبتسم لى ولكن بحساب دقيق ... عشت معهم من غير أن تكون لى أحـــلام ... لانهم كانوا يخنقون الاحلام السمراء فى مهدها ... وأن شفتيك أيها الوجه الاحمـــر الان تحملان مصيرى ... !

(حين اشترط أبوك بأن افتح لك بيتا ... رأيت سعادتى تنتحر على شفتيه .. وقمت من أمامه أتمتم بكلمات ليس لها أى معنى ... حتى اننى لمحته يهـــز رأسه عجبا ...

بحثت عنك ذلك اليوم ... وحين وجدتك كان هناك شرطا آخر حائرا على شفتيك ... أن يبقى الحب فى عينى أحمله لك مدى العمر ... لعنت الحب لحظتها .. فتحول وجهك أمامى الى ليل أحمر ...)

ـ هيه ماذا قلت ... ؟

ـ ليس لى أى خيار ... ولكننى أكره التسول ... فهل من فرصـــــة أخرى .. !!

الشعر الاشقر غارق فى الاوراق ...

وبين برهة وأخرى كان الوجه الاحمر يخرج من بين الاوراق مزمجـــــرا .. واللسان الذى كان قبل برهة يلعق بقايا من لعاب كان قد سال على جانبى

الفم الواسع ... أصبح الان متخما بشتائم لاحصر لها ... وكنت أعرف مسبقا بأن ذلك اليوم الاغبر لن يمر بسلام ...

ـ فعلتها مرة أخرى ... !

(حين أفترقنا مساء ذلك اليوم ... كنت متأكدا بأنك ستصبحين ذكرى حب قديمة أسافر اليها فى كل مرة أحزن فيها ... واننى لن أسبح فى زرقة العينين الى الابد ... ولذلك جررت أذيال الخيبة ومضيت أبحث عن مرفأ آخر ...)

ـ صدقنى لم تكن غلطتى ... !

وخرجت الكلمات من فمه كطلقات المدافع ... حمراء كلون وجهه الاحمر .. وانزويت الملم بقايا أفكارى المبعثرة ... كنت أريد أن أتكلم .... ولكننى أحسست بالكلمات تموت فى داخلى ... ورفعت له عينين تلمعان بدموع صامتة .. وقمت من مكانى متجها الى خارج الحجرة ..

ـ أن تبدأ من جديد ... ذلك شىء صعب ... !

قالها فى طيبة عفوية ... ثم مد أصابع معروقة الى ابريق الشاى أمامه .. وصب فنجانين ...

قلت وأنا أرقب شفتيه وهما ترتشفان الشاى فى هدوء ...

ـ كلها رحلات حزينة يمشيها الانسان بلا خيار ... !!

(أذكر حين بدأنا رحلتنا لاول مرة ... كنت أحمل لك فى قلبى شعورا جارف بالمودة ... وكنا بتخيلاتنا نمتطى السحب الرمادية لنرسم على صدر السماء صورة وردية لنا ...

وكنا نمرح بعيدا عن كل ما هو حزين ... ولكن الوجه الاحمر ذات يوم برز فجأة بين الغيوم وأخذ يزحف نحونا فى اصرار عنيد ... والتمسنا طريقا للهرب ... ركضنا على الغيوم ... وفجأة وجدت نفسى أهوى فى هوة سحيقة

·· وبقيت أنت فوق . مع الوجه الاحمر ···)

ـ ماذا ستفعل بعد أن طردوك ··· ؟

ـ لا شيء ··· قد أسافر بعيدا ··· !

ـ الى أين ··· ؟

ـ الى حيث لا يوجد وجه أحمر يتقيأ الازدرآء ··· !

ـ لكنه قد يكون المنفى ···

ـ قد يكون ··· قد يكون ·

الوجه

عبد الحميد القائد

يتمدد فى وجهك الحـلم ،
يستظل بفيء الرجولة والطفولة ،
يصبح وجهك نافذة للعشـق ،
بوابة تسـتقبل القادمين
يا أيها المسافر الميمم وجهك شطر المدن المستحمة بالمطر ،
المدن التى تزرع الخوف والخبز والياسمين
كيف يصير الولوج الى شمسها تذكرة للبكاء الخطير
كيف يكون الطريق اليها سلما الى المقصلة ؟؟
يا عاشقا ذاب حبا ، مات حبا فغازلته الرياح
عانقته الريـاح
قبلته الريـاح
حولته الى وردة تحمل العطر هدايا للمدن
ها صوته الآن يعبر كل البحار المخيفة ،
كل المكان الملطخ بالصمت والحقد
ها وجهه الآن يطل عليكم
انظروا وجهه :
قمـر اسـمر
قصيدة حب تسـمى الوطن

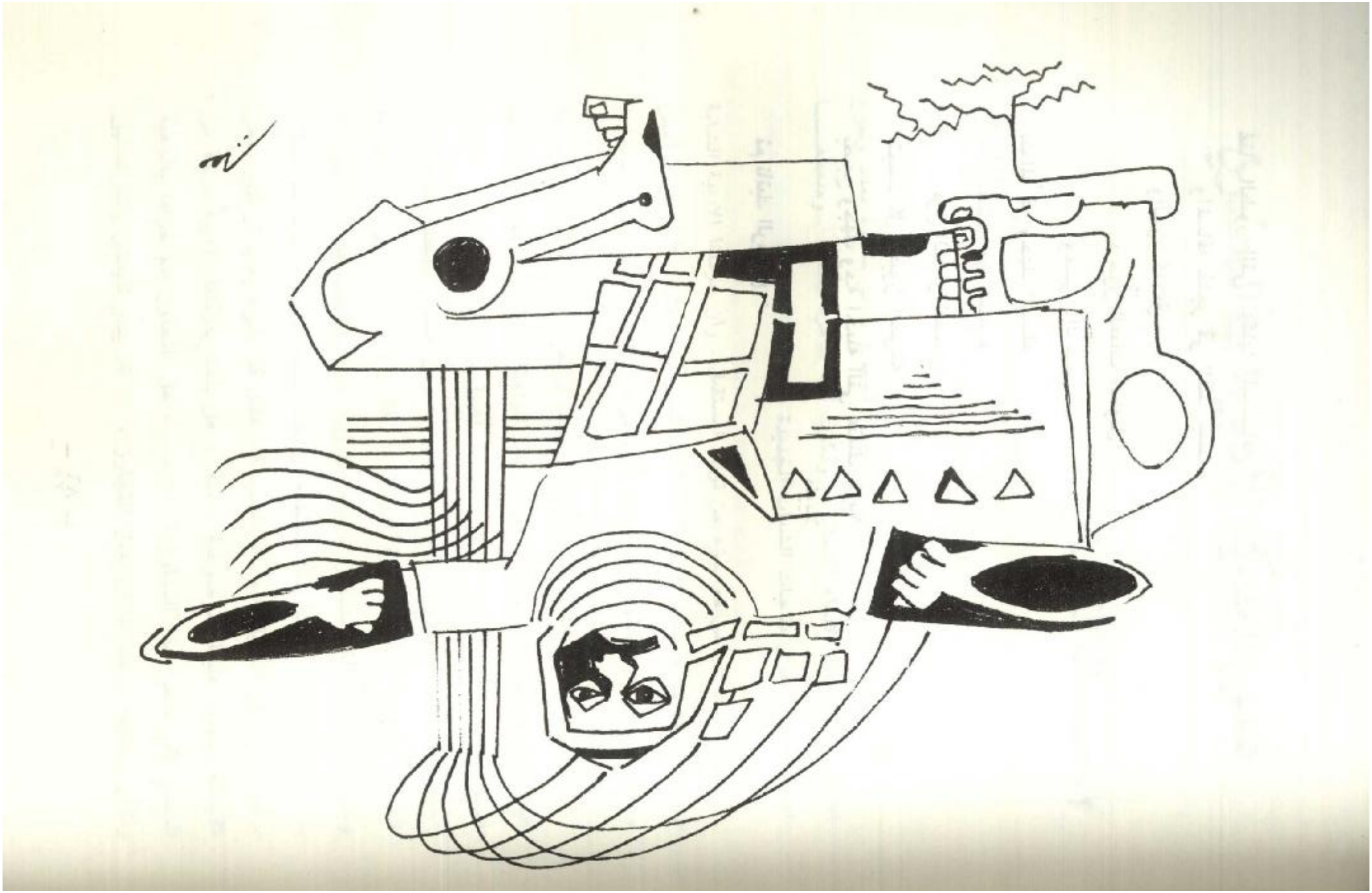

غناء الطيور التى أنهكتها المســـافة .

والمسافة خنجر فى القلب يمتد

والحزن كالافق يمتد

(حزن الغياب الطويل

وحــزن الرجــوع)

يتوالد فى وجهك الحــلم

ينتشر فى الشارع

فوق الجدار الصدىء

يتجسد كل العيون الحزينة

يصبح وجهك وجه المدينة التى عذبتك طويلا

طويلا

ثم تاتيك الريــاح .

هموم الحركة الأدبيّة في البحرين

٢ ـ مسألة التجاوز

بقلم : محمد عبد الملك

لقد أشرت في مقالة سابقة (بصدى الاسبوع) الى ظاهرة تعدد وتنوع أشكال التعبير عند الادباء الشباب · وذكرت أنها ظاهرة صحية ، ومنعطفا ايجابيا سوف يثرى نتاجات الشباب الجديدة ·

ان الادب الراهن هو جزء من تراث المستقبل . وأن حركتنا الادبية الشابة لم تخرج بعد من محيط « التجربة » بكل ما تعنى هذه الكلمة وتثير من هواجس وخوف من أن تكون التجربة مضطربة وبالتالى فان التعثر يكون أولى سماتها ·

ان توقا يحمل هاجس التجاوز الذى يجب أن نفهمه فهما علميا صرفا غير مجرد هو ضرورة ملحة لنا فى المرحلة الراهنة . فالتجاوز هو من معطيات التطور الاجتماعى والفنى . ونمو التجربة الفنية فى عمومها . ونشوء علاقات اجتماعية جديدة . وبروز ظواهر تاريخية . ومن هذا المنطلق فنحن نفهم التجاوز كحركة فنية اجتماعية تاريخية · فالحياة والواقع فى حركة دائمة وصيرورة . وما التجاوز الا نفاذا للرؤية التى استلهمت قدرة « الرؤيا » من الواقع المتحرك . ومن هنا نستطيع أن نقيم مسألة التجاوز عندنا من منظار سليم أقرب الى الحقيقة العملية الملموسة . فقبل كل شىء يجب أن نثير بعض الاسئلة ونجيب عليها بموضوعية . مثلا « هل بلغت حركتنا الادبية درجة من النضج لكى تعطى هذا التجاوز ؟ ·· » . « هل التجاوز يتم جزافا بالرغبة ولتكن « عنيفة » عند الفنان لفعل التجاوز » ·· قد يبدو للبعض باننا نستبق

الزمن فى طرح هذه الاسئلة . وطرح موضوع التجاوز ككل ، ولكن هذا البعض بلا شك على غير صلة بما يجرى داخل حماة الكتاب الشباب « الملتهبة » وصفة الالتهاب هى حقيقة عملية لستها ولم أزل أحترق بها أحتراقا ممتعا ما أن ألتقى بالكتاب الشباب ، وصفة الالتهاب هذه سوف تدفع الحركة الادبية الى الامام . ان الادباء الشباب يريدون خلق ادب حقيقى . انه اندفاع فيه كل رغبة الانعتاق من قفص القرون الماضية القديم . وانه التهاب الجرى بعجلة وراء حصان .. هو سؤال .. أبسميه مصير الانسان فى الارض العربية ! .

وهكذا ضمن هاجس التطوير والبحث عن الجديد ، والبحث عن وجود لادب حقيقى يحفظه البقاء . ويكون علامة مضيئة للاجيال القادمة . ضمن هذا الهاجس وفى تيأره المندفع يثير الادباء الشباب عدة مسائل وفى وقت واحد سواء كانت فى أوانها أو غير أوانها . أو ليست تلك أيضا ظاهرة صحية اذ لم يأخذها الاندفاع بعيدا ؟ .

ولقد كانت مسألة التجاوز من ضمن ما طرح على بساط البحث ، ولقد اثرت هذا السؤال قبل شهور مضت وضمنته مقالا لم يأخذ طريقه للنشر ، لقد ظل المقال نائما فى الادراج وحين قرأته من جديد قررت نشره لالقى ضوءا حول المسألة ..

ان التحدث عن التجاوز فى الفن والادب فى وقت يكون فيه هذا التجاوز غير ممكن يعنى حرق مرحلة أدبية كاملة لم تقف على قدميها بعد . ففى نفس الوقت الذى يكون فيه «الكسل» الفكرى مرفوض فى حركة أدبية شابة ، يكون هدف التجاوز بعيدا فى الوقت الراهن . يجب ان نطور أدواتنا الفنية ، أن نعمق رؤيانا للعالم ، ان نبحث وان ندأب على البحث دون كلل ، ان نحاول الاستفادة من تجارب الاخرين ، أن حديثنا عن التجاوز فى المرحلة الراهنة هو رغبة للقفز فى الهواء ، الفنان هنا شبيه بالذى يحاول أن يقتحم عالما لم يتعرف عليه بعد ، وبالتالى قد يلجأ الكاتب الى لغة التقليد ، تقليد التجاوزات التى تمت فى بقاع أخرى من العالم ، ضمن تجربة خاصة ، لها ظروف ذاتية خاصة ، هذا اذا لم يتم أمر آخر أشد اضطرابا هو تقليد التقليد .

بعض الكتاب فى الوطن العربى يستوردون آخر نتاجات الفن فى الغرب ! .. وبالتالى يلبسون قفازات الفن الحديث ، ويكتبون ، فهل نقوم نحـــن بدورنا بتقليدهم مثلا ؟ .. وبالتالى هل تكون رغبة التجاوز بطاقة ممنوعة على الادباء الشباب ؟ هل نرجح وباسم « التطور » رغبة الاســـتلقاء فى قاعات الادب . والمراوحة فى المكان ؟ ان رغبة التجاوز عند الفنان هى جذوة عظيمة لا يجب أن تنطفىء أبدا فهى ثمرة الالتحام بالفن وثمرة الثقة الكاملة بالنفس الضرورية للاديب ، ولكن هل يتم التجاوز بمعزل عن حركة الواقع الاجتماعى ؟ هل من الممكن تخطى حواجز وهمية لم تتم بعد ؟ .. هل يحلق الطير فى الســـماء الرحبة فى اللحظة التى يولد فيها ؟ كل هذه الاسئلة فى حاجة الى تفسير .

أن ولادة التجاوز كفعل تاريخى فى الفن ستكون عسيرة ، وصعبة ، ومضنية أن يكون التجاوز حلما يراودنا فذلك الحلم هو « **عناق** » الحاضر والمستقبل نريده مضيئا للحركة الادبية ، وفرق بين حلم مجرد ، وحلم ممكن ، بين حلم مثالى ، وحلم واقعى ، تؤدى اليه حركة الحياة الطبيعية فى صيرورتها وتحولها الديالكتيكى المتصاعد .

وهنا يجب أن نشير الى أن التجاوز لن يفعله الجميع دفعة واحدة ، انهـا مسألة مرتبطة جدا بالكاتب والفنان صاحب الموهبة الذاتيـــة المتفردة التى تستطيع أن تستلهم « **المرحلة** » بشكل شمولى ، وبالتالى سيكون هذا الاديب ابن المرحلة ، ومولودها الشرعى الذى سيفسر لنا وللاجيال القادمة واقـــع هذه المرحلة وبشكل عميق .

اذن .. ليس التجاوز « **استيرادا** » للفن من وراء الحدود ، أنه أنبعـاث داخلى أو وليد ظروف ذاتية فى المجتمع نفسه ، أنه تحـول نوعى لا ينفصل عن ظروف وعمل التناقضات المتداخلة بعضها ببعض . والمسألة الاخرى ؟ لها وجهها الآخر .. ؟

هل نعلم أقلامنا وعقولنا الخمول والكسل ، والقناعة الميتة ، والتقليـد « أيضا » للاداب الاخرى وانتهى الامر ؟ هل نعيش علاقة ، مسطحة ، عرضية ، رديئة مع الفن ؟ هل نتعلم من نتاج سلفى كتب فى القرن الثامن عشر والتاسع

عشر ، ويكون كل هدفنا تقليده ؟ ان المسألة ستكون فى وضوح الشمس ها هنا ، اذ أن تجاوز ادب سلفى يعنى بحثنا عن أدوات العصر الجديدة ، أستخدامنا اياها . ولكن أن نتخطى كل شىء ، وحتى ما هو كائن ، و ٠٠ بعجـــلة ، أن المسألة ها هنا تشبه محاولة انسان أن يقفز من فوق نفسه !

أولا يأتى ذلك التجاوز الحلم اجابة فنية وموضوعية عظيمة للمرحلة اذا كان أكثر امتزاجا بالعصر ؟ وبالتالى ٠٠ أليس التجاوز هو عطاء عبقرى متفرد ؟ نعم ، انه كل هذا ولكن حين يأتى فى أوانه ٠ ولذلك ليست هذه بدعوة للرتابة وعبادة النتاج السلفى ، والكلاسيكى ، والتسليم « بالتبعية » للقديم و « التبعية » للظواهر الشعرية والروائية ، والقصصية التى « تتعلم » هذه الفنون ٠

واذ ندعو الى انتشال حلم التجاوز من التجريد ، فنحن ندعو الى « تحرر » الفنان من التسليم بما هو كائن ٠ أن التسليم بالتسليم هو انكار الفنان لقدراته الذاتية على تخطى ما هو موجود ، وهذا ضد الطبيعة ، وضد المنطق ، وضد واقع الاشياء . أنها دعوة عقيمة لفن متحجر ٠

التجاوز هو تثوير فى الفن :

كما أن الثورة لا تستورد من خارج المجتمع ، أنها نتيجة طبيعية للتناقضات داخل المجتمع ، مرتبطة بظروفه الموضوعية والذاتية . وكما أن الثورة هو تغيير يتسم « بالجذرية » كذلك يكون التجاوز ، أنه تثوير للشكل والمضمون ، هذا التثوير الذى هو نتاج تاريخى ، تراكمى لا ينفصل عن (المرحلة + الواقع) ولكنه نتاج طبيعى للمرحلة + الواقع ٠ أن التجاوز هو نتاج تراكمات كمية « فى العمل » قد يستمر فى أكثر من جيل ٠ ونقطة التجاوز هى نقطة تحـول نوعى فى الفكر والفن ، أنه منعطف يشبه الاكتشاف العظيم الرائد ، أنه ثورة فى الفن ٠

اذن ما معنى كل هذا ٠

ضمن ظروف التأزم الحضارى والفكرى والاجتماعى تصبح رغبة التجاوز « حالة نفسية » كرغبة الانعتاق من كابوس هذه الظروف ٠ أن الاستنتاجات

المثالية للواقع المتحرك المعاش تجنح بصاحبها الى التجـــريد الذى ينتهى به الى موقف رواقى ذاتى مجهول ٠

الطبيعة المثالية للتجاوز :

ان فهم التجاوز بعيدا عن المرحلة + التاريخ + الواقع . وفهمـــه كعمل خارق فردى ، لا كعمل ثورى فى الفن وحصاد جماعى لتجـــربة العصر فى مجملها ٠ فهم التجاوز بعيدا عن ديالكتيك الحياة يقودنا الى التهويم ٠

ميزتان لمن يحترقون بالتجاوز السريع :

٠٠ التوجه لفعل التجاوز توجها شكليا ٠

٠٠ نبذ التراث الادبى العالمى العظيم . والاستهانة بانجازاته الكبيرة ٠

انه هاجس احتراق ، وحرق . والتهاب . وتدمير كل ما هو سلفى . والسفر الى عوالـم سحرية طقوسها مجهولة ٠ كتاب الرواية الجديدة فى فرنســـا يقولون « نحن نتجاوز ٠٠٠ » فكيف هم يتجاوزون ؟ بتصوير ابطال وهميين . شخوصهم فى الرواية بلا أسماء . ولا هوية . متحررين من الزمان والمكان ٠ ومع ذلك فهم يقولون « نحن نتجاوز ٠٠٠ » وحين تسالهـــم ما هو الجديد عندكم ؟ يقولون : أن بطلنا بلا أسم ولا هوية لانه يمثل المجموع ٠ نحن نتحرر من المكان لاننا ندخل بوابات واســـعة تقودنا الى « عالميـــة الادب ٠٠ » ، فهل نحن نتصور أدبا عالميا لا يحمل صفته وملامحه المحلية والقومية ٠ ماذا يتبقى من صفات أدب لا يحمل سماته القومية والمحلية ؟ ثم ماهو هذا الانسان الذى يحمل كل الصفات ، وهو بلا صفات ؟

أن التجاوز كلمة سحرية التأثير عند الفنان لانهـــا فعل تاريخى كبير فى الفن ، ولكن على الفنان الاقتراب من التجاوز ليس عن طريق الانبهار والدهشة ولكن عن طريق أرض صلبة واقعية ٠

ولذلك ٠٠ أدعو الكتاب الشباب لمرافقة الادب الكلاسيكى والعصرى العظيم والتعلم منه ، أنه أول طريق التجاوز . فالفن . فى مجمله هو اتحاد العقـــول

البشرية الموهوبة فى عطائها المتدفق المتصل عبر القرون عنـــد نقطة أرتكاز واحدة هى الانسان ٠

أننى أدعو الى انتشال معنى التجاوز من التهويم ، والسحر ، اذ أن القفز ، والانطلاق الســريع فى الحياة الفـــكرية والثقافية يكون أشـــبه ما يكون بالمغامرة ٠٠ فهل نغامر ؟ وحركتنا الادبية شـــابة ، وجديدة ، ولم تقف على قدميها بعد ؟ ؟

توهج إنسان في اللحظة الزمن

حمده خميس

« يتوهج الانسان فى لحظة ما ، ويصبح عالمه الداخلى مسرحا يعكس تمازج التجربة الذاتية والوعى التاريخى والقهر الجماعى والحلم البديل · حيث يأخذ صوت كل منها يعلو موقعا لحنه الخاص ، لكنه يتلاحم فى وحدة عضوية شاملة · ويصبح العمل الفنى (بانوراما) ترصد ذات الانسان عمقا وشمولا · »

حلـــم

صوتكَ لايجيء ، يغسلنى بالدفء
يلعق جرحى وجهك البريء ·

(ضمنا معا جســـــد الارض شرشنا تفرعتْ
اذرع للسماء ، لم يسقط الثمر ·)

قراءة

قتلى أورق فى المدى صبايا
يغتسلن فى عيونى
والخليفة سوط ، يستحم فى دمى ·

صـــرخة

أسلخى وجعى ، ارتدينى كفنا
أصير مقبرة ، أقتفيكِ الى فجوتى

(لى أنياب ترحل فى الخلايا تزرع الرعبا
تصنع من جلدك الطرى نقالة للموت أو حطبا)

رؤيا

هذه قافلتى تبدأ بالمسير ٠

اغنية

عيناك يا حبيبي سفينتي
او مدن تؤمىء بالرحيل
اسكنها ٠٠ تلفنى بيادر الذهول
يشـربنى الفـرح
عيناك لى سحابة تزخنى بالوعد الفصول
انـام فيهمـا

(قد كنت طفلة مشردة
تنام فى أسرة الرياح)

طفولة تهجع فى نافذتى حنان
نهران يعبران عـالمى
أرحل فيهمـا ولا أصـل
عينـاك يـا حبيبى
عينـاك يـا حبيبى

حلم

صـوتك واعدنى

أعطانى وردة للحب ·· سلما للشمس

(خضبنى صوتك المطر

حناء بكف العرس)

السلم الجسد ، هذا

وهذى الشمس

دربى ··

راحـــلة ··

صوتك واعدنى ·· لم يأت !

قـــراءة

حملونى الى سوق النخاسة · اشترانى حذاء الخليفة

استبدل الخليفة حذاءه بوجهى ·

شدونى الى عرى ، (لبست عرى الشمس)

غسلتنى حافظة القصر المبتورة عورتها بسياط الطاعة

فسحبت سياط جنونى المتأصل فى الانسان ،

وشمت قفاه المختومة بالغلمان على مضجعه ،

فتقيأ فى ســـترته الملكيـة ·

خرجت روحى من قفص الطاعة ·

ولبســـت أنـا

وجهى الانســـان !

أغنيـــــة

لوحت لى يـداك

يداك لى بشائر عليهما علامة

تنبئنى بموعد القيامة ·

صـــرخة

أسلخى وجعى ، ارتدينى كفنا
أصير مقبرة ، أقتفيكِ الى فجوتى

(لى أنياب ترحل فى الخلايا تزرع الرعبا
تصنع من جلدك الطرى نقالة للموت أو حطبا)

رؤيا

هذه قافلتى تبدأ بالمسير ٠

اغنية

عيناك يا حبيبي سفينتي
او مدن تؤمىء بالرحيل
اسكنها ٠٠ تلفنى بيادر الذهول
يشـربنى الفـرح
عيناك لى سحابة تزخنى بالوعد الفصول
انـام فيهمـــا

(قد كنت طفلة مشردة
تنام فى أسرة الرياح)

طفولة تهجع فى نافذتى حنان
نهران يعبران عـالمى
أرحل فيهمـا ولا أصـل
عينـــاك يـا حبيبى
عينـــاك يـا حبيبى

حلم

صـوتك واعدنى

أعطانى وردة للحب ·· سلما للشمس

(خضبنى صوتك المطر

حناء بكف العرس)

السلم الجسد ، هذا

وهذى الشمس

دربى ··

راحـــلة ··

صوتك واعدنى ·· لم يأت !

قـــراءة

حملونى الى سوق النخاسة · اشترانى حذاء الخليفة

استبدل الخليفة حذاءه بوجهى ·

شدونى الى عرى ، (لبست عرى الشمس)

غسلتنى حافظة القصر المبتورة عورتها بسياط الطاعة

فسحبت سياط جنونى المتأصل فى الانسان ،

وشمت قفاه المختومة بالغلمان على مضجعه ،

فتقيأ فى ســـترته الملكيـة ·

خرجت روحى من قفص الطاعة ·

ولبســـت أنـا

وجهى الانســـان !

أغنيـــــة

لوحت لى يـداك

يداك لى بشائر عليهما علامة

تنبئنى بموعد القيامة ·

قراءة للحـــلم

أجيء كل ليلة حاملة بيارق الدخول
لا أدخل الغرابة
أدخل فى مجاعة الفصول ، فى خريطة القروح والكآبة
أقرأ فى كتاب المدن الخرابة
عويل الكلمة المصـــادرة
والاســطر الموشومة بالرقابة
امسحها بدمعتى أو دمعة السحابة
وابدأ الكتابة :
(تنهض من رمادها الحروف بذرة ٠
تنشـــق فلقتين
فلقة تدور مرة فى وجع الضحايا
ومرة فى رعشــة النبوءة
وفلقة ترحل فى الخلايا
اســقط بين بين ٠)
تمر فوق هامتى ســحابة
او طفلة بيضــاء كالســحابة
ادس اصبعى فى القلب
ـ قد احرق الخليفة المهاب
محابرى وورق الكتابة ـ
كتبت ـ حين قاربت ـ فى جبهة السحابة
« المجد للانســان فى الارض ،
وللطفل السلام » ٠
(ابتعدى ٠٠ ابتعدى سحابة
رشى بيادر الاحبة
بالمدن الدهشة والغرابة)

ابتعـــدت ..

أغنيـــــة

حبك لى وهج ، يقرؤنى من فجوة رأسى
فـرح لا يـأتى
ينسى موعده فى شرفة يأسى
أخلع أيامى قرنا قرنا
والفرح الطاغى لا يأتى
هل أصنع من حبك لى مدنا ؟!
هل أصنع من وهجك لى سـفنا ؟!
فلماذا تعطينى رجلا يتوكأ بالحب
ولا تعطينى فـرحى .. ؟!

قـــــراءة

كنت طفلة . سقطت فى ردائى نجمة الانبياء .
(رأتنى زوجة للخليفة ، حلما
كانت تفتح فخذيها لرئيس الحراس
نهضت تقطر .. كتبت .
أعطت أمرا لرئيس الحراس العاشق
والمعشوق .)
سلخوا قامتى . فتشوا فى شظايا الدماء
وجـدوا نجمتى ،
خبئوا ضـوئها فى قماش القطيفة
(كان القماش قطعة من ثوب
امرأة الخليفة .)
انطفأت .. بقيت « حجرا » فوق رأس الخليفة ،

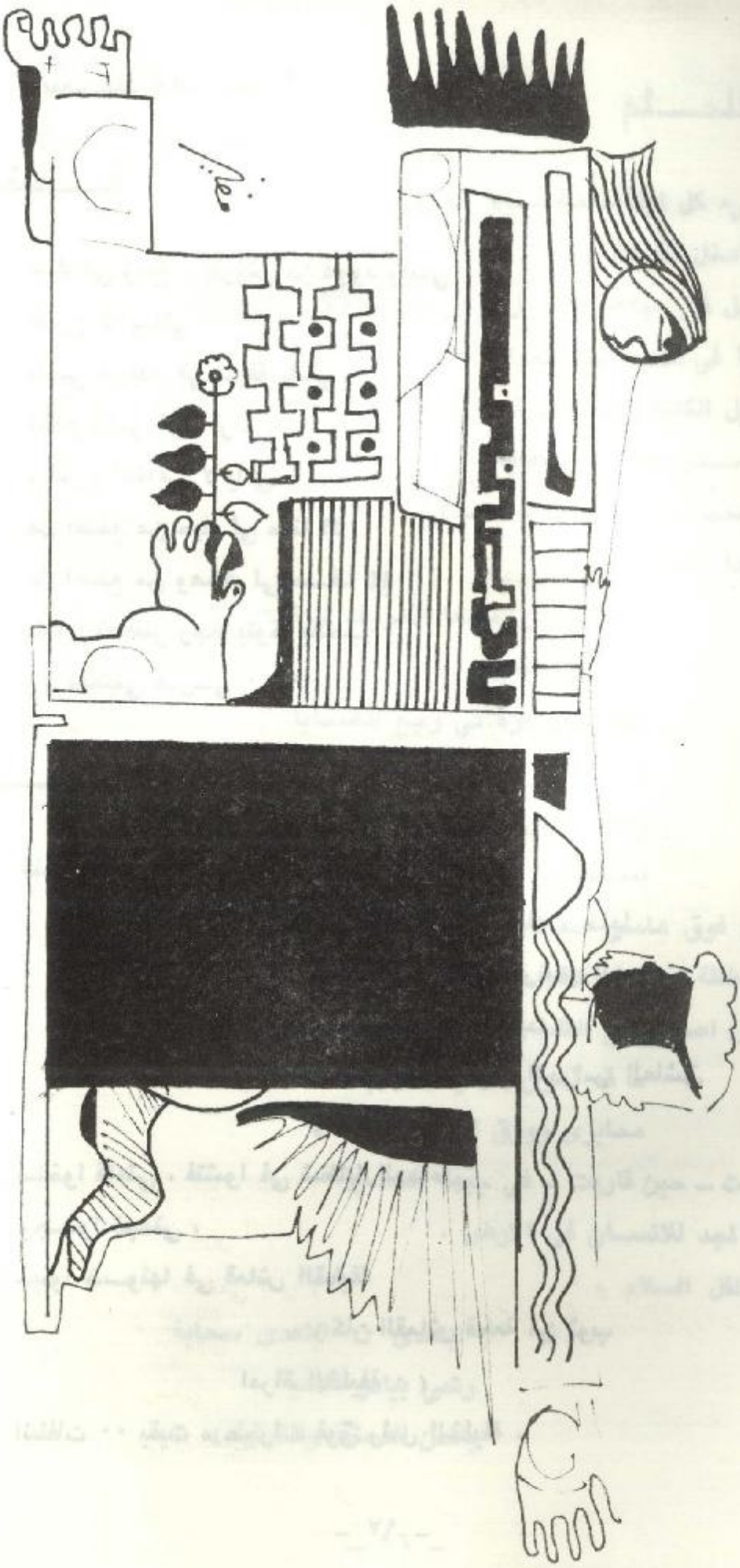

لكنها واعدتنى حين جاء المساء
سقطت فى دمى « نجمة الانبياء »

أغنيـــــة

اسـقطى يا ريـاح
ثمـرا أو حقـول
هـذا موتى يجىء
لم تجىء الفصـول
لم ار وجه أمى يضىء
كوكباً في الرصيل
أسقطى ياریاح
غيمة واعدة
فى صحارى الافول
واعصفى فى حنايا السكون :
« هذا موت بطىء »
واكتبى فى زوايا السجون :
« جسـدى صارية
سـاخيط الجراح
بيرقا للدخـول »

قراءة

كنت نطفة فى كيمياء الخليقة
نادانى صوت حبيبى الجميل
صرت طفلة ، منحتنى أمى وجهها الآدمى
حين جـاء الخروج
صـعدت صرختى
التقطها حبيبى الجميل

حوار مع

بازوليني

بيير باولو بازوليني : شاعر ، روائى ، سينمائى ، كاتب سيناريو ناقد أدبى ، صحفى ـ قتل مؤخرا بنواحى « روما » فى ظروف غامضة ـ هو قبل كل هذه « الوظائف » الصوت الهادر الذى يتحدى مواصفات الفكر السائد ، ويزعزع الافكار الجاهزة فلا عجب أن تهتز روما بالصراخ والاستنكار بعد كل شريط من أشرطته التى يعد كل واحد منها قطعة نادرة ·· ولا عجب أن تقف الرقابة بالمرصاد فى سائر أنحاء العالم لتخنق فى المهد رسالة « الفرح والحياة والاحساس المرهف » · لقد كان بازوليني من أوائل رواد مايدعى بـ « السينما المؤلفين » الذى اكتشف أن السينما لغة شاسعة ومعقدة كما أنها فى نفس الوقت منغرسة فى الواقع الثقافى والاجتماعى ·· وتستجيب بسهولة للصياغة الايحائية ·· ومعظم أفلام بازوليني تتخذ الاسطورة والحكاية كعتاد للرسالة المرئية ·· وكوسيلة للانصات لاصوات من غياهب التاريخ ، واشارات يختزنها الانسان فى لا وعيه ،ورموز تشع من كيانه المادىالذى يتمثل حسب رأى بازوليني فى الجسد فالاسطورة عنده هى الحلم ، وتفكير دائم حول « المقدس » و « الحنين الى الاسطورة » و « الفرح الوثنى » الذى يقتل ويحيى ·· من خلال هذه العوامل والصيغ يطرح بازوليني الواقع الآنى ويرمز بالحاح الى نهاية « الاسطورة » هى نهاية العالم وان أساطيرنا الحديثة التى ابتدعناها ابتداعا لم ترو ذلك العطش الابدى من أجل الحرية : حرية أن نحب ، وأن نناضل وأن نغير العالم وأن نحفظ للفرد أنسيته ·· وهكذا يكون الاستيحاء الاسطورى الصيغة الرئيسية

التى تميز ابداع بازوليني وراء الكاميرا أو أمام ورقة عذراء يرسم فوقها قصيدة أو صرخة ، نداء استغاثة ، ودعوة « يائسة » للعودة الى النبع الصافى ·

●●●

● **« ميديا » ، « أوديب ملكا » ، « الف ليلة وليلة » ·· لماذا هذا اللجوء المستمر للاساطير والحكايات ؟**

– يجب أن نضع تفرقة بين « الاسطورة » و « الحكاية » ، فالاسطورة تدخل ضمن الفكر ، حين بدأت انجاز أفلام واقعية كشريط « ماما روما » ، كنت أخلط بين الاسطورة والواقع ، وحين انجزت أفلاما أخرى ك « ميديا » و « أوديب ملكا » مزجت بين الاسطورة والحكاية دون أن أمنح لهذه الاخيرة أهمية خاصة · اننى أكره الحكاية من أجل الحكاية ولكننى أحبها حين تنتمى الى الاسطورة وحتى الاسطورة فى حد ذاتها لاتهمنى أيضا ، وهى تشكل بالنسبة لى فقط رمزا ايحائيا كما يظهر ذلك من « تبوريم » و « ميديا » و أوديب ملكا » ·

● **هل يمكن استعمال الاسطورة فى الوصول الى الحاضر عبر الماضى ؟**

– فعلا ·· أن « ميديا » رمز ايحائى يعبر عن مجابهة بين عالم متوحش وبدائى ، عالم البراءة القاسية ، وبين العالم الرأسمالى الحديث ·

● **ماذا تمثل بالنسبة لكم ثلاثيـــة ديكامرون « قصص من كانتربورى » و « ألف ليلة وليلة » وما هى الرابطة بينها وهدفها النهائى ؟**

– أن هذه الاعمال الثلاثة أعمالا « افتتاحية » وضعت الاسس للادب بمعنى أن بـ « ديكاميرون » بدأت الاداب الايطالية ، وبـ « قصص من كانتربورى » بدأت الاداب الانجليزية و « الف ليلة وليلة » هى العمل الادبى العربى الاول ·· وهناك رابطة أخرى وتتمثل فى أن هذه الاعمال الثلاثة التى هى جد شعبية ، وحيث يعد الشعب البطل الوحيد ، انها أعمال « دينية » يتحول معها الدين اســـطورة ، واعتقادا يقينيا للانسان ·

● **ما هى الاعمال التى تتمتع بحرية أكبر فى التعبير ؟**

ـ انها أعمال ترثيه وذات حرية كبرى حيث يتم تصور الدين فقط من وجهة نظر اسطورية ، أن الامر يتعلق بالتصوير والتعبير عن الحياة الشعبية ، فمنذ ١٥ سنة كان هناك فى ايطاليا شعب له ثقافته الخاصة ونمطه الخاص فى الحياة، وحقيقته المادية ، وحركات متميزة ، أما اليوم فلا وجود لطبقة شعبية وهناك فقط بورجوازية صغيرة كثيرة العدد ٠٠ لقد انجزت هذه الاشرطة الثلاثة لأصور الشعب كما كان ٠

● **صورتم عدة أشرطة فى اليمن وايران ، وسوريا والمغرب ويظهر أن العالم العربى والاسلامى يسحركم ٠٠ لماذا ؟**

ـ يعود ذلك الى أنه يحتوى على مزيج من التدين والحرية ، وأعتقد أن العالم العربى تراثى للغاية ، فهناك الايمان العميق وهناك السلوك بهذا الايمان فى الحياة اليومية ٠

● **يرى بوتيكورفو وروزى وداميانى أن السينما هى قبل كل شىء سلاح من أجل الكفاح السياسى ، فعلى أى مستوى يظهر التزامكم السياسى ؟**

ـ أنجزت أشرطة سياسية وخصوصا شريط « ١٢ ديسمبر » وهو غير معروف خارج ايطاليا ، ويتعلق الامر فى هذا الفيلم بقضية من قضايا الاحداث الانية بايطاليا : قنبلة الفاشيين ، مسؤولية البوليس والحكام ، الفيلم وثائقى لاننى أؤمن بالسياسة التى تتم صياغتها فى شكل روائى ، بل أؤمن بالتدخل السياسى المباشر أى بواسطة الوثائق ، والاخبار ٠٠ انه لامر مستحيل أن نخلق التدخل السياسى المباشر بأفلام خيالية ، تحكى قصة ، وتؤديها شخصيات ٠٠ فاللعبة تكون خاسرة منذ البداية ٠

● **لكن شريط « قضية ما يتى » لروزى يعرض مجموعة من الوثائق ؟**

ـ نعم ٠٠ ولكنها أمور يعرفها الجميع ويتمكن أى فرد من مطالعتها فى الصحف الايطالية اليسارية ، أن الامر هنا مجرد « صحافة سينمائية » ونجد مثلا أن « سلفادور وجوليانو » لم تستوح قصته من الاحداث السياسية مادام روزى لم ينجز الشريط سوى بعد ١٠ سنوات من وفاة سلفادور ، ان هذا

الشريط ، هو قبل كل شيء قصيدة حول حياة وموت هذا « اللص » ٠

● **ماهو الهدف النهائى من الفن السينمائى ، هل هو وسيلة للحـــلم ، لتعرية واكتشاف رموز الواقع ، أم ربما وسيلة لتحقيق الذات ؟**

ـ انه يسعى لاعطاء الفرد وسيلة للتعبير ٠

● **قد يتمكن المخرج من أن يعبر عن ذاته من خلال العمل الفنى ، ولكن على تعبيره أن يتجه نحو هدف ، ونحو مرمى نهائى ، قد يكون مثلا هو حث المشاهد على اتخاذ موقف ؟**

ـ ليس ذلك ضروريا ٠ هناك أحيانا هدف مباشر ، عملى ، رسالة تسهل قراءتها ولكن ذلك يفسر أحيانا أخرى ، هناك أفلام بونويل السوريالية حيث لاتوجد رسالة مباشرة ولكنها أفلام رائعة ونفس الحالة تجدها فى بعض أفلام شارلو حيث تلمس غياب الرسالة السياسية ٠

● **ولكن هذا لايمنع أن تكون هذه الافلام قناة لبث أيديولوجية معينة ؟**

ـ كل الافلام أيديولوجية ، ولكن يمكن أن تظل الايديولوجية مبهمة، متخفية ، غامضة أو « معلقة » حسب تعبير رولان بارت ٠

● **الى أى مدى يمكن للمثل أن يساهم بدوره فى الابداع السينمائى ؟**

ـ بنفس الطريقة التى تساهم بها الشمس والسماء والبحر ، انها حقيقة مادية ، فأنا لا أختار أبدا الممثلين بالنظر الى امكانياتهم الاحترافية ولكننى آخذ الممثل فى حقيقته كما هو ، كمنظر طبيعى ٠

● **قلتم يوما أن الممثل كالقناع ؟**

ـ ان الممثل المحترف والمتمرس بالميدان قناع ، ولكن الخطأ هنـا يعود الى المخرج ، ان المثول المادى فى التليفزيون هو دائما قنـاع ، لانه يمنع الفرد من جموحه ٠ ففى التليفزيون يعسر عليك أن تتحدث بصراحة عن السياسة والبوليس والدين والجنس ، بكلمة أخرى : ان التلفزة مسرح أقنعة ولذلك فمن الطبيعى

أن يتحول الممثل الى قناع ونفس الشيء يحدث فى السينما التجارية ، ولكن حين يشتغل الممثل نفسه فى شريط غير تجارى (شريط المؤلف) يتمكن من تحقيق ذاته ·

● **يقال أنكم شاعر الجسد الانسانى ؟**

ـ صحيح ، ففى داخل جسد كل انسان تعيش حقيقته وأيديولوجيته وقد أقرأ ايديولوجيتك فى واقعك ، فى ضحكتك ·

● **تمنحون أهمية قصوى للجنس فى أفلامكم**

ـ ليس فى سائر أفلامى ففى « انجيل القديس ماثيو »لا أثر هناك للجنس وعلى عكس ذلك هناك انفجار جنسى فى « ديكامرون » و « قصص كانتربورى » أما أفلامى الاخيرة فان الجسد يأخذ أهمية أكبر · لا وجود فيها لايديولوجية ، للرمز ، للايحاء ، وانما الحقيقة ، الحقيقة كما يعبر عنها الجسد حيث يظهر العضو كالجانب الاكثر تمثيلا ·

● **هناك بازوليني الشاعر ، الروائى ، السينمائى ولكن هناك أيضا بازوليني الذى يهتم كثيرا بعلم اللغة وخصوصا السيميولوجية ·· فالى أى مدى تؤثر هذه الشعبة من علم اللغة على أعمالكم ؟**

ـ لا يتعلق الامر هنا سوى باهتمام على المستوى النظرى والعلمى فالسيميولوجية تتطرق الى نظام الاشارات التى قد تكون على مستوى تعبير الوجه أو تكون اشارات مادية ، ان اهتمامى يعود الى اننى بالنظر الى الجسد اكتشف أنه يتحدث دون اللجوء الى اللغة ·

● **ان السيميولوجية تمكن أيضا من اكتشاف رموز العالم واشاراته وقراءاتها ·**

ـ فعلا ·

● **ما هى مشاريعكم القادمة ؟**

ـ اننى أتردد كثيرا بين ٣ أفلام ، ويتطرق الاول الى الايديولوجية وهو فيلم

ساخر وايحائى وتقدم فيه الايديولوجية فى صورة كوكب يطارده ملك ساحر وخلال هذه المطاردة يكتشف هذا الأخير أن الواقع متناقض مع الكوكب ـ الايديولوجية ، انها رحلة طويلة تمر من نابولى وروما وباريس وميلانو ·· وهناك شريط آخر حول حياة القديس بول وسينجز بالمغرب ·

● **قبل أن تنجزوا أفلاما ، بدأتم بكتابة قصص قصيرة واشعار ونقد ادبى وسيناريو ، فهل السينما تتويج لبحثكم عن ممارسة معنوية كاملة ؟**

ـ مازلت أكتب الشعر ، والتراجيديا الشعرية ، وأنا منهمك الان فى كتابة رواية مطولة ، لم أتخل عن الادب ·

● **لا يتعلق الامر بتقدم اذن ··**

ـ لا ، يمكننى أن أصور الذى تمنحه اللحظة ·

● **ولكن السينما تعطى فرصا أكثر مما يمنحه الادب ؟**

ـ لا يمكننى أن أصور مناظر بآلاف الشخصيات بواسطة الادب بينما تحد السينما هذه الامكانيات فى ألف شخص على الاقل ·

● **هل تحد السينما من خيال المشاهد ؟**

ـ لا ، فحين أختار شخصية ما ، فان المشاهد يكون مضطرا لمشاهدتها ، ولكن ضمن صورة هذه الشخصية يوجد لغز وهكذا فان خيال المشاهد يظل حرا لاعطاء آلاف التأويلات لهذه الشخصية · فالحد من الخيال يظل سطحيا ·

اعداد : عبد القادر عقيل

● الحوار مع المخرج بازوليني اجراه الناقد خالد الجامعى ـ المغرب

● بيير بازوليني ـ فالموغرافيا مختصرة :

١٩٦١ شريط « أكاتونى »	١٩٦٧ أوديب ملكا
١٩٦٢ ماما روما	١٩٦٨ انجيل ٧٠ ـ وردة من ورق
١٩٦٣ روغوباغ ـ الجبن الابيض	١٩٦٩ مجزرة ـ ميديا
١٩٦٤ الانجيل حسب القديس مائيو	١٩٧١ ديكامرون
١٩٦٥ عصافير صغيرة وكبيرة	١٩٧٢ قصص كانتربورى
١٩٦٦ الارض كما ترى فى القمر	١٩٧٣ الف ليلة وليلة

عن الموت والحب والحرية

محمّد الشلطامي

- ١ -

عبثا ان نتقى الريح التى تنشج ، والاقفال
والليل ، واضواء النيون
عبثا أن نتقى الموت ،
وانا ميتون
فى رماد الصمت أو نار الضجيج المر
انا ميتون
فلماذا تنطفى الرغبة فى أن يحلم المرء
بشمس وربيع
أخضر يطلع أعماقنا البور ، ودنيا لا تدور
ولماذا لا نثور
مرة فى هذه الدنيا التى تزحم بالموت
وانا ميتون
فى رماد الصمت أو نار الضجيج المر
انا ميتون

- ٢ -

كلمات الحب قنديلى الذى يومض فى العتمة ،

يا محبوبتى
وانا أحـلم بك
آه لن يسمعنا الآن أحـــد
غير سيف الدولة الطالع فى كل العصور
وعلى كـل الصـحف
غن ... لن يسـمعك الآن أحـد
عبثا ان ينبح المذياع تحت الشـمس
فى كـل دقيقـة
معلنا موتك فى دوامة الصمت السحيقة
غن فالروعـة ان ،
يطفئك الفاشـست فى قلبى
لكى تشـتعلى فى كل قلب
غن فالكلمة كالنخلة لا تثمر ،
من أول عـــام
لا ولن يســمعها الآن أحـد
غير سيف الدولة الطالع من كل زمان
وجـــريدة .

- ٣ -

يا لهذى اللحظات السود كم تاتى بوجه
آخـر فى كـل عـــام
ذلك اليوم الذى أحياه ؟ ام امسى ؟ وهذى
الليلة السوداء فى سجنى الجديد
غادرتنى وانـا ،
اعدم قبل الآن مرات عديدة
فلماذا الكلمات الدافئة
كالعصافير التى لن تتعلم

أن تطيـــر
قبل أن يطلقها موت المغنى
غن لن يسمعنا الليلة تحت المقصلة
غير سيف الدولة المظلوم والظالم ، غن
آه لن يســمعنا الآن أحــد

ـ ٤ ـ

آه كم تبدو ثقيلة
هذه الصخرة بين الليل والصــبح ،
وما عندى وســـيلة
لعبور الموت كى تعبق أعياد الطفولة
تحت وجه الشمس فى دنيا نبيلة
آه ما عندى وســيلة
غير ان تمتد عبر الموت والغربة ،
أيـــام العــذاب
آه كــم تبدو ثقيلة
هذه الصخرة بين الليل والصبح ، وما عندى وسيلة
غير ان أحفر ما يقرؤه الحزن ،
وما تمليه فى القلب الجراح
لا تلمنى فالصـــباح
بابه الغربة والترحــال
والليــل الطــويل ٠

ـ ٥ ـ

بوركت حرقة هذا الظمأ المشــبوب فى ســاعة
ميـــلاد القصــيدة
اقبل الصبح من الكوة يا سجانى البائس ،

فالشمس الجديدة
والاذاعات وأصوات صغار الباعة السمر ،
واسفلت الطريق
والمقاهى
والتلا ميذ وأنباء حروب العالم الاقصى
ونصل الخنجر الملفوف فى كل عقيدة
اخبرونى اننا بعد بشر
ونغنى تحت أسماء عديدة
بوركت حرقة هذا الظمأ المشبوب ،
فى ساعة ميلاد القصيدة ٠

- ٦ -

وتعلمنا الكتابة
وأعدنا الحب من طاحونة الحزن وضوء ،
القمر الخابى واشجان الربابة
للعصافير واحلام حفاة العالم الثالث ،
بالشمس على بوابة الفجر البعيد
واعدناه جديد
راية حمراء فى كل جبل
صيحة الرفض التى تهدر من كل بطل
وأعدناه جديد
ثائرا بشر بالثورة فى كل مكان
فلنغن والزمان
أبدا يحفر مايقرؤه الحزن ،
وما تمليه فى القلب الجراح
ولنغن فالصباح
قادم يحمل فى راياته الحمراء

آلاف المواعيد الجميلة .
قادم كى يستعيد العالم المقهور
أعيـــاد الطفولة .

- ٧ -

عيدنا الآن على مهلك يا محبوبتى
فانا أحـلم بك
نجمة حمراء فى القلب ، ووجها
آخرا للبعث فى دنيا تموت
عابرا يطرق فى العتمة أبواب البيوت
ويغنى
كيف لا يكسر هذا الكاتب المثقل بالهم ،
قيـــوده ؟
ويمـوت
هادما أسـطورة الموت العقيمة
رافضا كل الشـعارات القديمة
شـاهرا سـكينه المسحور فى وجه الهزيمة
عيدنا الآن .. على مهلك يا محبوبتى
فانا أحـلم بك .

- ٨ -

يجهل السـلطان أن الكلمات ،
الدافئـة
كالعصافير التى ترحل من كل مكان
والى كـل مكـان
دون أن تحمل تصريح الدخـول
يجهـل السـلطان أن ،

الكلمات الخضر ،
لن تفنى ، ولن تولد فى ،
بوابة القصـر الكبير
ولذا يحـفر قبره
حينما يحفر قبر الكلمة
ليكن قبرك جسـرا للصـباح
قال لى يـوم السـفر
وتبادلنا التحيات التى تقطر بالهم
وقلنـا نلتقى
وبكى من قبل أن يغلق دون الشمس
بـاب الحافلة
وتحطمنا على بوابة الصمت ·· اشتعلنا
واحترقنـا
سـاعة ارتاحت على كفى كفاه ،
وقلنـا الخـونة
سـلبونا كل ما نملك يا قلبى ،
وانا لاجئـان
وبلادى رحلت فى الحافلة
فلماذا لا نغنى
هذه الميتة تحت الشمس ، فالدنيا الجميلة
لم تزل تحـلم بالفجر الكبير
وباعياد الطفولة
رغم ما قالوا ، وان الشمس فى كبد السماء
فلماذا لا نغنى
ذلك الجرح الذى يطلع فى كل العيون
وعلى كـل محطـات السـفر
سلبونا كل ما نملك يا قلبى ،

وانا لاجئـــان
وبلادى رحلت فى الحافلة
أنا لا أستورد الفكرة ،
لـــكن الحنين
عندما يعصف بالجرح الذى فى داخلى
تولد الفكرة فى القلب كجرح ،
آخر يدفعنى أن أتغنى
بجـراح الآخـرين
ولأجل الآخـرين
وأنا لا أملك الآن وطن ،
لا ولا أملك غير الحب فى القلب ،
وشمسا لا تغيب
وبلادى رحلت من لا مكان
والى كـل مكـان
فليكن موتى جسـرا ،
للصـــــباح .

سمفونية الى حب في الخليج

علي الفزاني

المسافات طوال
وبساط الريح ـ لا يطوى روايا
آه لو مزقت صمتى ـ وتناثرت ـ على الريح شظايا والتقينا احرفا سحرا ـ
عذارى
لم ينلها رجس انس ـ فى عشايا
عندها ـ بالطهر ـ أنتم تملأون الدار منا
ونغنى محنة الاوطان شعرا لم يضرج بالرزايا
كله رفض ـ أى شيء ؟ غير دنيا الرفض فى دنيا البغايا !
كلهم يشكون عقما ـ هذه الصحراء حبلى
والمواليد ضحايا !
تاجروا بالزيف فينا ـ اعذرونى « عمر المختار » لم يساوم ببغاوات القضايا ·
أصدقائى اعذروتى كلما سطرت حرفا ·
خفت من ظلى ـ ووجهى فى المرايا
اعذرونا ـ اننا من طينة الشجعان لكن كيف نقوى
نحن ما عدنا نرى شمس النهار
ضيعتنا هذه الاصنام جيلا بعد جيل بالاغانى والحكايا
لم أعد أدرى « أصهيون » عدوى أم هنا ـ حولى ـ عدايا

واحد يذبح طفلا ومئات تصلب الفكر على كل الزوايا
وينادى فى هزيع الليل ـ ذئب ـ « حرروا الارض » وهذى فى أسى القيد بدايا

●●●

حين لم تأت الرســـائل !
قلت ضاعت غادتى السمراء فى ذاك الخليج !
أنكرتنى فى ربيع الحب ـ يا قلبى المضيع
لم هذا ؟ ـ مر عام أثر عام ـ دق بابى وأتانى امرؤ كان مقنع
مد لي ـ نصف ـ رســـالة
ومضى عبر الظـــلام .

قصص قصيرة

عبد القادر عقيل

١ ـ الغريب :

توقف المصعد · انفتح الباب · وجه امرأة حسناء · ابتسامة عريضة على شفتيها · ترتد الابتسامة حين تلتقى عيناها بك ·

« ـ اسمحوا لى أيها السادة ، هذا الشخص لا يسمح له بالدخول » ·

يحمر وجهك خجلا وهى تشير بأصبعها نحوك · تدير رأسك صوب الاصدقاء · يقوم احدهم بدس ورقة نقدية فى فتحة صدرها · تعود تلك الابتسامة العريضة · تهمس فى اذنك برقة · « المرة القادمة لا تنس ربطة العنق » ·

(كانت الفتحة الواسعة فى طرف القميص تزعجك · طلبت من أختك الصغيرة عدة مرات خياطتها ، لكنها كانت تنسى أو تتناس ·

« ـ أبى لماذا خلقنا هكذا » ·

فكر طويلا ثم قال :

« ـ سأسأل سيدنا الشيخ ») ·

« ـ هذه الطاولة تناسبكم ، تفضلوا » ·

اضاءة خافتة · اللون الاحمر يضفى على القاعة الواسعة سحرا غريبا ·

الفرقة الموسيقية تعزف أنغاما هادئة ٠

« ـ هل تعرفون أن هذا أغلى مطعم فى المدينة » ٠

« ـ تصور ، عشاء لى ولزوجتى باربعين دينارا » ٠

أردت أن تطلق صفيرا لشدة الدهشة ، لكن ٠٠

(« ماذا بك اليوم ؟ » ٠

« ـ أربعون عاما ثم يطردنى ، ربيت أطفاله كما ربيته » ٠

« ـ فلترفع الدعوى ضده » ٠

« ـ أمجنون أنت ، من يسمع شكوى أمثالى ؟ ») ٠

الفرقة الموسيقية بدأت تعزف موسيقى جنونية ٠ يقوم رجل ، تتبعه امرأة ٠ يتوسطان القاعة ٠ يهتز جسدها الطويل برقصات عنيفة ٠ الاخر يحرك رجليه ويديه راقصا ٠ يهز رأسه بحركات غريبة ٠ يقوم آخران ٠ واحد ٠ اثنان ٠ واحد ٠ اثنان ٠

(قالت وهى تبتسم :

« هل تستطيع أن ترقص » ٠

« ـ أنا أرقص ! » ٠

« ـ أنا أرغب فى الرقص » ٠

رفعت يدك عاليا ٠ هويت على صدغها بقوة ٠ بكت أمامك ٠ خشـــيت أن لا تكلمك مرة أخرى ٠ لكنها فى اليوم التالى أحضرت القميص بعد أن خاطته ٠)

« ـ بيرة » ٠

« ـ لا ٠٠ لا أشرب » ٠

« ـ هل تخشى أن تستفرغ ما فى جوفك ؟ » ٠

ضحك متواصل · أنت تسكت حتى ينتهوا من الضـــــحك · أنصر الى الاجساد المشتعلة · ألا تتحرك فيك الرغبة ؟ · هل تملك الجرأة على اختراق هذه الدائرة ؟ · تمزق الثياب التى تغطى الاجساد · تصرخ بأعلى صوتك :

« ـ ليتقدم الجائعون » ·

(« ـ رأيتك تمارس عملا خاطئا » ·

السؤال · السؤال ·

« ـ أنا ؟ » ·

« ـ سيضر بجسدك ، وقد تصاب بالعمى أو الجنون » ·

السؤال ·

« ـ لا أفهم » ·

« ـ انتظر حتى تتزوج » ·

مدية حادة تنغرز فى جسدك · تقطع أوصالك · فى هذه اللحظة تمنيت الموت أو أن يفقد والدك ذاكرته ·)

« لماذا لا تشاركنا » ·

« انسى همومك واشرب » ·

(« ـ ماذا بك ؟ » ·

« ـ لا راحة الا فى القبر » ·

« ـ ماذا حدث ؟ » ·

« ـ طلب منا الخروج من البيت » ·

« ـ وأين سنذهب ؟ » ·

« أسأل والدتك » ·)

تشعر برأسك تتثاقل · رغبة فى التقيؤ · هم يدفعون لك بالكؤوس وأنت تتجرعها · تسمع ضحكاتهم ·

« ـ لا تحاول أن تتقيأ على ثيابك » ··

« ـ تستحق جائزة » ·

الرأس تكاد تنفجر · تشعر بحرارة غريبة فى جســـدك · تتمنى أن تكون فى الفراش · أن تبتعد عن هذا المكان · أن يكفوا عن الضحك · الموسيقى · الرقص · الشرب · ويغيب كل شىء ·

٢ ـ المطـــر :

ـ ١ ـ

هطل المطر بغزارة ذات صباح · أغرق وجه المدينة · اختبأ الناس فى بيوتهم · الشارع خال · المطر لا يهدأ ·

سأل صبى صغير والدته :

« ـ هل صحيح ان المطر يتكون من بخار البحر ؟ » ·

فتحت فمها مدهوشة · لم تصدق ما سمعته · أسرعت الى زوجهـــا تلهث · وقف يراقبها · صرخ فى وجهها : « ماذا حدث ؟ » ·

بعد ان استردت أنفاسها قالت :

« لا أدرى ماذا أصاب ابنك » ·

« ـ ماذا حدث ؟ » ·

« ـ يقول ان المطر يتكون من بخار البحر » ·

أراد أن يتكلم · لم يستطع · قال بحزن شديد : « أين هو ؟ » ·

- ب -

المطر لا يهدأ · الصمت يتجول فى الشوارع · الصبى الصغير يبكى · الاب يسرع فى خطواته · يصل باب المسجد · يمسح الماء عن وجهه المبلل · البكاء لا يتوقف · الشيخ يفتح الباب ، يقول بانزعاج :

« ـ هل أصابك مكروه ؟ » ·

« ـ مصيبة »

« ـ تكلم »

« ـ ابنى هذا يقول أن المطر يتكون من بخار البحر » ·

انتظر جوابا · تفرس الشيخ فى وجه الصبى · رفع يده · انزلها بقـــوة على طرف رأسه · يزداد البكاء ·

« ـ ملحـــد » ·

- ج -

المطر لا يهدأ · غاب الصمت · الشارع ملىء بالضجيج · عند باب المسجد تجمع الناس · خرج الشيخ · بوجه غاضب قابلهم ·

« ـ مصيبة أيها الرجال » ·

سرت همهمات بينهم ، ارتفعت حتى أصبحت صراخا · رفع يديه ·

« ـ اصغوا لما أقوله ، سمعت اليوم صبيا يقول أن المطر يتكون من بخار البحر » ·

أصوات احتجاج ·

« ـ هل تعرفون أين تعلم الصبى هذا الكلام ؟ » ·

« ـ أين ؟ أين ؟ » ·

« ـ فى المدرسة يا رجال » ·

ـ لن يذهب أولادنا الى المدرسة » ·

ـ د ـ

المطر لا يهدأ · مجموعة من الرجال الاقوياء دخلوا المدرسة الصغيرة · مزقوا الاوراق · حطموا كل شيء · طاردوا معلما كان فى المدرسة · ضربوه على أجزاء كثيرة من جسمه · سقط فى الوحل ولم يفق ·

ـ هـ ـ

المطر لا يهدأ · الصمت يتجول فى الشوارع · الصبى الصغير ينظر من خلال النافذة · يتساءل : « والمطر هل يتكون من بخار البحر ؟ » ·

المســـــافة

وقف يراقب السماء · كان لونها ازرقا · فتح شقى انفه · استنشق كمية كبيرة من الهواء · شعر بسعادة عجيبة تغمره ·

« ـ ما أجمل هذا الكون » ·

ركب سيارته البنفسجية الصغيرة · رسمت السيارة خطين أسودين على وجه الشارع · انبعثت من الراديو أغنية :

« اضحك عليهم والا سيضحكون عليك »

ابتسم · ضغط أكثر على دواسة البنزين · ازدادت سرعة السيارة ·

كانطلاقة الرصاصة كانت السيارات الاخرى تتخطاه · يحاول أن يلحقها · يتراجع حين يفشل ·

« ـ الى أين يذهبون ؟ » ·

فكر ·

« ـ اينما ذهبوا فأنا معهم » ·

فزع لوجود حفرة واسعة فى وسط الشارع · انحرف بالسيارة خشى أن تصطدمه سيارة مجاورة · كل شيء على مايرام · تطلع السائق اليه بغضب · شتمه · بعدها لم ير اثرا للسيارة ·

فكر فى الموت · تنحرف السيارة · تصعد الرصيف · يقابله عمود كهربائى · السيارة على العمود · الانفجار · المستشفى · النقالة · المقبرة ·

ضحك بشدة وهو يتخيل نفسه قائما من القبر ،، يلاحق الذين وقفوا على رأسه للبكاء عليه ·· فكر فى أن يقتل · كلهم يقتلون ، لماذا لا يقتل · فلاح يبتغى عبور الشارع · يسدد وجه السيارة نحوه · يندفع · يرتفع جسد الفلاح عن الارض · يهوى على الارض · دمه يصبغ الشارع · أهل القتيل · المحكمة · الكفالة · الثار ·

بعد عدة منعطفات ، أوقف سيارته · مكان جميل · كيف غاب عن باله مكان بهذه الروعة · واد واسع مغطى باللون الاخضر · السيارات متناثرة فى كل مكان · لاحظ انهم ينزلون ، يشرعون فى الاكل ، يتحدثون قليلا ، يحركون سياراتهم ، يذهبون ، بحركات سريعة جدا · تاتى سيارات أخرى · ينزل منها آخرون · يقومون بنفس العملية · اقترب منه شخص لا يعرفه · قال بهدوء :

« ـ لا تقف ، انتهى دورك » ·

هز رأسه علامة الموافقة · أدار محرك السيارة · ذهل · جرب مرة ثانية · ثالثة · السيارة معطلة ·

قال له مبتعدا :

« ـ حظك سىء » ·

باضطراب بالغ نزل منها · فتح غطاء الآلة حاول أن يحرك بعض الاسلاك · عاد لتشغيلها · لا فائدة · ازداد اضطرابه · أشار لسيارة مسرعة بالوقوف · لم تقف · سيارة أخرى · لم تقف · لا أحد يهتم به · انزعج · شعر برغبة فى البكاء · الصراخ · العودة · ضرب بقبضة يده على السيارة · عاد مرة أخرى لتشغيلها · لا فائدة ·

ذهب لطلب المساعدة · التقى بعدة أشخاص · قالوا له دون اكتراث :

« ـ مشغولون جدا » ·

امرأة مسنة قالت له :

« ـ لقد قضى عليك » ٠

قال فى نفسه :

« كلهم مجانين » ٠

عاد الى سيارته ، لمح جرافة كبيرة تبتعد ٠ سيارته معلقة بين أسنانها ٠ ازداد اضطرابه ٠ ركض ليلحق بها ، لكنها اختفت ٠

جلس يبكى وحيدا ٠ اقترب منه شخص لا يعرفه ٠ قال :

« ـ لا تنفع الآن فى شىء »

ضحك عليه كثيرا ٠ ابتعد عنه ٠

عندما اقترب الليل ٠ كانت السيارات تغادر الوادى ٠ أشار لها بالوقوف لا أحد يقف ٠

صرخ بأعلى صوته :

« ـ اللعنة عليكم » ٠

الوادى الاسود صامت ٠ سكون تام ٠ تحرك من مكانه ٠ لا يعرف الى أين يذهب ؟

شاهد أناسا يتحركون ببطء من أقصى الوادى ٠ راقبهم بدهشة ٠ كانوا يجمعون بقايا علب الاكل المتناثرة ٠

تقلص خوفه ٠ قال لنفسه :

« ـ لست وحيدا » ٠

تابع سيره مسرعا نحوهم ٠

لا أنتَ أنتَ .. ولا حواء حواء

فهد العسكر

لا الروض روضٌ ولا الصهباء صهباءُ ... ولا النـدامى ميـامين أحبـاءُ

شـط المـزار فـلا طيف ولا أمـل ... أين الأخـلاء لا عـاش الأخـلاء

(حـواء) أواه من داء تأصـل فى ... قلبى فعـز الـدوا واستفحل الـداء

ومن لواعـج شـوق قطعت كبـدى ... حتى رثى لى أعـداء الـداء

من للجـريح وقـد شُـقت مـرارته ... من للحـزين وقـد مسـته ضـراء

من للكئيب وقـد أودت بمهجتـه ... كآبة فى صـميم النفس خرسـاء

فـلا الطعـام مسـاغ حين يطعمه ... ولا يبل صـداه ـ ويحـه ـ المـاء

يعيش فى هـذه الدنيـا بـلا أمـل ... نصـيبه نـوب منهـا وأرزاء

يا مشعل الروح كم قال العواذل لى ... لا أنت أنت ولا حـواء حـواء

هجـرت والـروح لا تنفك حـائرة ... وجـرت والأذن عن شـكواى صـماء

وفى جحيـم الجـوى نفس معـذبة ... ومـا لطـرفى مـذْ فـارقت اغفـاء

سـلى الصـبا اننى أودعتـه نبـأ ... وطالمـا هيجتنى منـه أنبـاء

حـواء تذكـار ذاك العهـد برح بى ... وما انـا يا حيـاة الروح نسـاء

هـذا هـو الكأس فى كفى سـاشربها ... فهى الـدواء وقـد كـل الأطبـاء

فلسـت أول مشـتاق تجرعهـا ... ومغـرم أودعتـه القبـر حسـناء

وهـا هى الـروح قربانـا أقدمهـا ... يا مذبح الحـب لا عـاش الأشـحاء

نشرت فى العدد (٢٤١) من جريدة (البحرين) ١٥ شوال ١٣٦٢ هـ ١٤ اكتوبر ١٩٤٣ .

حول تفهم الشعر حديثاً

إبراهيم العريض

كان الاستاذ ابراهيم العريض ضيفا على تونس في أيام الاحتفال بالذكرى العشرين للاستقلال وقد ادلى بحديث قيم حول تفهم الشعر حديثا لمجلة (الفكر) التونسية ، ننشره هنا لاطلاع القارىء ٠

أولا : الشعر والجمهور

يتحاشى السواد الأعظم من الناس النظر فى الشعر وكل ما له مساس بالشعر ، تحاشيهم الغوص فى البحار ٠٠ طلبا للآلىء ٠ فاذا التفتوا راضين ـ مرة ـ الى آثار هذا الفن ، كان التفاتهم الى جمال الصياغة ، دون التفاتهم الى جمال التعبير ٠ والبون بينهما شاسع ٠ فالصياغة لا تستلزم معنى الحياة ، بينما التعبير لا يكون الا عنها ٠

ثانيا : دراسة التطور فى الشعر

فاذا حاولنا أن نفهم ما يتيح للشعر معنى الايصال ، فان ذلك لا يمكن الا عن دراسة تطوره عبر العصور ٠ وهذا يكون من عدة وجوه :

(أ) من الوجهة التاريخية : فندرس ما كان عليه حال الشعر فى مستهل هذا القرن مثلا ، وكيف أخذ يتطور فى شكل صياغته وأسلوب تعبيره ، حتى انتهى أمره فى أعقاب مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ ٠٠ متدرجا ٠٠ الى حالته الراهنة من التدفق الحر والشعبية والانطلاق من كل قيد ، تحت تأثير النماذج الأجنبية ٠

(ب) من الوجهة الجمالية : فندرس الشعر كفن ، اذ الشعر من الفنون الجميلة ، ولعله أوسع هذه الفنون مجالا ٠ وقد كان فن العرب الأوحد يجدون فيه متنفسا لشعورهم الجمالى ٠

(ج) من الوجهة المكانية : فندرس على ضوء الأحداث التى تمر بفئة من الناس ، فى بقعة بعينها ، ما يجعل للشعر الذى يصدر عنهم صبغة خاصة يتميز بها على ما يصدر عن سواهم من الناس · فتطور هذه الأحداث لابد ملاق له ظلا مماثلا فى الشعر الذى يرافق الأحداث · كالشعر الصادر عن اللاجئين مثلا ·

(د) من وجهة ذوات الشعراء : فندرس الشاعر انسانا ، لان الشعر على اطلاق الكلمة لا وجود له ، وانما الذين يوجدون ويموتون هم الشعراء · وممكن اذن متابعة ما يظهر للتطور من أثر فى انتاج الشاعر نفسه ·· بين يومه وأمسه ·

(هـ) من وجهة مواضيع الشعر : فندرس فيها غير معنى الالتزام ، فان الموضوع الواحد يتناوله أكثر من شاعر فيظهر فى معالجتهم جميعا للموضوع بين زمان وآخر ، كيف تختلف بهم السبل فى ضوء تطور الأحداث ·

(و) من الوجهة الغائية أو الانسانية : فندرس المعنى الكامن فى الشعر نفسه ، فان وراء أغراض الشعر القريبة من حماس وفخر أو مدح ورثاء أو غزل ونسيب ـ حسبما نفهم من أبوابها عندنا ـ غاية أبعد ، هى :

١ الوعى بالواجب الاجتماعى ، ٢ التفتح لجمال الحياة · وفى كلتيهما نوع من الالتزام ·· فى الأولى نحو المجتمع وفى الثانية نحو الذات · والشعر (مذ كان) ـ تراوح بين المجتمع والذات ·

(ز) من الوجهة الصياغية أو الشكلية : وهى أسهل الوجهات تناولا وأيسرها عرضة للتحليل ، لأنها أقربها من مفاهيم الجماهير لادراك معنى التطور ، وان كانت أقلها دلالة عليه بالمعنى الصحيح ·

ثالثا : نظرة النقاد الى الشعر

ومجالها تغير الأذواق · فقد كان يقال أمس : كل ما لم يكن شعرا فهو لترسله نثر على الاطلاق · أما اليوم فالنقاد يقولون : كل ما لم يكن نثرا فهو لغموضه شعر على التأكيد · ومن هنا هذه المذاهب المتعددة فى تأويل وتحديد مفهوم الشعر الحديث ·

عشاق .. يحلمون بالوعد

عبدالرحمن الصوير

مدخل :

العشق ، والوجد ،والحـــلم ، والوعد ، والغربة ، والتوحد ·· هـذه المفردات وغيرها شاع استعمالها فى الشعر الجـــديد ·· وهى مصطلحات تداولها المتصوفة فى معان دينية ·· ولكن أرباب الشعر الجديد استعاروها لاغراض سياسية ·· وبالرغم من اختلاف الغرض الا ان هناك وجه شبه بين المستعار منه والمستعار له ·· وهناك بالطبع وجه خـلاف جوهرى بين العشق ـ مثلا ـ بمدلوله الدينى وبين العشق بمدلوله السياسى ··

فمن أوجه الشبه بين المدلولين : التضحية والايثار ، والديمـــومة ، والتوجه ، والفاعلية ، والانسانية ··

ومن أوجه الخلاف بين المدلولين : أن تجـــربة العاشق الصوفى فردية مثالية ·· وتجربة العاشق السياسى فردية ذات بعد اجتماعي فى اطار واقعي ·· والمتصوف يحاول أن يبنى جسرا بين ذاته الصغرى الناقصة وبين الذات الكبرى الكاملة ·· والعاشق السياسى يحاول ان يبنى علاقة جدلية من الوعى بين ذاته الفردية وبين الذات الاجتمـــاعية ·· بين (الانا) الشخصى وبين (النحن) الجمعى ··

مما تقدم يمكن تعريف العشق السياسى بأنه : فعل ثوري ايجابي انساني هادف وملتزم بقضايا المجتمع ومشاكله ··

ولكن هل كل من رفع العشق شعارا أصبح عاشقا ؟!.. فى الواقع .. العشق ممارسة وسلوك قبل أن يكون اعلانا يلصق فى بداية القصيدة او وسطها او نهايتها .. والعاشق السياسى .. الشاعر الفارس .. قلة لا تتجاوز اصابع اليد فى اى بلد .. اما العشاق السياسيون الذين لم يستطيعوا التعبير عن تجاربهم من خلال الكلمة فهؤلاء لا يحصرهم عد .. وهم دوما الوقود الحى لتلك الافكار التى تنشد خير المجتمع وأمنه وسلامه ..

فى ضوء تلك المعايير التى أسلفنا الحديث عنها نحاكم القصائد الست المنشورة فى كتابات ٧٦ .. الجزء الاول منه .. وهى :

قصاصات من دفتر أمرأة عاشقة ..	للشاعرة حمده خميس
دعـــوة للحلم فى زمن القهـــر ..	للشـاعر سعيد العويناتى
من عاشـــق الى البحـــــر ..	للشـاعر ابراهيم بو هندى
مقتطفـــات من كتـــاب بـــدر ..	للشاعرة ايمان اسيرى
لكم فى الخامسة والســـبعين ..	للشاعرة منيرة فارس
ســـيأتى قريبـــا ..	للشـاعر حافظ النابلسى

من الملاحظ ان ثلاث قصائد لشعراء .. وثلاث قصائد لشواعر .. ولكن هذا التوزيع العددى المتساوى لا يحجب حقيقة .. مستقاة من واقع القصائد أن الاربع قصائد الاولى هى التى يمكن ان تدخل فى دائرة العشق السياسى كما أوضحناه .. أما الخامسة فقـــد قيلت بمناسبة عـــام المرأة الدولى .. والسادسة مشوشة التجربة .

قصاصات من دفتر أمرأة عاشقة

تتكون هذه القصيدة من سبع قصاصات .. فى القصاصة الاولى تغوص العاشقة رأسيا فى أعماق الزمن لترى الحبيب ..

بعيدا يلوح كفا الى الرحلة القادمة

يلوح أهدابه عبر زنزانة الليل ، كان ينادى بكل اللغات

لم هذا الحبيب أسير الزنزانة ؟!! تجيب العاشقة :

حكموا ان اهدابه اومأت للنهار
وهذا خلاف القوانين التى أوضحت
بأن الظلام يسود البلاد

فالحكم على الحبيب تم لمجرد انه أومأ للنهار بأهدابه ·· لمجـــرد انه طالب بالحرية عن طريق الاشارة ·· وفى عهد يسود فيه الظلام والظلم مجرد الاشارة أو الحديث عن الحرية والعدالة والحق يصبح خيـــانة يحاكم عليها الحبيب ··

أدين حبيبى لان النهار خيانة
لان أهدابه اومأت

ومشكلة الحبيب الصغير ·· وجريمته الكبيرة انه كان مولعا بالنهار ··

ثم تأتى القصاصة الثانية لنشاهد فيها العاشقة فى انتظار الحبيب ·· فقد وعدها بالمجيء ·· وبالتوحد ·· ولكن غيابه يطول ·· والانتظار قاس على النفس قسوة الخنجر المغرور فى القلب ·· فلماذا الحبيب لا يجيء ؟ ·

تلك كانت مدائن غدر

شردتنى طويلا
شردتنى طويلا
شردتنى ··

هكذا يجيب الحبيب ··

ولكن العاشقة فى لهفة شديدة الى تراب الحبيب ·· الى خصب الحبيب ·· الى ملوحة الحبيب بلسم الجراح ·· الى سحابة وجد مع الحبيب تمطـــر نهرا ينبع مدائن حلم مليئة بالخير والبركة ··

تسترسل العاشقة فى القصاصة الثالثة ·· لتصف حالها مع الحبيب ··

هذه الحال التى بدأت بالتوحد معه خيطا ·· فيصبح هنا نهرا ·· قامة نخلة باسقة ·· ويعم شوقها اليه كل مكان ·· وكل زمـان حيث ترى طيف الحبيب يعانق الغيوم ·· يحتضن سحب السماء ·· فتلتقى واياه ·· فيحدثها الحبيب عن تلك المـدن التى ارعبته ·· المـدن التى اضاعته ·· ولكنه يلمح شبها بين الماضى والحاضر ·· يقول :

أأنتم بدايات تلك القرون التى ضيعتنى
قرحت مدنى
أأنتم بدايات هذا الضياع

فتؤكد العاشقة هذا القول :

ذاك رعب القرون المخيف
ذاك كان العـــذاب
العـــذاب
العـــذاب

ولكن ما نلبث ان نرى العاشقة فى قصاصتها الرابعة تثور وتتمرد على الحبيب هذا الحبيب سواء أكان تاريخيـــا أم معاصرا ·· لايهم ·· المهم انها تثور عليه ·· وتتساءل :

لماذا أعود اليك وأعرف انك أنت حبيبى
واعرف انك قيدى وقهرى وجدران سجنى ؟!

فالحبيب المسجون بتهمة الايماء للنهار ·· متهم هنا من العاشقة بأنه قيد وقهر وجدران سجن لها !! ومع ذلك فالعاشقة راضية بذلك رغم هذه الثورة·· فتراب الحبيب عشق وجنون يسيج غابات وجدها ·· (**أهذه هى طبيعة المرأة؟ لا أعرف**) ولذلك لاغنى للعاشقه عن الحبيب ··

تظل ذراعاك آخر كل الموانىء ، آخر كل اغتراب المنافى
اتكائى الاخـير
الاخـير

ثم تعرفنا العاشقة بحبيبها أكثر فأكثر ·· فهى تعرفه من أيام الطفولة ·· وحشيا كالدغل ، عميقا كالبحر ، حادا كالخنجر ·· دائم الرحيل ··

لماذا وأنت الذى من سنين الطفولة

تنبت دغلا ، بحـــارا ، خناجـــر

ترحـــل

ترحـــل

ترحـــل

ومع ذلك فالعاشقة متمسكة به ·· تشد اليه حقائب وجدها كل مساء·· لتلقاه وعدا مضيئا يومىء لها باستمرار ·· ولكن ما يحزنها هو أنه لايجىء ·· هو فقط ·· فى الخيال ·· أو الضمير ·· فتنكفىء على نفسها ·· وتجتر احـــــزانها ·· وتكتب ما شاء لها من القصاصات والاوراق تحملها عشقها الخرافى لهذا الحبيب الذى لا يجىء ·· وهنا تضطر لان تشق دربها بنفسها ··دربا مستقلا ·· ذا تضاريس مختلفة ·· ثم تدخل ضده ·· ضد جنونها فيه ·· لتصبح متشردة بطريقتها الخاصة ·

لأنى سحبت التضاريس التى رسمتها خطاى اليك

لأدخل ضدك

ضد جنونى فيك

واعبر نحوك فى طرقات التشرد

كنا نتوقع أن يستمر هذا التوحد التفرق··هذا الانفصام الالتحام··ولكن القصاصة الخامسة تحمل عودة للتوحد مع الحبيب مـــرة ثانية ·· وشهوة حارقة للعودة الى ساعديه الى همه القاتل ·· الى ترابه الطهور ·· حيث تقيم على قدميه صلاتها ورجاءها ··

هذا ترابى تلوث

اردد عليه جناحك

ان ترابك نهر

تصير الذنوب على ضفتيه شفاعة

فالعاشقة يبدو أنها لاغنى لها عن الحبيب ·· فهو أرض يسافر فى دمها قطرة قطرة ·· وهو نخلة تشتهى أن تكون قطرة عاشقة على سعفها ··

وفى القصاصة السادسة تترك العاشقة حبيبها لتتأمل تلك العجوز التى تعيش عهدها الخريفى الذى لايجدى فيه حقن للتقويه او الشفاء ·· فأوراقها تتساقط باستمرار ·· وعمرها الى زوال ·· فهل هذه المرأة الخريفية ترمز الى عهد معين آيل للسقوط والاندحار ؟! ارجح ذلك ·· بدليـــل ان العاشقة فى قصاصتها السابعة تنادى بلادها بأن تبعث لها سعفة من نخيل ·

« وشمروخ » عذق ينام عليه الرطب

وتشترط على البلاد بأن ··

لاتوشميه بختم البريد

فختم البريد المرفوض رمز للسلطة السياسية المرفوضة من العاشقة ·· ثم تهيم العاشقة بحب الوطن ·· الذى ضحى من أجـــله كل الاحبة من قديم الزمان ·

فكل نخيل بلادى ، وكل الأحبة ، تعرف ·· تسمع أنى

انادى

انادى

انادى

متى نلتقى ؟!

فالعاشقة تتوق الى الوطن ·· ولكن شوقها مقرون باللقـــاء مع الحبيب وهى حين تلتقى ماذا ستفعل ؟

سأصنع من سعفة خاتما

يزين عرس اللقاء

وأخرى سوارا

وتسأل بلادها ··

هل رحلت الى كل بيت

تكركر فيه الطفولة

وعانق « عقد الخلال » صدور الصغار ؟!

وكما بدات العاشقة بالحبيب الصغير الذى يعشق ضوء النهـار انتهت بالطفولة البريئة فى رعاية الوطن الحبيب ..

من هذا العرض التفسيرى لقصاصات المرأة العاشقة تتجلى لنا تجربة شعرية ذات بعد سياسى تنامت بها الشاعرة عبر القصاصات الثلاث الاولى ولكن القصاصة الرابعة جاءت لتفسد وحدة هذه التجربة وتوقف من تناميها وتصاعدها عندما افتعلت موقفا ضديا مع الحبيب يتنافى مع مفهـــوم العشق بالمعنى الذى اوضحناه ثم جاءت القصاصة الخامسة لتنمو بحدث العشق الذى انقطع .. فتفاجئنا فى القصاصة السادسة بانفصال ثان يربك تجربة العشق .. ثم تعود فى القصاصة الاخيرة لمحاولة اللقاء مع الحبيب الانسان والحبيب الوطن فى توحد جيـــد .. ولو اقتصرت القصـــاصات على خمس مع نفس القصاصتين الدخيلتين المفتعلتين لامكن تحقيق وحدة عضوية رائعة بين معنى العشق فى حالات وبناء العشق فى تسلسله العضوى ..

هذه القصيدة النثرية بالرغم مما فيها من مقاطع وتعبيرات شاعرية جميلة تحققت لها عبر وسائل فنية عديدة الا انها غصت بعبارات تقريرية نثرية مباشرة أفسدت على الحدث الشاعرى وحدته وتأثيره ..

أن الوسائل الفنية التى استخدمتها الشاعرة تتجلى :

أولا : فى عملية أستنطاق ذاكرة التاريخ واستحياء حبيب مطارد من قبل السلطة لانه ينادى بالحرية والعدالة والكرامة والحياة الافضل .. ويبدو ان هذا الحبيب قد عاش فى القرن الرابع عشر فى زمن المرأة العاشقة .. هذا القرن يحتوى على عهد أبى بكر بن سعيد الزنكى .. وهو تركى .. والاتراك معروف عنهم الاستبداد .. والعهد الثانى عهد بنى عصفور الذين ينسبون الى بنى عامر وقد أستولوا علىالحكم بعد أن حاربوا الزنكيين وأنتزعوامنهم عرش العيونيين .. ويبدو أن عهدهم كان عهد ظلام واستبداد .. وعملية الاستنطاق او البعث او الاستحياء ليست مقصودة فى حد ذاتها وانما الهدف منها هى

تحميلها قضية عصرية تكون امتدادا عضويا وحيا لمعاناة سياسية حدثت فى الماضى ·· فالماضى لايستحيا الا اذا اضاء لنا الحاضر ··

ثانيا : التكرار ·· الذى اولعت به الشاعرة ولعا شديدا نراه فى معظم القصاصات وفى النماذج التى اوردناها بعض ما يدل على ذلك ·· وما يدل على توفيقها فى ذلك ايضا ··

ثالثا : اسلوب الخطاب مع الحبيب ·· مع ما فى ذلك من معنى الحضور والمشاهدة ·· وان كانت قد استعملت اسلوب الغياب احيانا مع هذا الحبيب مما أخل بوحدة هذا الاسلوب حين قالت مثلا :

وكان حبيبى صغيرا ·· صغيرا

رابعا : التعليق أو التقرير ·· وقد ورد على لسان الحبيب مرتين فى القصاصة الثانية والثالثة ·· وقد اضفى على الحدث حيوية واقناعا ··

خامسا : الاسترسال ·· وتداعى المعانى ·· والصور ·· وهذا جلى فى معظم القصاصات لانه الاسلوب المناسب لاية تجربة تحتاج الى الاستدعاء والتذكر والربط بين احداث فى الماضى واحداث فى الحاضر كما هو الحال فى هذه التجربة ··

سادسا : استخدام المصطلحات الخاصة بالعشق ··كالوجد·· والتوحد ·· والغربة ·· والوعد · والنأي ·· والشوق ·· وما الى ذلك أضفى مذاقا خاصا على هذه التجربة ··

سابعا : الحبيب الصغير ·· والاطفال الصغار ·· هم امل الكبار فى التغيير وحياة أفضل ومجتمع أمثل ·· فهذا هو حلم الشاعرة المستمر ··

من خلال عملية العرض والتحليل وبيان الوسائل الفنية نستطيع ان نقول باطمئان أن هذه القصيدة النثرية قد نالها نصيب جيد من الناحيتين الفكرية والفنية لولا تلك الارتباكات فى التجربة التى تحدثنا عنها ، وتلك العبارات التقريرية المباشرة ، وتلك الاخطاء اللغوية التى أرجو أن تكون أخطاء مطبعية

دعوة للحلم فى زمن القهر

فى زمن القهر ·· فى عهد الظلم والعذاب ·· يشيع الحلم ·· بل يصبح حتميا ·· حتمية جدلية ·· ولهذا حين يدعونا الشاعر للحلم تصبح دعوته مجانية لا لزوم لها ·· لان الحلم قد اتخذ صورة الفرض بحكم الواقع والظرف ·· يبدو أن الدعوة قد جاءت متأخرة ·· ومن ميزة الحلم ·· الاسترسال ·· والانتقال من موضوع الى موضوع ·· هذا هو حلم المنام ·· ولكن الحلم الذى يعنى الرؤيا فيجب أن تضبطه ضوابط اجتماعية وانسانية معينة ·· والا اصبح حلما مناميا ·· وفرق كبير بين الحلم الرؤيوى والحلم المنامى ··

فالشاعر يعطيك الحـــرية فى أن ترقص فى السجن (الرقص عـــادة صوفية) ، وأن تسرح فى الداخـــل ·· وأن تسأل عن الرفاق صباح مساء أو ترسمهم جدارك أو تفارقهم وتهجر شطآن عذابك وتتحرر من ظلام الليـــل وظلمه وتبحر فى ماء بلادك ·· وأن ·· وأن تذهب فى الحلم كما تشاء ·· وأن تحلم بالصبح ·· بالامل المشرق ·· وتحلم بموت القتلة ·· بل وتمسك بالفقر وتلقيه ببيت السلفة ·· وأن وأن ··

فهل تسمع أذنيك نداءات الذى يرفض
واصوات الذى يركض
وافراح الذى يحلم
بالصحوة والنجمة والفجر المغامر ؟!

اذن هذا هو المطلوب منك فى نهاية الحـــــلم ·· هو ان تسمع نداءات الرافضين واصـــوات الراكضين ·· وافراح الحالمـــين ·· بغد أفضل ·· ومستقبل أسعد ·· ملىء بالحرية والمحبة والعدالة والكرامة ·· وكتاب الحلم بأسره لك ·· فأسمالك تبكيك ووطنك النازف ايضا يبكيك ··

هذه القصيدة النثرية الحلمية تمتعت بتماسك بنائى بالرغم من استرسالها ـ الى حد كبير لم يفسد هذا التماسك سوى ذلك الحلم :

لك ان تمسك بالفقر وتلقيه ببيت السلفة

فالشاعر ذو الحـــلم ·· ذو الرؤيا الانسانية ·· يفيض بانسانيته على اعدائه ـ مالم يكونوا قتلة ـ مادام قادرا عليهم وقادرا على العفو عنهم ·· ألم يكن اولى بالشاعر ان يلقى الفقر فى غياهب الجحيم لنستريح منه الى الابد ؟

والوسيلة الفنية المؤثرة التى استعملها الشاعر هنا فى قصيدته النثرية هى التصوير الحلمى المتتابع الذى يعرض عليك مناظر متنوعة تصب فى مجرى نهر واحد ·· نهر الرؤيا الختامية :

(الصحوة والنجمة والفجر المغامر) ··

أما الوسيلة الثانية فهى أسلوب الخطاب الذى يعطى معنى الحضور والمشاركة والمشاهدة ·· تجلى فى استعمال (لك ··) مرات عديدة ·· وفى استعمال (كاف الخطاب) ·· مرات أخرى ··

الوسيلة الثالثة ذلك الفعـــل المضارع الذى يوحى بالحاضر والمستقبل (ترقص ·· تسرح ·· تسأل ·· ترسمنا ·· تحملنا ·· تتركنا ·· تهجر ·· تخرج ·· الخ) ··

فى ضوء ذلك المضمون الحلمى ·· وهذه الوسائل الفنية ·· اعتقد ان القصيدة النثرية كان حظها من الجودة افضل نسبيا من قصاصات المـــرأة العاشقة ··

من عاشق ·· الى البحر ··

ها نحن مع عاشق آخر · يحلم هو الاخر ·· ويطلب من البحـــر ان يرد له حلمه ·· مثل القصاص الذى يطلب رد قلبه فى (رد قلبى) ·· لماذا يسترجع الشاعر حلمه من البحر ؟ لان حلمه كان ··

ومازال

رحيل اللحظة السكرى

انه حلم مترع بالسكر ·· يسكر له الشاعر ·· ويجعله يرقص للضوء على وجه القمر ·· ليذهب الى حالمة العينين ·· كى يغنى للخير والرخاء ··

اغنى للمطر

والشاعر اذا ما ذوبه العشق ·· تراءى له أن كل النـــاس سعداء ·· مسرورين ·· وفى سلام ··

انا يا بحر اذا ما ذبت فى لحظة عشق
فارى الناس ورودا
وارى الأرض سلاما

وبمثل ما بدأ الشاعر حيث طلب من البحر رد حلمه ·· اختتم قصيدته النثرية بنفس الطلب لانه فى حاجة ملحة الى هـذا الحلم لاتجدى فيه المكابرة

عاشق العينين لا يستطيع
يوما ان يكابر

نلاحـــظ هنا ان الشاعر فى حالة عشقه مزج بين الخاص والعام ·· فعشقه لحبيبته أفاض به ومنه على الناس ·· فالتحم العشق الخاص بالعشق العام ·· وحسنا فعل الشاعر ·· فالعاشق الحقيقى لا يستطيع الا ان يحب الناس ·· ويحب الخير والعطاء والسعادة والسلامة والامن والحرية لهم ··

ووسيلة الشاعر الاساسية فى هذه القصيدة النثرية هو منطق الاحـلام الذى تحدثنا عنه فى القصيدة السابقة ·· حيث التصوير المتتابع المكثف الذى يؤدى الى غاية انسانية مقصودة ·· فالشاعر ـ كسابقه ـ لا يحلم لذات الحلم ·· بل يحلم من أجل أهداف اجتماعية انسانية خيرة ··

وأمنيات الشاعر فى هذه القصيدة أمنيات رومانسية وقفت عند حد التمنى لم تتجاوزها الى حد الفعل أو التخطيط له ·

والوسيلة الثانية هى استخدام الشـــاعر لصيغة المتكلم ·· التى توحى بحالة حادة من التصور الخيالى والوجدانى لنفس تجربة الشاعر ··

والقصيدة النثرية هذه لو لم تخل من تلك العبارات التى توحى بأننا قد قرأنا مثلها او سمعنا مثلها ·· مثل (رد حلمى ·· الطير المهاجـــر كالطير

المسافر ·· الخ) لكنا قد تجرأنا على القول أنها أجـــود من سابقتها ·· هذا بالاضافة الى الاخطاء اللغوية التى أرجو أن تكون مطبعية ··

مقتطفات من كتاب بدر

نفس الحلم ·· الذى عاش معه الشعراء الثلاثة ·· عاشته الشاعرة فى قصيدتها النثرية وزادت على ذلك ان هذا الحلم قد حدثها عنه ابوها ·· تماما مثلما رأينا ذلك فى « الطوفان » لعلوى الهاشمى ·· ولكنها تزيد على علوى ·· بأن أباها حدثها عن سورة الوعد ·· الوعد بغد أفضل ·· ومجتمع أمثل ·· وقد عاشت الشاعرة منذ الصغر مع لداتها من الاطفال يقرأون وهى ترى وتحس وتتألم وتنفعل برائحة العشب الصيفية وتحايا العمال لذويهم كل مساء ·· ولهذا تنادى الطير بأن ينقر الدف ·· فالارض ·· الاسيرة تمطر شوقا لذلك الحلم الوعد ·· بل ان الشوق اليه يظلل بيوت الحى ·· فقـــد بارك العصفور قنديلا متوهجا يضىء دروب الظلم والظلام للآخرين ··

حين أغلقوا باب النجمة ظنوا أن النسر لن يأتى
فتح الطفل كتاب الام
ألقى بعض الكلمات
غمر الماء سيولا كل الجهات

فالنجمة ·· الصحوة ·· لا أحد يستطيع أن يحول بينها وبين الوميض ·· والنسر لا أحد يقدر على اعتراض سبيله ·· والطفل ·· عنوان البراءة·· والطهر ·· والكلمة الصادقة ·· والفعل الامين ·· استطاع ان يعمم الوعى على الجميع ·· ويشيع الخير والخصب والنماء فى كل الجهات ·· وهى خاتمة تفاؤلية تنضح بالامل والرجاء ·· تشبه نفس الخاتمة تقريبا التى انتهى اليها سعيد العويناتى ··

نلاحظ أن مضمون الحدث هنا له بداية تتجلى فى :

كانت الوقفة فى العشرين
كان يقرأ الدرس الاول

ثم الوسط

ايها الطير المتكىء على بابى انقر الدف

ثم الخاتمه

القى بعض الكلمات

غمر الماء سيولا كل الجهات

وبالرغم من تماسك الحـــدث النسبى فى القصيدة النثرية الا ان الموقف السلبى من الشاعرة أخل بهذا التماسك حين اعتمدت على (الطير المتكىء على بابها ·· ان ينقر الدف) وأخلت نفسها من المسئولية وطفقت هى تشـــد أزر هذا الطير حين حدثته عن الحلم وسورة الوعد اللذين حدثها عنهما أبوها ·· وان كانت الشاعرة قد حاولت أن تخفف من هذا الموقف الســـلبى حين أهدت (الوردة دمها النابع من رائحة السجن) ·· هذا هو الخلل الاول ·· وهو خلل أصاب تجربة الشاعرة بمقتل ، الخلل الثانى ·· فنى ·· حين تحدثت عن طائرها بصيغة الغياب فى أكثر من موطن ·· مما جعل الصورة غائمة وضبابية ·· والرؤيا غير واضحة ··

هذان الخللان ·· الفكرى والفنى ·· جعلا القصيدة النثرية ـ بالرغم مما فيها من بعد سياسى هادف وتعبيرات فنية لابأس بها ـ تترنح تحت وطأتهما وتفقد بعضا من جودتها الفكرية والفنية ··

لكم فى الخامسة والسبعين

هذه القصيدة كما قلنا أنشأتها الشاعرة بمناسبة عيد المرأة الدولى فى العام الماضى ·· وفيها تعلن ثورتها وتمردها على هذا الاتجاه ·· فأعماق المرأة وافكارها لايحدها زمان ولا مكان وهى ··

ليست المرأة تقويما لعام

ثم نودعها الأمانى والسلام

انها قبل التواقيت وقبل اليوم

فعل وفعال

فهذا هو جوهر المرأة فى نظر الشاعرة (فعل وفعـــال) ·· ثم تحدثنا

الشاعرة عن ذلك اليوم الذى خلقت فيه المرأة حيث تجلت فيه قدرة الخالق وعدله وابداعه ·· ثم جاء البشر فغيبوها ·· ورقموهـــا ·· فتثور على ذلك للمرة الثانية بقولها ··

مزق السبعين والخمسة

نقول للشاعرة : لمـــاذا ؟ ·· فتجيب :

انها أسبق من سبق الخيول المتعبة
ومن التقدير والتصفير أقدر
ومن التقرير والتصفيق أسبق

ثم تبلغ الشاعرة ذروة حماسها للمرأة ·· حين تقرر وتؤكد :

انها المرأة عام ونور

قصيدة شعرية ·· وشاعرية حقا ·· تبدو فيها ثورة المرأة على الذين أعلنوا للمرأة عاما دوليا ·· ان هذا الاستفزاز لمشاعر المرأة جعلها تقول مـــا تقول ·· فهل المرأة لم تكن موجودة أو فعالة حتى نقيم لها عاما دوليا ؟! ومن حقنا أن نسأل هنا ·· هل الثورة هنـــا موجهة للرجل ام للمرأة ؟! أرجح أن تكون الثورة موجهة ضد الرجل وان كانت هناك أســـــباب وجيهة تجعل ثورة الشاعرة موجهة ضد المرأة ··

القصيدة ·· بالرغم من كونها قيلت فى مناسبة ·· الا انها مؤثرة ·· تشعر بانفعال صاحبتها بصورة ملحوظة فى كل كلمة من كلماتها ·· بل وفى كل مقطع من مقاطعها ·· ومما زاد فى قوة تأثير القصيدة هو قوة موسيقاها الخارجية والداخلية ·· فالخارجية اعتمدت على تفعيلة بحر الرمل المؤثرة ·· وعلى تلك القافية المكررة والمتغيرة من مقطع لمقطع ·· والجناس والطباق وغير ذلك من فنون البديع ·· والداخلية تجلت فى عاطفة الشـــــاعرة الثائرة ضد التقويم والترقيم الدولى للمرأة ·· ويبدو اقتدار الشاعرة الفنى فى اختيارها لكلماتها الموحية وتعبيراتها المركزة ··

وهذه القصيدة فى نظرنا هى الوحيدة من بين الست قصائد التى يمكن ان نطلق عليها مصطلح الشعر ·· بمفهوم الشعر الحر ·· الذى قننته وقعدت له الشاعرة نازك الملائكة ··

والقضية التى تعالجهـــا الشاعرة هنا قضية انسانيـة عامـة ·· هى قضية المرأة فى سياق الحياة الاجتماعية للبشر عامة ·· فهى ليست قضيـة محددة لمجتمع معين أو عصـر معين ·· فالطابع الانسانى العـام هو الغالب على هذه القصيدة ·

سياتى قريبا

بدأ الشاعر قصيدته النثرية بالجلوس على قارعة الطريق يعد الحصى والرمال ·· ويرسم فجرا عميقا ·· (فهل الفجر العميق يرسم بهذه البساطة على قارعة الطريق ؟! رسم الفجر يأتى عبر النضال والجهاد والمعاناة)·· ثم ينتقل الشاعر ليغرق نفسه فى موشح من الفخر بالنفس ··

انا بلسم الجرح قبل الجراح
أنا رئة من رئات الصباح

ياهذا ! ·· اترك الناس تصفك بهذه الاوصاف ودعك من هذه الأنوية · ويبدو ان هذا الافتخار لم يعجب صديقا للشاعر فانتقده ··

ويمتد نصل صديق
يدغدغ فى شعور الندم
فاغرق ما بين دمع ودم

فالغرق فى بركة من الدموع والدماء لشعور الشاعر بالندم بعد افتخاره بنفسه بعد جلوسه على قارعة الطريق يعطى لنا صورة مشوشة لتجربة مر بها أو افتعلهـــا الشـــاعر ·· والأدهى من ذلك انه جرى يلهث اثر السنين ·· فشنق فى سنبلات المطر !! فهل المطر وسنابله التى ترمز لكل معانى الخير يمكن أن تكون أدوات للشنق ·· وعلى هذا النسق من التجـــربة المشوشة المرتبكة المفككة تسير قصيدة الشاعر النثرية وكأنها ثوب خلق قد ملىء رقعا متنافرة

٠٠ ولذلك كم كانت دهشتنا حين خاطب الشاعر فتاته قائلا :

الا تنظرين !!

أراه

تعالى ٠٠ تعالى أنظرى

مبشرا اياها بقرب مجيء المنقذ المخلص ٠٠ ليشفى الجياع ٠٠ ويقضى على الالم ٠٠

سيأتى قريبا

ليشفى الجياع

وترحل فيه صنوف الالم

كيف حدث هذا ؟ لانعرف٠٠لنا أن نتصور ان جلوسه على قارعة الطريق جعـــله ينتهى هذه النهاية التفاؤلية ٠٠ ولكن الجسر الذى يربط بين البداية والنهاية جسر متهدم متكسر ٠٠

هذا من ناحية تجربة الشاعر ٠٠ وبنائها الفنى العضوى ٠٠ اما من ناحية كلماتها فتتراءى لى بأنها مستهلكة ومكرورة ٠٠ وتعبيراتها نثرية مباشرة تخلو من الايحاء الا من مقطع سلم له ٠٠

أراه هناك على الرابية

على شفتيه ظلال ابتسام :

وفى مقلتيه ينابيع خير ٠٠ الخ

ولكن ما فائدة هذا المقطع اذا كان وجوده قد أصبح نشازا فى البنـــاء العام للقصيدة ؟ !

نظرة عامة

خمس قصائد ٠٠ فى المجموعة ٠٠ غلب عليها الطابع النثرى التقريرى على تفاوت فى النسب طبعا ٠٠ أما قصيدة الشاعرة منيرة فارس فقد برئت من ذلك ٠٠ والخمس قصائد أيضا ٠٠ لم يكن الاهتمام فيها كافيا على مستوى

الكلمة المفردة ·· والتركيب المتين ·· مما يجعلنا نكرر الدعوة بوجوب المزيد من القراءة المعمقة فى أدبنا العـــربى الجيد قديمة وحديثة ·· وكذلك مالت القصائد الاربع الاولى الىنوع من الغموض والتعمية علىاختلاف فى المستوى أيضا ·· أشدها فى ذلك القصيدة الأولى ·· وهـــذا الاسلوب يشكل حاجزا كثيفا بين الشاعر المنشىء والقارىء العادى المتلقى·· وبالتالىيصعب الاتصال والتواصل بين الطرفين ·· ونلاحظ كذلك على القصائد الاربع الاولى التشابه الواضح فى أبعادها السياسية ومصطلحاتها الفنية ·· فهل يا ترى قرأوا جميعا الدرس على شيخ واحد ؟!

وكما قلنا فقد خلت القصائد الخمس من الموسيقى الخارجية ·· واعتمدت على الموسيقى الداخلية التى ترتكز على ايحائية الفكرة وصدق التجربة وحدة المعـاناة وتبهت الموسيقى الداخلية ويضعف تأثيرهـــا اذا خلت من التجربة والمعاناة الحاده كما رأينا فى القصيدة السادسه ·· ونلاحظ كذلك ان بعض الشعراء والشواعر قد استفادوا من الوسائل الفنية الحديثـة كما تجلى ذلك فى القصيده الاولى ·· مثـل استنطاق التراب ·· وتداخل الاصـــوات ·· وأساليب الخطاب والمتكلم ·· وتداعى المعانى وغـــير ذلك من تلك الاساليب الفنية ·

محاولات الكتابة للأطفال بين النظرية والتطبيق

حافظ النابلسي

ان اكثر مالفت نظرى وشد انتباهى فى الجـزء الاول من (كتابات ٧٦) هو ذلك الملف الخاص عن محاولات الكتابة للاطفـــال فى البحرين الذى احتل حوالى ٧٠ صفحة لثلاثة اسباب رئيسية هى :

١ ـ احتلال الملف لثلث عدد صفحات الجزء ٠٠ مما اعطى اهمية كـبرى له كموضوع ذى ابعاد تربوية يعنى بالجيل القادم ٠

٢ ـ طبيعة التساؤلات المطروحة وطبيعة الاجابات عليها ٠

٣ ـ نوعية النماذج المقدمة من الكتاب وصلتها بقناعاتهم النظرية سـلبا وايجابا ٠

اكاد اجزم انه لايختلف اثنان على اهمية التوجه للزخم الانسانى للمجتمع ومالهذا التوجه من اثر فعال على نمو المجتمع نموا صـحيا آخذين بالملاحظة الدقيقة كل الاعتبارات البيئية والاجتماعية والاقتصادية المعاشـة ٠٠ ومنطلقين من ثم الى الآمال التى نتطلع الى تحقيقها تطويرا لتلك الاعتبارات ٠٠ كل ذلك بمالا يلغى نظرية الواقع ٠٠ والتحدث من صلبه ٠٠ ولكى لايفهم هاهنا اننى احرق نسمة الخيال على صخرة الواقع ، بل على العكس من ذلك تماما ٠٠ يجب أن يوظف الخيال لخدمة الامـــل بما يتفق على عكس صورة الادوات الاجتماعية المعاشة سلبا الى ايجاب مستقبلى يمكن تحسسه على ضوء المعطيات الحياتية الآنية ٠ ومن هنا جاءت قناعتى بأن احتلال الملف لذلك العدد الكبير من الصفحات

لم يأت الا كضرورة ملحة تفرض نفسها عاكسة بكل وضوح مدى اهتمام القائمين على الكتاب بانسان افضل لغد افضل · ومن هنا ايضا تتضح طبيعة التساؤلات عن ··

لماذا الكتابة للاطفال ؟ وماهى الافكار التى تريدون ايصالها الى الاطفال ؟ وماهو مستقبل ادب الاطفال فى البحرين ؟

وحيث ان هذه التساؤلات قد وجهت الى ثلاثة من الكتاب يعنون بشكل او بآخر بأدب الطفل ·· فانه ينبغى علينا ان نستعرض اجاباتهم عليها محاولين ان نربط مابين قناعاتهم النظرية وبين ماوظفوه من ادوات وشخوص خدمة لتلك القناعات ·

١ ـ عبد القادر عقيل :

يبدأ عبد القادر اجابته بمقدمة تاريخية موجزة ربط بها أوروبا بالشرق العربى ·· معتبرا ان ادب الاطفال قد بدأ بأوروبا وبالاخص فرنسا وعلى يد شاعرها المعروف شارل بيرو ·· وقد غاب عن عبد القادر ان كلمة أدب بمعناها تتمدد لتشمل فى مفهومها كل ماله علاقة بالفن ·· شعرا ·· قصة ·· او حكاية ·· موسيقى ·· تهويمة ، وعليه فاننى أتساءل :

من منا لايذكر أمه أو جدته وهى تحكى لـه حـكايا الجن والعفـاريت ، والغول ؟ من منا لايذكر حكايا الشاطر حسن والسندبادالبحرى وتاجر بغداد ؟ من منا لايذكر حكايا عـلاء الدين والمصـباح السـحرى ، المارد ·· على بابا والاربعين حرامى ؟ من منا لايذكر كيف ان ذكاء شهر زاد قد أنقذها ·· وأنقذ من بعدها بنات جنسها من بطش ذلك السلطان الجبار شهريار فى قصص ألف ليلة وليلة ·· وقصص الزير سالم وعنترة وأبو زيد الهلالى ؟ كلها قصص وأقاصيص، حكايا وحواديث تدخل فى مفهومها ضمن الادب ·حقا ان تلك الحكايا والاقاصيص كانت تتحدث عن بطولات فردية بما يعكس لنا فى الوقت الحاضر صورة طرزان، سوبرمان وجيمس بوند ·· ولكن :

يجب ان لاننسى ان تلك البطولات الفـردية كانت ضرورة من ضرورات

المجتمع المعاش فى حينها · فطبيعة المجتمع طبيعة قبلية تتطلب بالتالى بطولات فردية تنعكس نتائجها سلبا او ايجابا على المجتمع انعكاسا معنويا ·· وعلى البطل ·· انعكاسا معنويا وماديا فى آن واحد ·· فالبطل يكرم ويحترم ويعطى مايريد ·· اما بقية الناس الذين شاركوا فى تحقيق النصر فيكتفون بالفخر على ابناء القبائل الاخرى ·· بأنهم ابناء القبيلة التى منها خرج البطل الفلانى ·· ولقد ظلت هذه هى الحال حتى عند الذين يعتبرون عمالقة الادب العربى · وحتى وقت قصير جدا ·· كانت الاذاعات العربية تنادى صلاح الدين وخالد وغيرهما وتبعثهم من قبورهم مستنجدة ببطولاتهم عشرات بل مئات المرات يوميا ·· كل ذلك بما يثبت مدى تأثير تلك الاقاصيص والحكايات عن البطولات الفرديةعلى حياتنا المعاشة ·· والتى كانت فيما مضى تعتبر مستقبل آبائنا واجدادنا ·

اذن من الغبن بمكان ان نهمل هذا التراث ·· وان كان هزيلا اذا ماقيس بمقاييس عصرنا ·· ولكن لابد من ان تكون له الريادة فى هذا المضمار ·· نظرا للعمق التاريخى ·· اما انه لم يجد طريقه الى الكتب ·· فما ذلك الا بسبب الجهل بأصول القراءة والكتابة ·· وحتى قبل سنين ـ تعد بالعشرات ـ كان الحكواتى يتخذ مجلسه على منصة عالية فى المقاهى بصحبة ربابته ·· يحدث السمار عن بطولات الزير سالم وكليب وجساس وعنترة ·· وغيرهم ·

ولقد حاولت بعض دور النشر بل بعض الصحف ان تستغل هذه الاقاصيص ·· فظهرت مجلة سندباد وظهرت الكتب المطبوعة الاخرى (ولا ضرورة للتوسع بذكرها) تحكى هذه الحكايا بأسلوب حديث ولغة مقروءة قريبة الى الفهم نوعا·

واذا كانت اوروبا قد سبقتنا الى كتابة ذلك النوع من الادب فما ذلك الا لأن أوروبا وفرنسا بالذات قد دخلت عصر النهضة قبل المنطقة العربية ولا يخفى ماكان لاختراع الآلة ·· وآلة الطباعة بالذات من أثر فعال وواضح · ولا حاجة بنا للاسترسال فى عرض تاريخى قد يبعدنا بعض الشىء عن الغاية المرجوة ·

لقد حصر عبدالقادر دوافع الكتابة للاطفال بنقطتين اثنتين :

الاولى : واقع معاش ·· وهو فراغ الادب العربى الحديث من هذا النوع من الادب ·· او الكتابة ·

الثانية : تطلعى متفاعل مع الواقع المعاش ·· وهو الاتجاه الى الاطفال كجيل جديد عليه ان تواجه تحديات كبيرة ·· لابد من تسليحه بالوعى وارادة التحدى والرغبة فى التغيير أى بقيم جديدة **كالحض** على التعـــاون ومقاومة الروح الاتكالية ومحاربة البطولة الفردية ودعوة الى الالتزام بالروح الجماعية

كلام جميل ·· جميل جدا ·· ولكننى اختلف مع الاخ عبد القادر بالفوقية التى اتسم بها تفاعله ·· اذ ماذا يعنى بكلمة الحض ·· ومن اى موقف تحض الاطفال على كذا ·· وكذا ؟ هل من موقف الناصح ؟؟ أم من موقف المعلم ··؟ ام المرشد ·· والناصح والمعلم والمرشد اعلا مرتبة من المتلقى لكل من النصيحة والعلم والارشاد ·· وفى ذلك حد للحركة السيكولوجية للطفل وربطه بمفاهيم تملى عليه ·· ليس له خيار بها ·· واذا علمنا أن الطفل يعبر اللحظـة الآنية بمفاهيمها ومقاييسها الى اللحظة القادمة التى ستكون واقعه الحقيقى عنـــدما يصبح مســـــؤولا عن كل صغيرة وكبيرة ادركنا مدى الهوة التى تتعرض لها نفسيته اذا ما استقرت فى عقله الباطن نظريات الواقع الذى نعيشه ، وادركنا ايضا ان الطفل اعلا منا مرتبة حيث سيعيش واقعا غير واقعنا متقدما عليه فى السن والمعطيات والمفاهيم ولكننا اكثر منه خبرة ·

ثم يتمثل عبدالقادر بقول زكريا تامر (حاولت أن أمنح الطفل رقعة من الارض ··) الى آخر الفقرة الثالثة من صفحة ١٦٣ وحيث انه لم يرد فيما قاله ما يناقض هذا القول يعطى دليلا على انه متفق مع زكريا تامر فيما يقول وفيما يذهب اليه··

ومن هنا تنطلق مجموعة من التساؤلات ··

من هو زكريا تامر حتى يمنح ·· ثم ماذا يمنح ؟

اليس فى التعبير عن المنح ما يؤكد الفوقية التى نشعر بها تجاه الاطفال ·· ثم اليس من الافضل ان نعطى عن محبة بدلا من ان نمنح ·· وان نتفاعل مع معانى العطاء بدلا من ان نتفاعل مع معانى المنح والهبة · ثم اذا كنا ونحن الكبار نملك اليوم والامس ·· فان الاطفال يملكون اليوم والغد ·· فماذا نمنحهم؟ سيما وانهم يشاركوننا فيما نملك ولا نشاركهم فيما يملكون ؟ او ليس المستقبل للاطفال كما يقول فى الصفحة ١٦٦ ·

ولكن عبور الطفل لواقعنا يجب ان لا يكون عبورا عفويا بل لابد من ان يتفاعل مع هذا الواقع تفاعل من يختـــار وليس تفاعل من تفـرض عليه القيم والمفاهيم ٠

من هذا المنطلق تأتى فى رأيى ضرورة التوجه الى الاطفال توجها واعيا ٠٠ ملتزما الوضوح فى عرض القضايا ٠٠ رابطا انظارهم بالامل على ضـوء معطيات الواقع ٠٠ ومن هنا ايضا تبدو الصعوبة الكبرى فى ايجـــاد ادوات التوصيل الفنية بعيدا عن الرمز المكثف المغرق فى الغموض والباعث على السأم والملل من متابعة القراءة ٠٠ وبعيدا ايضـــا عن الجنوح فى الخيال الى درجة الانقطاع الكلى الى الاحلام ٠

النماذج :

لقد قدم عبدالقادر ثلاثة نماذج هى ليلى والقمر ، الاتفـاق ، والسـلطان سرق الشمس ٠ ويبدو انه من المستحسن ان نستعرض كل نموذج على حـــده نظرا لاختلاف المأخذ على كل منها ٠

ليلى والقمر :

(ملخص) اضـاعت الطفلة ليلى لعبتها « زينب » فبكت ٠٠ ثم غضبت غضبا شديدا ٠٠ فبعثرت الملابس وكسرت الاوانى ٠٠ وبعد حوار رومانسى قصير مع القمر ٠٠ وجدت ليلى لعبتها ففرحت ونامت هانئة سعيدة باحلامها ٠

يبدأ عبد القادر قصته بقضية واقعية ملموسة وهى ضياع لعبة ليلى ثم ينتقل التفاعل النفسى الطفولى مع القضية فجأة ٠٠ والـذى اتصـف بالبكاء ، والبكاء يأتى عادة بعد انهيار آخر حصن من حصون النفس والتحدى كوسيلة من وسائل التنفيس عن وقع الهزيمة على النفس ٠

اذن فالبكاء يأتى بعد الغضب وبعد تكسير الاوانى وبعثرة الملابس ٠ ثم ينتقل الى لقاء حـــوارى رومانسى قصير مع القمر ليدلها على لعبتها بضوئه الساطع الجميل ٠٠ ويبدو لى ان الكاتب اراد ان يعطى فكرة للطفل عن فوائد

القمر ونوره الساطع الجميل ولكنه نسى ان الصورة المعطاة كحل لقضية هامة جدا بالنسبة للطفل تجعل الطفل اتكاليا ينتظر الفرج من قوى خارجية بدلا من أن تنبع الرغبة من داخله فى البحث ·· ثم هناك تساؤلات :

أين هى أم ليلى ·· أو أبوها ·· أين هو أخوها ·· أو اختها ؟ ثم هل من المعقول او من الواقع ان تكسير الاوانى وبعثرة الملابس يكافأ بالاحلام السعيدة والنوم اللذيذ ·· ام ان العكس هو الصحيح ·· اليس فى ذلك دعـــوة الى الاتكالية واللامسؤولية والعبثية ·· ؟!

الاتفاق :

(ملخص) يدعو الثعلب الطيور الى حفلة غنائية يقيمها هو على شرفها بدون مناسبة ·· فتجتمع الطيور وتقرر الذهاب لسماع الثعلب ماعدا الحمامة البيضـــاء التى تنصحهم بعدم الاطمئنان الى العدو « الثعلب » ولكن الطيور تذهب لتلبية الدعوة بما فيها الحمامة التى وقفت بمعزل عن رفاقها تتفرج على ما يكون ·· والنتيجة ان يعتدى الثعلب على الديك ويقتله وتنهزم الطيـور · لا انكركم القول اننى عندما قرأت السطور الاولى من النموذج توقفت عن القراءة ·· حيث تبادرت الى ذهنى صورة ، وهى ان العنوان «الاتفاق» لابد وان يعنى « التضامن » وفى هذه الحالة لابد وان يكون لكل طير من الطيور دوره الفعال صغيرها وكبيرها وشعرت بأن الصوص الصغير والفرخ الصغير ســـيكون له دوره فى مقاتلة ذلك العدو الشرس وستنتصر الطيور ·· صورة لذيذة جعلتنى أنا نفسى أحلم ·· وتمنيت بعد ذلك اننى لم أكمل قراءة النموذج ·· حيث فوجئت بصورة معاكسة تماما وان الطيور قد كتب عليها الهـــزيمة الى الابد ·· وان الدور الذى لعبته الحمامة وهو دور الناصح المتفرج من بعيد والشأمت بعد كل خبر · لماذا لم تقم الحمامة بدور فعال ·· ؟ ثم مادمنا قد اشركنا الحمـامة فى مجموعة الطيور مع الدجاج ·· كان لابد من ان تكون الصقور والغربان ·· وغيرها أيضا من ضمن مجموعة « الطيور » صحيح ان هناك عداء تقليدى بين هذه الطيور الجارحة وتلك الطيور المســـالمة ولكن ذلك يلفت النظر الى خطأ ارتكبناه فى بداية القصة عندما وجهنا الدعوة الى الطيور وليس الى الدجاج

فقط · ثم الى متى سنبقى نتحاشى اعداءنا ولا نحتك بهم ونخاف منهم ونبتعد عن طريقهم ·· ؟ ام انه كتب على الطيور والدجاج بشكل خاص ان تكون ضحايا والى الابد ·· ولا تجد وسيلة تدافع بها عن نفسها ؟!

السلطان سرق الشمس :

اقل ما يمكن ان يقال فى هذا النموذج أنه مغرق فى الرمز ولا يمكن ان يكون نموذجا لقصص الاطفال بقدر ما يكون نموذجا للقصص المكتوب للشباب الذين تجاوزوا الثامنة عشرة او العشرين بعد ان يصلوا الى مرحلة من الثقافة تمكنهم من حل رموزها ·

هناك ايجابيات لايجوز تجاهلها لدى حديثنا عن الجهد الذى قدمه الكاتب والتى تعكس اطلاعه الواسع ومحاولته للاستفادة من النظريات المعروضة ومن ثم الخروج بنظريات متطورة ثم قصر الجمل المستعملة وموسيقاها التى تدفع الطفل دفعا للقراءة ومن ثم الصور الواضحة التى لو احسن استخدامها لوصلت به الى النتيجة المبتغاة ·

٢ ـ فوزية رشيد :

يجوز لنا هنا ان نستعير ما قلناه لدى مناقشتنا للزميل عبدالقادر عقيل فيما يتعلق بالعمق التاريخى لادب الاطفال وان ادب الاطفال كان موجودا قبل شوقى والكيلانى وغيرهما ·· وما محاولات شوقى الا محاولاتمترفة جاءت نتيجة الفراغ الذهنى الذى كان يعيشه امير الشعراء او افلاسه من التفاعل مع متطلبات المجتمع فى عصره ·

لقد حفلت اجابة الاخت فوزية بنظريات كثيرة · كان من شأن تطبيقها أن يجعلنا فى قمة القمم التى يطمح أدباء الاطفال أن يصلوا اليها ·· ولكن ··

ويحسن بنا هنا أن نعدد النظريات التى توصلت اليها الاخت فوزية أو التى أقنعتها للتوجه الى الاطفال عن طريق الكلمة حتى نستطيع بالتالى تطبيق تلك النظريات على النماذج التى قدمتها :

١) الطفل فى هذا العالم الكبير بحاجة الى الوعى وارادة التحدى لقوى الشر والظلم ، والرغبة فى التغيير لقيم جديدة وواقعية «الفقرة الثالثة ص١٦٨»

٢) الافكار التى احاول ايصالها الى الاطفال هى افكار تطـرح المفاهيم الاخلاقية بصفة عامة وتحاول ان تربط الطفل ومن خـــلال الكلمة بعالم الواقع الذى يعيشه بعيدا عن المثاليات المفتعلة وعن الخرافات وخلق نماذج اخـلاقية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسلوك الطفل ومن ثم مناقشة القضايا الاجتماعية بشكل مبسط وتوصيلها اليه بطريقة تنمى عنده روح الارادة والحق والجمال والخير والمعرفة والتضحية كما تنمى وتسهم فى تربية الخيال عنده الى جانب الحرص على سلامة الاخلاق (الفقرة الرابعة ص ١٦٨) ٠

والشىء الملفت للنظر هـــو تقرير الاخت فوزية ان ماينقص اطفالنا الان وخاصة فى الخليج توجه أكبر عدد من الكتاب الجادين الى محاولة خلق أدب جاد للطفل ، فكأن القضية هى قضية عدد الكتاب المتوجهين للكتابة فى هذا الموضوع ٠٠ان المطروح فى رأيى ليس هو عدد الكتاب (كما) بل هو نوعية الكتابة (كيفا) والموضوع لايحتاج الى « فزعه » وانما يحتاج الى تفهم وادراك ودراســـــة فالاندفاع وحده لايكفى كما ان القناعة النظرية وحدها لا تكفى ٠

لابد من التفهم الواعى للمرحلة التى يمر بها الطفل ككائن له عالمه المتميز الواســع ٠٠ وعلينا أن نكون حذرين جدا ٠٠ من اســتعمال الصــور الخيالية المطاطة التى تجعل الطفل ولفترة طويلة اسير حيثياتها بما يخـلق لديه الوهم الكبير بعدم امكانية تطوير ماهو كائن الا عن طريق قوى خارجيـة غريبة عنه وعن الاشخاص المحيطين به ٠٠ ان مثل تلك الحيثيات تمزق نفسية الطفل تمزيقا تظهر اثاره مع الخطوات التى سيخطوها (أبو الانسان) فى حياته المقبلة ٠

فالمنطقة العربية بأسرها بما فيها منطقة الخليج ليست بحاجة لاكثر من عشرة كتاب جادين يعطون هذا المجال ويغنونه بنتاجهم ودراســـاتهم العلمية المتطورة التى تأخذ بعين الاعتبار كل ماله علاقة بالمعرفة الانسانية المختلفة ٠

ثوب العيـد :

(ملخص) اشترت ليلى ثوبا جـديدا للعيد ·· ذهبت الى بيتها ونامت وبقربها ثوبها الجديد وبينما كانت تحلم هرب الثوب الى فتاة كانت قد شاهدت الثوب فى محلات العرض ولم تكن تملك النقود الكافية لشرائه ·

ان قضية ان تشترى ليلى او غير ليلى ثوبا جـديدا للعيد قضية عادية جدا ·· ولكن قضية ان يهرب الثوب من ليلى الغنية ليسعد فتاة فقيرة اخرى·· فهى قضية فوق الخيال بل فوق التصور الخيالى ثم ماذا تخدم مثل هذه القصة :

اين هو الخير والجمال والمحبة والتعاون وغيرها من المثل والمبادىء التى نوهت بها الاخت فوزية ·

هل ينتظر الاطفال الفقراء حتى تهرب ثياب العيد اليهم ·· وهل يربط أطفال الاغنياء ثياب عيدهم حتى لاتهرب اثناء نومهم ·

ماذا لو قدمت ليلى ثوبا جـديدا لاحـدى زميلاتها بطريقة معقولة كهـدية شعورا منها بالواجب المفروض على الأغنياء تجاه الفقراء ؟ لتكون فرحة العيد عامة ، أليس من الخطر على نفسية الطفل أن نتركه عائما فى بحر خيالى لا نهائى وفى ظلمة قاتلة ·· حين نصور له الثياب تهرب ؟ ثم ما هو شعور ليلى عندما فقدت ثوبها فى اليوم التالى ·· ألن تكون حزينة يوم العيد ·· الأطفـال هـم الأطفال ومشاعرهم واحدة تجاه ما يملكون سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ·· فرفقا بمشاعرهم وأحاسيسهم ·

أحـــلام واللعب :

(ملخص) : عادل ومحمد صـديقان يلعبان فى حديقة بيت عادل بألعاب مختلفة ، مجموعة من الأطفال الفقراء يتسلقون السور ليتفرجوا على الألعاب ·· عادل ومحمد يكتشفان الاطفـــال المتسلقين يهرب الاطفـــال وتسقط طفلة عن السور ·· يشفق عليها عادل ويلاطفها ثم تأتى أمها لتأخذها وهى تتساءل : لماذا

ليس لدينا لعب ولا نملك حديقة جميلة مثل عادل ومحمد ؟

القضية الرئيسية المطروحة فى هذه القصة هى قضية التمايز الاجتماعى القائم فى معظم أنحاء العالم ·· هناك أغنياء لدرجة التخمة كما أن هناك فقراء لدرجة العوز وهناك متوسطو الحال ·· الا أن القصة تناولت الفئتين الأوليين ·· وألمحت الى أن الفرق الشاسع بين الفئة الأولى والفئة الثانية يستدعى وجـود هذا الحاجز بينهما ·

ولكن الملاحظ أن القضية لم تعالج كما يجب ··

ماذا لو كانت أحلام طفلة نظيفة الثياب رغم قدمها ونظيفة اليد رغم فقرها بدلا من أن نصورها قذرة ووسخة ·· ومن ثم يكتشف عادل أن مقاييس والده كانت خاطئة ·· وانه لا مانع من أن يشارك أحلام والاطفال الآخرين بألعابه بدلا من أن يكون هناك سبب موجب لابتعاد عادل عن أولئك الأطفال بسبب منوساختهم مقتنعا بنظرية والده ؟ !

ثم ما هى ضرورة تساؤلها الأخير سيما وانها قد أجابت عن سؤال عادل عندما سألها ·· لماذا ليس عندكم ألعاب ؟ أجابت بأن والدها فقير ولا يملك مالا ليشترى لها الألعاب ·

٣ ـ حمده خميس :

أكاد لا أختلف مع الاخت حمده خميس فى كل ما ذهبت اليه الا فى نقطة واحدة ·· وهى ما جاءت به فى صفحة رقم ١٧٣ : (لست أدرى لماذا لا أستطيع أن أسـمى الكتابة للاطفال « بالأدب ») ··· والى آخـر ما جـاء فى صـفحة رقـم ١٧٤ ·

واننى أعتقـد أن الأخت حمـده خميس لا تختلف معنـا فى أن الأطفـال حساسون ·· لهم مشاعر مرهفة جدا ·· تسعدهم الابتسامة وتملأ قلوبهم الفرحة بنظرة حنان ومحبة ·· كمـا تنغص عيشـهم أية بادرة تسىء الى مشـاعرهم وأحاسيسهم ·· واننى أمثل هنا المجتمع بانسان فرد ··

هذا الانسان الفرد يتكون جسمه من مجموعة من الأعضاء والأعصاب المختلفة ·· والأعصاب بالذات تختلف فى حساسيتها باختلاف أحجامها ·· فأعصاب العين مثلا أكثر حساسية من أعصاب الأنف أو الأذن كما أن هذه أكثر حساسية من أعصاب القدم وغيرها وحيث أن الأطفال أكثر حساسية من الكبار·· لذا فانهم يجيئون فى هذا التصنيف ·· أعلا مرتبة من الكبار ·

والأديب فى تعامله مع المجتمع كالطبيب فى تعامله مع الجسم البشرى والأطباء يختلفون مقدرة ومهارة وفنا ·· وخاصة جراحو الأعصاب الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة فى العالم ·· ذلك لأنهم يعالجون أدق وأرهف جزء من جسم الانسان ·

لذلك فاننى أرى أن الفنان الذى يتعامل مع الاطفال عن طريق الحرف أو اللون ·· هو أعلا مرتبة من أولئك الذين يتعاملون مع الكبار وعليه فان الكلمة التى تتعامل مع الطفل هى أسمى أنواع الأدب ·

ومع أن الأخت حمده لم تقدم أى نموذج ·· ذلك لأنها لم تبدأ بعد ·· الا اننى متفائل جدا بما ستقدمه لو حاولت على ضوء ما جاء فى اجاباتها ·· واننا لمنتظرون ·

٤ ـ عبد الصمد الليث :

لقد قدم الأخ عبد الصمد نموذجين من محاولاته هما (التلميذ ظافر) و (المغنى) ·

أ ـ التلميذ ظافر :

(ملخص) : ظافر تلميذ كسول ·· يهمل واجباته ·· عاقبه المدرس مرة بأن طلب منه أن يستعير دفتر ابن عمه احمد ليكتب الواجبات المطلوبة ·· ومع هذا فقد أهمل ذلك وترك كتبه ودفاتره ليذهب الى اللعب ثم يأتى فى المساء فيكتشف أن أخاه الصغير « قيس » قد مزق الدفاتر بما فيها دفتر أحمد ·· عاقبته أمه لاهماله ·

ثم يصطحبه والده فى اليوم التالى الى المدير ويتعهد الوالد أمام المدير بأن ولده لن يكرر مثل ذلك الاهمال مرة أخرى وسيحافظ على دروسه وواجباته ٠

اننا ندعو دائما أن تكون العلاقة بين المعلم والمتلقى للعلم ٠٠ علاقة انسانية كاملة ٠٠ بعيدة عن فكرة الأمر والنهى ولذلك كان من الأنسب لو أن عبد الصمد استعمل كلمة طلب منهم بدلا من أمرهم بالجلوس ٠

ان القصة فى محتواها تشير الى أن الانسان يجب أن لا يؤجل عمل اليوم الى الغد ٠٠ وعليه أن لا يهمل واجباته المطلوبة منه تجاه نفسه وتجاه مجتمعه ٠٠ ووطنه ٠٠ ولكن الفوقية التى اتسمت بها هذه القصة تدعو للدهشة والاستغراب ٠٠ اذ أننا ندعو الى بناء شخصية الطفل بناء صحيا متسما بالجرأة والاعتراف بالخطأ والاستفادة من التجارب والتفاعل مع المجتمع تفاعلا سليما دون وسيط ٠

فماذا لو أن هذا التلميذ ذهب فى اليوم التالى الى المدرسة واعترف للمسئولين بخطئه واعتذر عن ذلك الخطأ ووعد وعدا صادقا بأن لا يتكرر منه ذلك ٠٠ ومن ثم يتقبل المسئولون منه ذلك ويصبح ذلك الانسان الذى حفظ وعده وحافظ على كلمته وكان فى مستوى تحمل مسئولية أخطائه ٠٠ بدلا من ان يتعهد عنه أبوه أو ولى أمره فى ذلك ٠٠ أليس فى تلك الصورة ما يفقد الطفل توازنه على مر الزمن ويبقى ذلك الانسان الذى يشعر بأنه فى حاجة ماسة دائما وأبدا لمن هو أكبر منه ليتحمل عنه مسئولية أخطائه وهفواته ٠٠ومن ثم تظل شخصيته متذبذبة ٠٠ مهزوزة ٠٠ مترددة كلما أقدم على أى عمل ٠

المغنى :

لا تختلف قصة المغنى عن سابقتها من حيث الجو فهى أيضا عن تلميذ مغرور تأخر عن أداء دوره فى حفلة المدرسة مما أتاح الفرصة لتلميذ آخر ليقوم بذلك الدور حصل على أثره جائزة ذهبية ٠

اذا كان لهذه القصة من هدف فهو أن الغرور قاتل المواهب وان الشوفينية هى ألد أعداء الفنان وغير الفنان من العاملين فى شتى الميادين ٠

وان كان لى أن أقول شيئا فى ختام هذه الملاحظات فان ما اتسمت به نماذج عبد الصمد الليث من تقريرية مباشرة وعرض لأمثلة قريبة الى واقع الحياة لدليل على وضوح الرؤيا واختمار الفكرة لديه ولو أنه تخلص من بعض المواقف الفوقية لجاءت نماذجه فى أسلوبها البسيط الواضح أقرب الى النفس وأعمق تأثيرا فيها ٠

ونقطة أخيرة نريد أن نشير اليها هى أن هؤلاء الشباب قد اجترؤا على ملامسة هذا العالم الغريب بعفويته وبراءته وتطلعاته وكل ما يمت اليه بصلة ذلك هو عالم الطفل ٠٠ وأعتقد أنه سبقهم كثيرون ولابد وأن يقتفى أثارهم الكثيرون ٠٠ آملين أن يطالعنا محبو الأطفال بعطائهم الهادف ٠٠ وان فتح مثل هذا الملف الرائد ليفتح الباب لكل ذى موهبة للعطاء ٠٠ والموسم مازال بكرا ٠

كلمـــة .. هي

عبدالملك الحمر

من معايير الحضارة أن تقاس بمدى ما وصلت اليه أمة ما من دين أو فن أو علم ... أو قـــد تضيف فنقـــول من تربية . أى تثقيف الانســـان والتأكيد على دوره عن طريق التربية المستديمة .. ونوعيتها بصورة خاصـة . وعن هذه الاخيرة كانت البداية فى كلمة . وفى الكلمة : طاقة ... قوة ... فى الكلمة معانى ... مفاهيم ، فى الكلمة تنظيم ... علم ، فى الكلمة ذكريات ... جمال ، فى الكلمة مواقف ... حضارة . وفى الكلمة أيضا ذلك الانسان .

عندما كان يسألنى بعض طلبتى عن ماذا يقرأون تكون اجابتى اقرأوا مـا تشاؤون ... وهذه ليست اجابة تامة ... هذه كانت (ولم تزل) جزءا من رد فورى بل عاجل ، لاننا فى المجتمع العربى ... كل المجتمع العربى .. فى حاجة الى القراءة ... شعبنا غير قارىء .

بلا مواربة فان شعبنا فى أغلب المسـتويات غير قارىء : ـ السـياسى غير قارىء ... الادارى غير قارىء وقد يجتر ما يقرأ فى آلية من الرتابة ، طالب المدرســـة لم يقرأ بعد وربما لا يســتوعب ما يقرأ ، الاديب يقرأ ولا يقرأ فى آن واحد ، الجامعى يطفو فى حفظه لما يقرأ ، الطبيب لا تتعدى مطالعته الدوريات ، المهندس يعيد قراءة ما درسه سابقا ، والمخطط قـد يقرأ انتاج الآخرين متناسـيا أصالة ثقافته .

القراءة مراتب : ـ

- مطالعة للتعرف

- مطالعة للحفظ

- قـراءة للفهم

- قراءة للاستيعاب

- قراءة لترجمة اعلاه الى سلوك « عمل »

- دراسة للتجديد فالتغيير ...

- دراسة لتخطى الزمكنية فى آفاق لاتحد .

ويحضرنى فيما يحضرنى تقرير كبير فى حجمه .. كبير فى استبطانه أى فى نظرته الناقدة لذاته ... كبير فى طموحاته ... هو تقرير بلوك (BLOCK) الذى صدر مؤخرا فى بريطانيا ... ولكن بعد دراسة موضوعية وميدانية لمدة ثلاث سنوات ... حول تعلم اللغة الانجليزية ... للانجليز طبعا وفى تعـلم القراءة بأنواعها بصورة خاصة . واهتمام الانسان (العصرى بصورة خاصة) بلغته ، اهتمام بحضارته ... أى بقيمه ... بفكره ... بفلسفته ... بشخصيته ... بامكانات عطائه للثقافة بكل ألوانها ... بقدراته العلمية . فاللغة تنظيم لكيانه وتعبير مصداق لموقفه الحضارى . واللغة فى هذا موسيقى لها صـدى يتردد بين الأمم .

واللغـة قـدرات ومهارات وأسـاليب .. ومنهـا القراءة كذلك مهـارات لا تكتسب بالتعلم فحسب بل بالتدرب عليها بلا انقطاع . فقد ورد مثـــلا فى كتاب « **الأطفال يقرأون** » من تأليف د. هـدى برادة ود. وليد الغزاوى (مـع آخرين) تحليلا لعناصر القراءة الصامتة (ص ٨) كما يلى : -

١ - تعرف المفردات .

٢ - تعرف الجمـل .

٣ - تمييز الكلمات .

٤ ـ القدرة على فهم الجملة ٠

٥ ـ القدرة على فهم الفقرة ٠

٦ ـ فهم التركيب اللغوى ٠

٧ ـ فهم معانى المفردات ٠

٨ ـ المعلومات العامة ٠

وهذا التحليل يعطينا فكرة عن « قليل من كثير » للرد على التساؤل لماذا نقرأ ! أو كيف نقرأ ؟ ولو توقفنا عند العامل الاول للمفردات لتداعت فى أنفسنا وحولنا أكثر من مجمع لغوى ٠ فمفردات مثل الله ، الحب ، الوطن ، العدالة ، الامومة ، التقوى ، الحرية ، الجمال ، الموت ، الانتاج ، الفن ، التربية ٠٠٠ هذه كلها أكثر من مفردات ٠ ومن هنا يكون للكلمة دور فى « كتابات » حياتنا ٠٠ فى تاريخ حضارتنا ٠٠٠ فى مصير انسانيتنا ٠

الكلمة الطيبة أصلها ثابت فى الأرض وفرعها بل فروعها فى السماوات ٠ كذا الانسان الطيب تعبق بروحه وبكلماته الحضارة الانسانية أرضا وسماء ٠٠٠ الكلمة وكذا حضـــارات الأمم ألســـن ٠٠ تبقى حية معطاءة ما بقيت كلماتها حية متطورة متجددة خيرة معطاءة ٠ كانت الكلمة ولادة بداية وستبقى مرساة المآب الأزلى ٠

فى تأريخ الحضارة لم تكن الكلمة لفظة خواء ٠٠٠ وليست كما يريدها الأغبياء اليوم جعجعة خوار ٠ وليست الكلمة كما يتوهم البعض قولا بل الكلمة بماهيتها ومحتواها ومقاصدها حركة عمل ذات سيولة مديدة قوية ٠٠٠ ما أن يقف امامها حاجز حتى تتخطاه ، وما أن يسد حركتها عائق حتى تتحداه فتنفجر وتثور مؤكدة أنها الانسان يعمل فينطلق ٠ فأول كلمة فى أول آية حكيمة « اقرأ » فعل أمر ٠ وكانت تلى الكلمـــة الطيبة مقرونة بموقف التوحيد ومقرونة بالحـــرية المطلقة التى لا تكون الا مع ذروة التوحيد ٠٠ ومقرونة بالكرامة الانسانية التى أرادها الأكرم ٠٠٠ مقرونة بموقف علم وتعلم « علم الانسان بالقلم » وقد أريد

له أن يكون بل ويستمر من المهد الى اللحد ... فيتصل بمفاهيم معاصرة فى التربية المستديمة . قلم « كتاباتنا » لم يجف ... انساننا لم يتقوقع ... كلماتنا يباركها الله .

الكلمة مواقف فى كلمات . المسيح عيسى بن مريم كانت له كلمات ... طارق بن زياد كانت له كلمات تضارع قمم الجبال وتتحدى البحار ... سقراط كانت له كلمات تجابه الموت المحتوم وهو فى سجنه ... الفاروق عمر بن الخطاب وهو يواجه ابن الأكرمين بكلمات حازمة تؤكد حرية الانسان فى جو من العدالة ... غاندى عبر بكلماته من الشرق المستعمر الى الغرب (المستعمر) فنال استقلال وطنه . أليست كلمة حق فى وجه حاكم ظالم جهادا ؟

● تلك كانت خاطرة من كلمات معدودات وأنا أطالع الجزء الاول من « كتابات ٧٦ » فأرى من خلالها شبابا ينهض ... شبابا يحب ... شبابا ينتمى ... شبابا يشقى ... شبابا يفكر ... شبابا ينتج ... شبابا يجدد ... شبابا يجاهد فى سبيل الكلمة ...

شباب من أبناء الخليج :

بالله يؤمنون ....

للوطن يعملون ....

لأمتهم بالحق يقفون ....

بانسانيتهم يعتزون ....

فالثروة الحقيقية هى فى هذا الانسان الذى يؤكد استمراريته بكتابات ...

وكتابات فى كلمات طيبات تبنى حضارة ....

.. كلمة هى .... تحية هى . .

لحن الشتاء

بين الفن الاصيل والفن الموظف

محمد الماجد

تمهيد :

فى الخمسينات من هذا القرن كنت أسمع من المذياع ـ أيامها لم أكن أعرف الكتابة أو القراءة ـ قصصا تحكى عن الفقراء والبؤساء ، وتحكى عن الخير ، وتقول انه أقوى من الشر · ولأننى كنت طفلا بريئا فى تلك الأيام ، فقد كنت أبكى بحرقة ، لا لأننى فقير ـ لم أكن أعرف معنى الفقر فى تلك الأيام ـ بل لان الصيغة ـ طبعا صيغة القصص ـ كانت تتناسب مع سنى ! وعلى ما أذكر فأن غالبية تلك القصص طبعا ـ مذاعة أو منشورة على صفحات مجلة « صوت البحرين » كانت من تأليف قصاصين فاشلين ، اتخذوا من القصة هدفا للتعبير عن هموم شخصية ، وحين انتهت هذه الهموم كفوا عن كتابة القصة ·

بمعنى ، أو بآخر ·· الذين كتبوا عن الفقر صاروا أغنياء ، فكفوا عن كتابة قصص الفقر · أما المحرومون من الشهرة والوظائف ، فقد كفوا عن كتابة تلك القصص ـ قصص الحرمان والبؤس ـ بمجرد أن وصلوا الى ما يريدون ·

المتاهة :

كنا عطاشى للنشر ·· عطاشى لن يعرف من نحن ، ومانكتب ·· كان عزاؤنا الوحيد هو الاجتماعات الاسبوعية ، التى كنا نناقش فيها كتاباتنا وقراءاتنا ·

وفجأة ·· وبالتحديد عام ١٩٦٥ ظهرت جريدة الاضواء ، وظهرنا نحن

علىصفحاتها · وبعد صراع مرير اتخذ كلمنا شخصيته ، الشعراء والقصاصون على حد سواء ·

ومع قيـام أسرة الادباء والكتاب فى البحـرين ، ازدهرت الحركة الادبية الشابة ، وكان من الطبيعى أن تطفو على السطح نوعيـات غريبـة ، بعضها كان يريد أن يوظف الادب لافكار معينة ـ حتى ولو كان ذلك على حساب حياته ، وهذه طبعا بطولة دون كيشوتية ـ والبعض الآخر كان مصابا بعقدة (الشهرة) وأعتقد أن أسرة الادباء والكتاب هى المجال الوحيد لذلك ·

وعلى امتداد كل هذه السنوات منالنتاج الاصيل والزائف، كان النقد غائبا· والمحنة الاساسية فى ذلك هى الاعتقاد السائد بيننا ، أنت تنقدنى ، اذن فانت ضـدى !

أنا سأتحدى هذه المحنة · وسأتعرض بالنقد لمجموعة الاخ عبد الله خليفة القصصية (لحن الشتاء) ·

ما هو الفن

حتى لو استعرضنا آراء علماء الجمال فى ماهية الفن ووظيفته ، بدءا من كروتشه ، حتى جورج لوكاش ، فاننا سنجد شيئا واحدا ، الفن عملية انسانية لكنها غير موظفة ·

وليس من الضرورى أن يكون التوظيف هنا (الزاما) بمعنى أنه صادر من جهة معينة ، تفرض نوعا معينا من الفن ·· لا ·· انه يأتى أحيانا عن قناعة شخصية تتداخل فيها عوامل البيئة ، وعدة عوامل أخرى ·

من هذا المدخل ، أو هذا المنطلق ، نستطيع أن نفهم المجهوعة القصصية (لحن الشتاء) للقاص البحرينى عبد الله خليفة ·

هذه المجموعة موظفة عن قناعة شخصية ، والقاص عبد الله خليفة ، هو الآخر موظف ـ عن قناعة شخصية طبعا ـ لذلك فهو لا ينتمى الى الفن الا من حيث الوظيفة · من حيث ما يريد أن يقنعنا به ·

قصص هذه المجموعة لا تحدثنا الا عن شيء واحد : في العالم جواسيس ، وسجون ، ومرتزقة ، وعمال مضطهدون ، اضرابات عمالية تقمع بعنف وقسوة.

عظيم ٠٠ قد يكون هذا شيئا واقعا ٠٠ لكن السؤال ، هل هذا هو الفن ، أم أنه التصوير الفوتغرافى للواقع ؟

سؤال آخر : ما هو الابداع ؟

وسؤال آخر : ما هو الخلق ؟

ان الكاميرا نفسها ـ وهى آلة صماء ـ عندما تكون بين يدى مصور فنان، تخلق وتبدع ، فما بالك بانسان يعرف (ماهية الكتابة) ٠

بدءا من (الغرباء) القصة الاولى ، حتى (العين) القصة الاخيرة ، لن نجد الا نغمة واحدة : تغيير الواقع ، وهدم السجون ، وقتل الجواسيس !

والفنـان :

دعونا نرحل هنا فى أعماق عبد الله خليفة كفنان ٠٠ كخالق وكمبدع ٠

سنجد هنا أن عبد الله يفتقر تماما الى التكنيك ٠٠ انه لا يهتم بالبناء بقـدر ما يهتم بالمضمون ٠٠ القصة الوحيدة التى نجح فى بنائها هى (القبر الكبير) أما باقى القصص ٠ مثل (الملك) و (هكذا تكلم عبد المولى) و (الكلاب) ، والى آخر المجموعة ، فانها مضمون بلا بناء ٠ لكن عبد الله ، كفنان موظف ينجح فى الوصف ٠٠ انه واقعى يذكرك بمحمد عبد الملك ، على المستوى البحرينى واميل زولا على المستوى الفرنسى ، لكن الواقعية هنا تختلف ، فواقعية الوصف شيء ، وواقعية المضمون شيء آخر ٠

الفن ليس وظيفة ٠٠ ليس الزاما ، أو التزاما عشوائيا ٠ ان محاربة الزيف والنفاق ، وهدم السجون كلها هواجس انسانية ٠٠ كلها اهتمامات اى فنان ، لكن الفرق فى التعبير عن هذه الهواجس كبير ٠٠ فقد يعبر عنها مواطن عادى برسالة يرسلها الى اى جريدة لكى تنشرها له فى (بريد القراء) لكن فنانا مثل (فرانز كافكا) يعبر عنها بشكل آخر فى روايته ، على سبيل المثال (المحاكمة) ٠

الفن ليس مواجهة تقريرية مع الواقع ـ ذلك شأن السياسة والاقتصاد وبقية العلوم الجامدة ـ الفن خلق ٠٠ ابداع ٠٠ حتى لو كان الواقع المعاش قذرا ، فعلينا أن نعبر عن هذا الواقع بشكل غير تقريرى ٠ ان من يقرر واقعية الواقع بشكل فوتغرافى ليس فنانا ٠ قد يكون كاتبا ، لكنه ليس فنانا !

أخيرا (لحن الشتاء) هى لحن الواقع المر ، لكنها ليست لحن الفن ٠٠ انها، بشكلها الاخير ، تحقيق صحفى عن مأساة الفقر والاضطهاد فى بلد ما !

أصوات جديدة في القصة القصيرة

● في محاولة للتعريف بالاصوات الجديدة التى نتوسم فيها عطاءا واعدا فى القصة القصيرة ، جاءت فكرة اعداد هذا الملف ، ليشمل دراسة نقدية بعنوان « تطور القصة القصيرة وعلاقته بالتطور الاجتماعى فى البحرين » للكاتب القصصى عبد الله على ، واجابات كل قاص على ثلاثة أسئلة وضعناها للتعرف اليه بالاضافة الى مجموعة من النماذج القصصية ·

● الاصوات الجديدة :

نعيم عاشور ، محمد السويدى ، عبد الاله عيسى ، طاهر عقيل ، احمد على كمال ·

● الاسئلة : ١ ـ لماذا اخترت كتابة القصة القصيرة ؟

٢ ـ العمل الادبى لصيق بالواقع ، هل حاولت ان تعكس هذا الواقع من خلال كتاباتك للقصة ؟

٣ ـ هل استطاعت القصة القصيرة فى البحرين ان تؤدى الدور المناط بها عطاءا وتجددا فى واقعنا الادبى ؟

● ربما لسوء حظنا مع هذا الملف : أولا ، تعذر نشر الدراسة النقدية باكملها بالاضافة الى اجابة الزميل احمد على كمال ، لاسباب خارجة عن ارادتنا (····) ، كما أن الزميل عبد الاله عيسى لم يرسل اجابته ولا نماذجه القصصية حتى كتابة هذه السطور ، ثانيا : جاء مستوى اغلب الاجابات اقل بكثير مما هو مطلوب · ولكى نصل بهذا الملف الى الحد الادنى مما رسم له نقدم هنا النماذج التى وصلتنا ، ومن خلال الاجابات حاولنا ان نخرج بمجموعة من النقاط الخاصة بكل قاص لتكون تعريفا به · فعسى القارىء ان يستطيع بذلك التعرف عن كثب على الاصوات الجديدة فى القصة القصيرة · وفى الجزء الثالث سنحاول تقديمها فى قراءة نقدية ·

(كتابات)

أحمد علي كمال ...

طفلة النرجس تولد بين احشاء الكساد

.. كادت تعدو مسرعة وقد غطى وجهها الوجوم وتبدت خصلات ضفائرها متشابكة كليل لحف النوافذ الصغيرة المتباعدة والمكتئبة ..

دفنت رأسها فى خميلة البنفسج ثم تمددت فى استرخاء أبدى اتصل بتمغط المسيح بين جوانب قبره المتكور .. دنوت منها وجـــدت يدى تسكن جبينها وتتحسس ندبات التقطب واخـــاديد الزمن ـ هوت يداى فلم استطع ان افرق بين نعومة قميص نومها الساحلى وبين شفافية مســـاماتها فجاءت الحكمة توقظنى فأيقنت بعذوبة الانتحار فى سبيل الحرية ..

.. خلعت عينى على جذعها ، تجهمت استحلت الى كائن آخر يتلو التجرد من تراكيب كيانه ـ دمية ترتدى بذلة حرب وتتأبط بندقية .

.. رفعت جيدها ونطقت بلهجة تنضها رطوبة البحر ..

ـ لماذا يستوطن الحزن عيشتنا دائما ؟

أجبت بنوع من التخلد المخمور وقت هبوب البوارح :

لماذا تسبرنى عيناك وتأخذنى حيث مجاهل لست اعرفها ـ احبها ولكنك ..

تأ .. التقطت انفاسى بتصرف غير ملحوظ وواصلت حتى حدود الدهشة ..

أيا قاتمة الجبين المتوهج فى عرس الضباب وبين فرقعة الرصاص وتواريخ الدعارة .. هل تكونين يا (.....) نهارا يوقظ الليل المسمر فى خاصرتى فتطوقين الصدر كقلادة الزمرد يرويها غواص البحر بدمه ـ فهل ينتهى زمـــن الشهادة ؟ قالت :

ـ الموت صرخة كبرى فى سبيل الهدف.. فهجع الجواب فى داخلى مرتابا :

– بلا . لـــكن العشق اكبر ، وان تكونى فرحة فلن يضـــاهيك الصراخ . فتصبحين زمنا يحمل فسفورا وسكينا ·

·· صممت فأرخت جيدها واغمضت عينيها فى هدوء مستكين ··

هممت مغـــادرا بعينى تقاطيع وجهها تطلعت لصـــدر السماء متفحصا ثم غضضت جفنى مدبرا ·· غرقت فى تيه التوجس ·· التفت وجدتها قد اسدلت نتواتها فى زرقة الماء وماتت قبل ان العق ريقها ·· هى وانا وكلانا جسد واحد يجمع شتات اوصاله فكأن فخذيها جدولان يصبان فى ذاكرتى دما يشعل حوافز الشهوة والحـــلم فى ·· رغبت فى صنع الحب توا . فأحسست بمـــرض « الشيزوفرانيا » يقتحم اطرافى فيمتص مصرانى التورم ويبدو كحنش قنفذى

طرقت حواجـز المدينة المغتصبة مختالا بتطلعاتى متأملا أهلها الجيـــاع ، المحرومون يتضورون (الكساد يعم البلاد ومستودعات الموانىء والتجار تغص بالارز والطحين وشتى المواد الغذائية الاخرى) ··

·· استوطننى الغضب فامسكت بوجهى وحاولت غرسه بين ملتقى الساقين ففاحت فى الكون رائحة العطر والخصوبة الطيفية المبللة بدماء الشهداء ·· صرت اضاجع اليباس واهمس بين المسامات الرملية ساكبا لونى حتى آخـــر نفس تحتويه هامتى فأتخيل الخضرة تكسو الارض التى عقمـــوا خصوبتها ، فأتقاطر فرحا فوق الجنبات المثمرة والشهداء يبعثون كى يطهـــروا اعراس اطفالهم فيتلون الصلوات فوق البنفسجية ··

هاهى طفلتى تطل برأسها بعد ان مزقت خيوط العنكبوت الفولاذية ·· جاءت تحمل الشمس وجها وترتدى النرجس ثوبا يكسو رخاوتها ميلادا سعيد ·

تسللت الى جوفى خيوط موسيقى ازليه فأمتزجت بكريات دمى الحمـــراء (لحظة صمت) بعدها فجرت غفوتى . انتفض الحب ·· رأيت الليل يكبو بين اضلع الرهبة مراوحا بين فلول الظلام ··

فطنت بأنى قد افرطت فى الحلم تحـــرقا فصرت ابنى حلما آخر يكون فيه الحبل اكثر قابلية للولادة ··

طاهر عقيل ..

● ان اختيار أى شكل أدبى يعتمد على القدرة الفنية لدى الشخص الذى يريد أن يقدم عملا ما (فللشعر مقوماته وخواصه وكذا المسرحيـــة والرواية والقصة القصيرة) كما يعتمد على اختيار مضمون جيد يلبى حاجات النـــاس الاجتماعية والنفسية والفكرية ·

● ان جدلية الواقع والفكر (أو المادة والوعى) على أســـــاس أن الواقع الاجتماعى هو مادى · فالواقع هو أن الابنية السياسية والثقافية والايديولوجية قائمة على البناء الاقتصادى ، متكونة فيها علاقات اجتماعية بين طبقـــــات متناحرة ، يتحرك فيها الناس وفق مصالحهم وموقعهم الطبقى ·

● قد حاولت من خلال كتابتى للقصة أن أكون انعكاسا للطبقات المهضـومة التى تحمل فى أحشائها المآسى والآلام والخلاص منها فى نفس الوقت ·

● فى البداية ، ومع محاولاتى الاولى لكتابة القصة انجرفت الى الطـــرح العمومى الذى كان معظم أدبائنا يطرحونه وهو الذى يندرج تحت الشكل الرمزى والمصورللواقـــع لعموم الفئات والمتوجـــه لفئة المثقفين فقط دون استشفاف المشاكل الخصوصية لتلك الطبقات العريضة · وقد أدركت مدى عقم هذا الاسلوب وغموضه ، فحاولت ـ ولا أزال ـ أن أعكس الواقع الذى هو واضح ومعقـــد بقدرتى الفنية البسيطة بوضوح وبشكل تطورى · فاتجهت الى كتابة قصص يكون أبطالها مستمدين من الواقع ان لم يكونوا واقعيين ·

● أن القصة القصيرة فى البحرين قصيرة العمر ، فهى ابتدأت كبداية حقه منذ الستينات ، بعد فترة مبتورة عن المحاولات الاولية التى توقف عطاؤها. فقصص الستينات هى القاعدة القصصية فى البحرين ، ولتحديد دورها يتوجب علينا أن نحدد موقعها بالنسبة للأدب عامة ، والأدب فى البحرين لم يستطع أن

يؤدى الدور المرجو منه . فالمسرح بصفة عامة ضعيف ولم يقدم شيئا وهذا ناتج عن ظروف ذاتية وموضوعية · أما الشعر فرغم عطائه وتجدده الا انه لم يصل الى أبسط الناس . فمعظم شعرائنا كانوا يتغنون بذواتهم وهمومهم التى ظنوا انها هموم الفئات العريضة · وكذا القصة القصيرة التى ابتدات بالشكل الواقعى التبسيطى ومن ثم تحولت الى الشكل الرمزى الغامض وما زالت تدور بين هذين الشكلين ··

● القصة القصيرة عندنا كأسلوب استطاعت أن تتطور وتتجدد بشكل جيد الا أنها مضمونا ظلت حبيسة التصور البرجوازى الصغير · والنقطة الأهم فى القصة عندنا انها لم تستطع أن تؤثر فى الفئات العريضة التى يجب أن تعكس واقعها وتخدم قضيتها بالشكل المطلوب · فالاهتمام لازال بسيطا من قبل الجماهير العريضة بأدب القصة القصيرة خاصة وبالادب عامة . وذلك يرجع الى أنه ليس هناك عمل أدبى استطاع أن يلتصق بها ويستمر فى الالتصاق ·

الكـــــآبة

١٩٧٤/٥/١٩

يوم جـديد يبدأ ·· الشـمس فى صراع مع ظـلام الليـل للحاق ببزوغ الفجر · الارض مبتلة بالندى الكريه · ترددت تأوهات الجوع فى أذنيه · نظر الى أطفاله · بادلوه نظرات الامل . حاول الهرب منها · جر قدميه الى المدينة · دخل ادارة العمل « ليست هناك طلبات للعمل » ·· جواب اليوم كالامس وقبله ·

اجتاز بوابة احدى الشركات (لاعمل) · أخرى (لاعمل) ·· وتأوهات الجوع تتردد مع الرفض · لم يعد يحتمل · رأى خادمة تلقى الفضلات · أطفاله يأكلون الفضلات « لا ·· لا » · أشاح بوجهه · انقضت الكلاب على الفضـلات وهى تدغدغ بطونها · أخذ يعدو ·· الارض تصرخ جائعة · لهث أنفاسه ·· وهى تدغدغ بطونها · زاد من عدوه ·· الكلاب جائعة ·

بخطى يائسة دخل شركة ....

- هل يوجد عمل

- أى نوع من العمل

- عمل يسد جوع ١١ طفلا .

١٩٧٤/٥/٢٠

« قررت شركة .... استخدام أحمد عبد الله سليم البالغ من العمـــــر ٤٨ سنة من سكنة واديان بسترة . عاملا بالشركة. »

رحب العمال به . بدأ عمله نشيطا . كان العمل شاقا . لم يتوقف لحظة . كان يقفز هنا وهناك . حان وقت الغذاء . لا طعام لديه . شاركه العمال غذاءهم.

اشتدت حرارة الشمس . العمل مستمر . وهو مفعم بالحيوية . سمع أحد العمال يقول له :

- انك تقتل نفسك . كل هذا لايساوى أجرك .

- هناك بطون تئن جوعا . وأنينها يتردد فى كل قطرة من دمى .

- لكنك لن تحصل على أجرك اليوم . فماذا ستطعمها .

أحس بانقباض شديد . حزن . تجمع العمال حوله . قال له أحدهم :

- لا تحزن . ودس فى يده مبلغا من المال .

- ما هذا ؟

- انه من اخوانك العمال .

أصر على الرفض فى البدء . قبل .. وصور رمادية لاطفاله الجائعين تراءت له .

ركض نحو البيت . استقبلته البطون فرحة بما تحمله يداه . رفعت زوجته يديها الى السماء . هز رأسه . تمدد على الارض . بدأ الخدر رويدا رويدا

وتسلمه النوم ·

حلم أنه قرصان . هجم على سفينة السلاطين · القى الذهب والفضة فى البحر · حمل المأكولات والحلوى فى عربة · راح يوزع ما فيها على أطفال القرية والعجائز ·

من ٢٠/٥/١٩٧٤ الى ١٩/١٠/١٩٧٥

قدم كل قواه · استنفذها · كل يوم يمر كسنة من عمره . وهو يقدم ·· ويقدم حتى تقوس ظهره · البطون لازالت خاوية · أطفاله يمسكون بطونهم لوجبة واحدة · زوجته تشارك رضيعها فى أكلها · شحب وجهها . غدت هزيلة ·

انه يقدم . والارهاق يأكل جسمه · كان مريضا ·

ـ أشعر بالمرض · هل تسمح لى بالذهاب الى البيت

ـ سيخصم أجر هذا اليوم ·

ـ لكننى عملت حتى الان ست ساعات ·

ـ اذن أكمل اليوم لتأخذ أجرك ·

ـ لكن ·····

رجع الى العمل · أحس بالدوار · تذكر أجره والبطون الخاوية · وقف مع العمال · تأهبوا · انزلت الرافعة القديمة القطعة الحديدية قليلا · صرخ أحد العمال :

ـ انتبهوا ·· انها تسقط ·

تراكض العمال بعيدا · حاول أن يجر جسمه المرهق . لم ينجح · هوت القطعة الحديدية · طحنت يده اليسرى مع الارض ·

ازدادت تأوهات الجوع . مع خطواته بين الشركة التى استغنت عنه دون تعويض عادل . وبين مكاتب الشركات الاخرى ···

- هل يوجد عمـــل

- أى نوع من العمل

- عمل يسد جوع ١١ طفلا بيد واحدة ·

- لا ·

ثم لا ·· لا يوجد عمل · والجوع يأكل الاطفال والنساء والشباب ·

لحظة الحـــلم والواقع

اللحظة

حان وقت رجوعه من العمل لبسـت عباءتها · خرجت مسـرعة · ربمـا يكملها اليوم . يجيبها أحست بالخجل ·

لحظة ·· ويكون فارس أحلامها ممتطيا جوادا أبيضا ·· يخطفها الى البعيد . حيث لا أحد · وصلت دكانة القرية · لم يظهر طيفه · يئست · رجعت أدراجها · أبطأت من مشيتها · فجأة غيرت وجهتها · اقتربت من بيته · نساء كثيرات هناك · اقتربت أكثر · سمعت بكاءا شديدا · سألت امرأة عن الامر · أجابتها بأنه مات · اختنقت · دارت بها الدنيا · كاد أن يغمى عليهـــا . لولا الخجل · ملأت الدموع مآقيها · حاولت الرجوع · أمها قادمة · قالت لها :

- أنت هنا

- ·····

- ارجعى البيت ·

- سآتى معك ·

- حسنا ·

أول مرة تدخل بيته · تمنت دخوله عروسا · النساء تبكى ·· جلسـت

ساكنة فى ركن · أمه تندب ···

ـ قتله المختار مثلما قتل والده ·

فى الطريق الى البيت · سألت أمها :

ـ هل حقا قتله المختار ·

بحزن ردت أمها :

ـ كان والده يعمل فى أرضه · سلبها المختار ، فمات ·· وصار هو عاملا فى مؤسسة المختار ، فسقط صريعا تحت الماكنة ،

الحلم

« أيها المختار سلبتنى حلمى ·· سأقتلك · »

كانت جالسة فى غرفتها · بيدها سكين ·· راحت تقلبها ·

قالت لها السكين :

ـ ماذا يدور بخلدك

ـ سأقتل المختار · سأغرزك فى أحشائه ·

ـ لماذا

ـ أطفأ شمعة حياتى ·

ـ ماذا ستجنين

ـ سأخلص القرية من شروره

ـ والآخرين

ـ لم يسلبونى شيئا ·

ـ بل كلهم فعلوا ·

ركضت فى أزقة القرية · أناس يتبعونها · ارتطمت بجدار · اقتربوا · أخذت تعدو بكل قوة · مجموعة من النساء والرجال جالسين · حاولت الاقتراب· قالت لنفسها :

ـ آه · لن أستطيع · فهم بعيدون ··

أجابتها الارض :

التحمى بهم ·· سيكون الخلاص ·

الواقع

دخلت مع أمها البيت · المختار جالس مع والدها · غضبت · أقفلت باب الحجرة · بكت · نادتها أمها · قالت لها :

ـ سيكون زواجك بعد أسبوع من ابن المختار ·

ـ مـا ·····

بعد أسبوع ·· كان زواجا باهرا فى القرية · حضره كبار رجالات القرية · كانت العروس فى أجمل حلة · قالت لها أمها :

ـ هل أنت سعيدة

ردت بخجل :

ـ نعـم ·

محمّد عبدالله السويدي ...

● أننى لم أشعر بشىء ما فى العطاء فيما أريد أن أعبر عنه . والانسان بدوره يحاول أن يلجأ الى أقرب وسيلة للتعبير · وأنا بدورى فى البداية لم أستقر الى أن اهتديت لكتابة القصة القصيرة كأداة قادرة على بلورة ما أريد ولانها أكثر أشكال الادب ملائمة لتناول الموضوعات التى أريد أن أطرحها · وبهذا كان اختيارى كتابة القصة القصيرة وما هى الا بداية فى هذا المشوار الطويل ·

● أكثر ما يهم الادب هو الواقع الحاضر والمستقبل ورفعه الادب وانحطاطه انما تقاس بمقدار التصاقه بالواقع أو بعده عنه ·

● والقصة على وجه خاص مرآة للمجتمع وصوره تفصح عنه ، والقارىء الذى اطلع على ما كتبت لابد أنه لاحظ هذا فيما نشرته من قصص فى مجلاتنا المحلية وعلى سبيل المثال لا الحصر فى « رجل مع الطريق » و « الفصل الاخير » و « حمدان » و « عندما تمطر السماء » و « أشياء تعيد الذكر » انعكاس الواقع من خلالها ·

● وعلى هذا فالاديب الذى ينعزل بحياته ولا ينفعل مع واقعه ولا يصيب بمضمونه الادبى هدما لا يمكن أن يرقى الى مستوى تلك المسئولية التى افترضتها احتياجات الحياة الانسانية ·

● العمل الادبى لصيق بالواقع ولم يعد الادب وسيلة للترفيه · ولكنه أصبح طاقة من الطاقات الهائلة الانسانية والاديب فى المجتمع يواجه كثيرا من التحديات وكثيرا من المسئوليات · ولهذا فان حاد الادب عن هذا المنحى . وابتعد نظر الاديب عن المهمة الاصلية ـ انحطت قيمة الادب وذلك لان الاديب الاصيل فى فنه وموهبته اذا اقترب من

الواقع كما هى مهمته الاصلية فلابد أن ينفعل بمجتمعه وأن يعبر عنه وبالتالى يتجاوب معه مجتمعه ·

● المتتبع للحركة الادبية فى البحرين لا يستطيع أن ينكر الدور المنـــاط بالقصة القصيرة من حيث العطاء والتجديد فى واقعنا الادبى · ففى المرحلة الاولى لم تهتد القصة فى البحرين الى المقومات الفنية الجديدة لفن القصة · فقد سقطت فى القصة التقليدية ـ حيث الوعظ والاسلوب الانشائى والمباشر والنقل الفوتوغرافى وغيرها ، والتى لازمت القصة عبر خطواتها الاولى الا أنهـــا لم تستمر كذلك فتحركت الاقلام تدعواء من بينهم خلف أحمد خلف فى ايجاد قصة متجاوبة مع الواقع ··

● هذه البداية فتحت الطريق أمام القصة القصيرة عندنا · فكانت هناك حركة مد وجزر وكانت خطوة جيدة فى جمع مجموعة من القصص القصيرة للشباب فى كتاب واحد وهو « سيرة الجوع والصمت » لتعطى صورة مصغرة لرصـــد ما أعطته القصة القصيرة مع التفاوت لملامح فن وموهبـــة كل كاتب فى هذه المجموعة وخاصة محمد عبد الملك وخلف أحمد خلف وأمين صالح ومن الـذين برزت أسمائهم أيضا عبد الله على خليفة وصوت آخر هو عبد القادر عقيل وشباب آخرون ·

● أما اليوم فان العين لاتقع على صحيفة الا صادفت منها ذلك اللون القصصى الجديد ومن الحقائق أن القصة البحرينية قد أصبحت اليوم تكتمل نوعا ما . ومن الميسور أن يتضح كيانها وشخصيتها الناصعة وذلك بوعى الجيل الجديد الذى شهد مولدها المنشود ورصدوها · فأصبح للقصة مفهوم جديد ملتزم بأهداف ، وبدأت الحركة الادبية تتبلور فى مسار واضح محدد فكانت بمثابة قوة دفع كبيرة، وبفضلها ازدهر الوعى الادبى ·

● وما أحسبنى قد أغلو اذا جهرت بأن القصة القصيرة بما قدمت كانت من بين العوامل التى هيأت الاذهان لحركة التطور والتجديد ·

الصمت والظلام يملان المكان ·· يبزغ الفجر ويهرب كطفل صغير اخافه حديث البوم فى الظلام ·· فيعقبه الليل كرجل عجوز يهرول بخطوات ثقيـــلة تسمع أصداء دبيبها فى أنحاء المكان ·· الليل يلفه ·· يريد قتله يصيح الديك انذارا بأنه يراقب الليل يتباطأ فى وحشية وكبرياء ، ويسير فى حذر دون قتال او اسالة دماء على الاسرة . او على الطريق او فى الازقة ·

ينهض تائه البال . اخذ معوله بيده ووضعه على كتفه ، انه يخلـــع ملابسه يدير المفتاح فى القفل ·· يفتح الباب ويخرج الى حقله لعله يراه كما ودعه فى تنظيمه وابتسامات أوراقه الخضراء · وسير المياه بعد جفافها فى جداولها · يسير مسافة غير قصيرة يتراجع فى خطواته لرؤيته اشباحا طويلة تطالعه فى مسيرته . يركض ولايعلم ، فتح الباب وأوصده وجسمهتملؤه رعشة مخيفة ،يجلس على سريره وجبهة جلده تتصبب عرقا وترتعش شفتاه ويداه التى تركت المعول يهوى على قدمه تتسارع الاشـباح فى أخذ المعول ينحنى أحـدهم بيده الطويلة ويعتدل . يتراجعون من حيث أتوا يبحثون عن فقير قد حده القدر فى ان يتطلع الى مايملكه فى الحى · يتباطأ العجوز لكن الطفل الصغير يسرع بطلوع الفجر جالبا معه نبضات قلوب يملؤها الرعب وتتلاحق فيها الانفاس كانسان يضغط عليه القدر لدى موته ووحشة الظلام والصمت ، تبدأ الحركة ، تفتح الابواب مصاريعها . يخرج الرجال والنساء والاطفال من سجنهم الطويل للعمـــل ، يسيرون بخطوات الانسان المرتعش وعلى اكتافهم وبأيديهم ممسكين ادواتهم ·· رجل يتباطأ فى مشيته . أسئلة ·· تنبعث من الافواه عن سبب اصابته وتركها على هذه الحال . لم يكن يصغى ·· انه تائه فى افكاره المشوشه ·· تنحدر عليه يد ثقيلة ·· يرتجف ·

ـ « ماذا اصابك يا منصور » ألم تسمع ؟!

ـ « هاه ·· هاه ، لا ·· نعم » اخبرهم وهو يرتجف عن ليلته بعد خروجه من البيت ولا يعرف عن اصابته سوى الصباح ·

تنفرج الافواه ·· تتحرك الى الاعلى والاسفل الجميـــع فى همس مخيف ، تخرج الكلمات من رجل عجوز قد أكل الدهر من حياته الشىء الكثير بحشرجة من بلعومه :

ـ « ياالله سوف يدخل الخوف فينا بهذا الشكل » !!·

وبينما هم فى حديثهم ورعبهم وتلاحق زفيرهم وشهيقهم ، اذا هم على ارض حقولهم واقفين · وبأدواتهم من على اكتافهم تعمل فى ارضهم الجافة المتطايره بضربات قلب لم يبق شىء من استمراره ولكن دون جدوى ، التعب ·· العطش ·· الشمس المحرقة ·· ينتهى العمل فى انخفاض الاصوات المعتادة فى العمل « هب ·· ياالله ·· هب يا الله » اجتمعوا كأسرة واحدة تحت شجرةكبيرة مهترئة يأكلون ما تبقى لهم المؤنة ·· كان الجميع يعمل بايمان من اعماق قلبه حبا فى الحياة والامل والخلاص ·

بدأ الرجل العجوز يقترب ·· يخط بعينيه فى الافق الخط الاســـــود معلنا اقترابه ·· فيبدأ الطفل الصغير فى الهرب خوفا من حديث البوم فى الظـــلام والصمت المخيف ·· لم يتحركوا من تحت أغصان الشجرة ومن جلستهم · مالهم أجمدت أرجلهم وأجسادهم ولا يستطيعون الحراك ·· ياالله ·· ياالله !! ماهذا المنظر ·· أهبت عليهم جرثومة أقعدتهم فى مكانهم ·· ياساتر انهم يتهامسون ·· وبآذان ترهف الســـمع ·· اختلطوا مع الظـــلام والصمت لم ارى سوى السواد ولا اسمع سوى نباح الكلاب ·· اقترب الليل من الشـــطر الثانى من سواده الحالك ·· يصيح الديك بأصوات صاخبة يخرجها من بلعومه يهز الحى هزا ·· يمزق صمت الظلام القابع عليه وتتالت اصوات الديكه فى جميع انحاء المكان ، صراخ ونار تشتعل فى احد البيوت المبنية من سعف النخيل والطين ·· تتصاعد النار فى التهامها الاوراق تنير الحى ينكشف الرجـــل المخيف ·· ينكشف الشبح الطويل دبيب فى الارض كأحصن الفرسان تخطوا من كل حدب وصوب من الازقة من الزوايا ·· من الحانات ·· من التراب الجاف المتطاير ،

خوار الابقـــــار يتزايد ·· يموت البعض منها والنار تأكل من جسدها تتطاير الدجاج فى كل ركن لا تعرف اين الطريق ·· تختفى وتتباطأ النار ، وحلقة فى ركن من اركان الحى ترتفع فيها المعاول كأنها كف انسان واحد يعزق الارض·· تخرج صرخة حادة تكشف عن اسرار البوم والظلام والصمت المخيف ·

قبل أن تغرب الشمس

راح يركض بسرعة السهم بعد ان سمع الخبر فى وسط الشارع · اخترق المارة ، احتك بهم ، تطلعوا اليه غضوا وطأطأوا رؤوسهم كالبهائم ·

ـ ماذا أصابه ·· أجن ؟!

تابعوه وهو يركض ، وقع قدميه على الارض كحوافر الخيل علىُ الاسفلت تطرطق ·· تطن فى آذانهم ·· تنفجر · العرق ينبثق من أجسـادهم كالبول · احسوا بملابسهم تتبلل ·· تثقل ·· تلتصق ·· شعروا بأنهم فى المكان عينه ·· الاحصن ترتفع فى الهواء تسبح اقدامها فى الفضاء تهوى ، تدك جماجم الصارخين ·· تنفجر ·· تتطاير ·· يجرى الدم كنهر على الارض تحمـــر · البقية المتضعضعة تحمـــل وتسحب ما تبقى منهم والعظام تطفو وترسو على الضفاف ، انها المرة الاولى التى يركض فيها رجل فى وسط المدينة منذ الصرخة ·· لابد انه فقد عقله وتناسى الخير كل الخير ··

توقف عند ناصية الشـارع ، وأنفاسه تتقطع ·· تطلع فى كل اتجاه النهار يؤشر والليل يركض · أحس برطوبة المكان تسـرى فى قـدميه ·· ترتفع حتى النخاع · فتح فمه تطلعت اليه العيون بألوانها المختلفـة ·· انقضت عليـه بشراسة ·· اختفى تحركت الارجل فىخطين متوازيين بسرعة متناسية مايجرى فى المكان خوفا ··

الشمس تتأرجح فى السماء ·· تختفى ·· تكاد ان تسقط قبل الغروب ·· أجلسوه فى الغرفة ·· تطلع بعينيه المبهورتين المكان ·· صعق ، ليس غريبا ، الجدران وصورة الميزان والشمس خلف الجدران ، لابد اننى فى حلم ، كل شىء رأيته حتى الوجـــــوه التى امامى · تحلقوا حوله والغضب يتطاير من وجوههم ، احترق داخل نفسه يفكر ، لحظة انبرى احدهم يصرخ فى وجهه ·

ـ لقد ازعجت البلدة بصراخك فى الشارع ·

أجاب والخوف يعرش فى صوته ·

ـ أنا ؟!

ـ هل تنكر ذلك ؟

ـ لم يلتفت الى احد !

صرخ فى وجهه :ـ

ـ قلت لك ازعجتهم ·

قال بتوسل :ـ

ـ هل اشتكى اليكم احد ؟

ـ لا داعى لطرح الاسئلة علينا ، نحن نسأل وأنت تجيب ·

ـ كيف ؟!

ـ لا تجادل ·

ـ ماذا تريدون منى ان اقول ؟

ـ بأنك مذنب ·

ـ لأى شىء ؟!

ـ للازعاج ·

ـ لم أزعج أحدا البته لقد سمعت خبرا يقول بأن أهل الحى مرضى ولن ينجو منهم أحد وأردت أن أتبين ذلك وأنا طبيب ٠

ـ هل وجدت ذلك ٠

ـ لم افتح فمى حتى وجدت الايدى تكحمه فلم استطع ان اتفوه واذا بى اجد نفسى امامكم لا ادرى لماذا !

ـ لا تجعل من نفسك موضع غباء ، لمن تعمل ؟

ـ ماذا تقصد ؟!

ـ قلت لك لا تطرح الاسئلة ، لمن تتجسس ؟

ـ .....

ـ انت تنكر دائما ٠

ـ لقد أتيت بنية طيبة فهم أهلى ٠

ـ هل الطيبة تعنى الازعاج والتجسس ؟

ـ لا لم أفعل شيئا من ذلك ٠

ـ اذن ، ماذا عملت ؟

خرج صوته ممزوجا بالبكاء والخوف والتوسل ٠

ـ لن تفهمونى ٠

صرخ احدهم بغضب ٠

ـ انه يتهمنا بالغباء الصريح ٠

قال اكبرهم :

ـ قف ـ تطلع من خصاص النـــافذة ، قل لى ماذا ترى ؟ وقف ورجـــلاه لاتقاومان الصمود فى حمل الجزء المتبقى من جسده قائلا :

ـ أبنية ٠ ومارة تملأ الشارع ٠

ـ هذه القفزة والحركة اللتان تدبان بكل عنفوانها وشبابها فى المكان ٠٠ تعنى المرض ، أم انك لازلت مصرا على ذلك وتنكر كل التهم الموجهة اليك ؟!

سكت والدموع تترقرق فى عينيه ، الصور تهتز وترقص باضطراب جفنيه الصغيرين ، تتمدد ، تنساب تسقط على الارض ٠٠ تتبخـــــر ، أحس بالمكان يتغير ، يصطبغ بلون الغروب ٠٠ يشتد ٠٠ يسرى فى شراييه ، الحرارة تشـتد فى كل مكان من جسده ، صرخ بدهشه ٠

ـ يا الله ؟!

ـ ماذا اصابك ؟!

ـ الشمس تجنح للمغيب ٠٠ تدمع دما احمر تلطخ به الشوارع انه يمتد ٠٠ يتناثر كحبات المطر على الارض ، يصيب الخطين ، ينبضان ٠٠ يتقاربان ٠٠ يتحركان ٠٠ تتحول المدينة ٠٠ تطلعوا !

ـ أين ؟!

ـ هناك انه كالسيل يجرف كل شىء ٠

انقضت الايدى عليه بقوة تخنقه ٠

ـ اجلس مكانك ٠

ـ ماذا فعلت ؟!

ـ اشياء كثيرة لا تطاق ، انك ملحد كافر تتخيل اشياء غريبة لا وجود لها اطلاقا ٠٠ تحرك ٠

ـ اين ؟!

ـ لاتسأل ٠٠ تحرك ٠

وقف خلف القضبان الصدئة ٠٠ تخيل مجيئه واستقبال أهلهوضياع سنوات

عمره فى الطب ٠٠ وعطن البول يتسرب الى أنفه ورئتيه ٠ أحس بالاف الثقوب فى الجـــدران تطن ٠٠ تتأوه ٠٠ تبكى ٠٠ والارض معفنة بالروائح منذ زمن طويل ، وشمس الغروب تهوى بسرعة وتذوب ببطء وتدمع دما احمر قانى خلف ثقب جديد ٠

نعيم عاشور ...

- في البدء كانت المسألة محاولة للخروج من عالم الذات الخاص الى العالم الجماعى والمشارك · ولم يكن اختيار فن القصة القصيرة بالذات ، عملية اختيار ارادى ، أى نتيجة وعى فنى معين ، بل لأن فن القصة القصيرة ، كان الممارسة الوحيدة المتاحة.

- لقد كان لى فى السابق محاولات ساذجة عديدة لم أنشرها ، وكانت لى محاولاتأخرى نشرتها فى مجلات حائطية · لكن أول محاولة جادة كانت فى ٦٨ ، وبقيت غير مكتملة حتى ٧٢ ، حين أعدت صياغتها ونشرتها بعنوان (انطقى أرهقنى الصمت) ، وباسم مستعار ، فى مجلة طلابية طبع منها ألف نسخة ·

- لقد كرس (اختيارى) مواصلة هذا الدرب الصعب ، هو أننى لم أواجه قط ، الاخفاق التقليدى (غير صالحة للنشر ، ثابر على القراءة ·· الخ) ، فقد نشرت أولى تجاربى (أواه يا وطنى) فى جريدة صدى الاسبوع (مايو ٧١) مع بعض الحذف البسيط ، وتلتها تجربة أخرى (رسائل لم تنته) ، نشرت فى الاضواء (يوليو ٧١) دون أى حذف أو تعديل لقد كان نجاحى فى النشر بمثابة المهماز الذى دفعنى ، ليس الى الكتابة ، بل الى القراءة الجادة والمتأنية ، فلم أكتب بعد ذلك سوى (انطقى ، أرهقنى الصمت) والتى كانت موجودة أصلا منذ ٦٨ ، وأخيرا (واهمس فى ألم ، أنا مشتاق) .

- اننى أعتقد ، بعد هذا الدرب القصير فى (محاولة) التعبير الأدبى ، أن كتابة القصة القصيرة ليس أمرا سهلا كما كنت أتصور ، وحسب المرء أن يقرأ نجيب محفوظ ويوسف ادريس وحنا مينا ، وغيرهم حتى يكتشف أن عالم القصة القصيرة وأساليبها ، والموضوعات التى تعالجها ·· الخ لا يحد تنوعها سوى

حدود العقل البشرى وان خلق الحدث ، والازمة وتصعيدهما ، عملية ابداع فذة لا يمكن تلفيقها أو افتعالها . كما أن التنوع فى تناول الجوانب المختلفة والزاخرة فى مجتمعاتنا ـ وهو الذى نفتقده بشكل واضح جدا فى نتاج القصة القصيرة عندنا ـ هو أمر ضرورى حتى لايصبح كل قصاص نسخة كربون عن الاخـــــر لذلك ان اختيار البداية ، أمر ســهل جــدا ، اما اختيار المواصــلة ، فهو المحك الحقيقى ·

● العمل الأدبى لصيق بالواقع ، لانه لا يمكن أن يكون غير ذلك لكن ينبغى أن تكون تلك العلاقة شاملة ، أى ان الواقع ليس فقط تفتيش ، سجن ·· استجواب ·· عذاب الخ ، بل هو عملية فعل متنوعة وزاخرة وذات نتاج ملىء ومتدفق · ولذلك ، وكما سبق وان ذكرت فان كل كتاباتى ، وهى قليلة ، لا تتعدى كونهـا المراحل الاولى من التجارب التى أمارسها لفهم هذا الواقع من خلال معطياته ، وفى حدود ضيقة جدا من النشر ·

● ان عدم وجود حركة نقدية تهتم بالقصة القصيرة بالذات ، ساعد ليس فقط على فقر النتاج القصصى كما ، ولكن من ناحية الكيف أيضا · فكيف تقوم القصة القصيرة بالدور المناط بها ـ معالجة الواقع الموضوعى فى جزئياته ودقائقه ، بدقة وتحديد ، وليس التحليق فى متاهات يلزمها أكثر من رواية ـ فى ظل هذا الجو الخانق ·

● الآن ، وبالرغم من الافراج النسبى ـ لدينا أربع صفحات أدبية فى أربع مجالات نشر مختلفة ـ فهل حاولت واحدة من هذه الصفحات أن تعرض بالنقد لقصة قصيرة قط ·

● ليس المهم أن ننتظر صدور كتاب يضم مجموعة من القصص القصـــيرة (المنشورة سابقا) حتى نقوم بعرضها (جميعها) بشكل سطحى وسريع ·

● يجب أن يناقش النقد قصة بعينها ، شارحا جميع جوانبها وشكل بنائها ·· الخ · ان غيــاب النقد يعنى بالضرورة ، أننا بها نقرأ ، أو أننــا نقرأ ونحن فى حالة من التبلد واللامبالاه والا فمعنى هذا أن ما نقرأه لا يستثير فينا أية رغبة

للمناقشة ، ولا يثير قضية ، وبالتالى فان ما ينشر لا يستحق النشر ٠

● ان النقد محاولة فهم واستكشاف ٠ حتى النقد خاضع للنقد ، والمطلوب فقط ، الجرأة فى ارتياد هذه الطريقة ٠ والغريب فى الامر هو لماذا نجد الجرأة فى عرض واستكشاف أعمال الآخرين (الطريق لنجيب محفوظ ، والقصة المزدوجة للدكتور بالمى فى كتابات ٧٦) ولا نجدها فى استكشاف ما يريد أن يقوله أمين صالح وعبد الملك ٠لقد عطل غياب النقد القصة القصيرة عن القيام بدورها المطلوب ، وجعلها تراوح مكانها من حيث المواضيع التى تعالجها ، ويمكننا اكتشاف ذلك بسهولة من قراءة نتاج القصة القصيرة المنشورة حتى الآن ٠

ثرثرة فى شارع "بليس"

تبدأ الحكاية هكذا ٠٠

كانت تجلس بجانبى فى مطعم « الصوبا فونتين » ٠ رائعة ٠ فى عينيها حيرة تائهة ، وعلى شفتيها ابتسامة مصطنعة ، تموت حالما ترتسم ٠ حين التفت ناحيتها لم اكن اقصد ذلك ، لكن عينى تسمرتا على صفحة وجهها وراحتا تجوسان فى خلال الزغب الذى يغطى الوجنتين ٠ وبينما كنت انتظر ان يحضر الجرسون طلبى ، كانت هى تتأبط ذراعى بكلتى يديها ، ونحن نسير الهوينا فى شارع « بليس » ! كانت تتشبث بى بقوة عجيبة ، وكان الشارع يمتلىء بالضباب الكثيف ونحن ننحدر باتجاه البحر ٠ ومع انها كانت تبدو سعيدة الى اقصى حد ، الا اننى كنت اشاهد امامى فوهة بركان يأذن بالانفجار !

٠٠٠ وايضا ٠٠

كانت الليلة حالكة السواد ، وكنت انا امتطى السور الحديدى ، ارقب الزبد يخرج من العتمة ومن الزمن السحيق والمسافات التى لا تبدأ ، ليموت

تحت قدمى دون ادنى احتجاج ٠

لكن فكرى كان مشغولا بأمر آخر ٠٠ !

هائل كان الامر ، والقرار لابد ان يكون حاسما ، وانا فى حالة من الذهول والفرح الغامر ، ورهبة الحزن الذى يسبق الخطوة الاولى ٠ لابد انه يثق بى ، وانا بدورى لن افرط فى هذه الثقة الغالية ٠ واضاء فى عتمة الحزن نور ، فتساءلت ، مادام هذا ماريد ، فلماذا اذن لا اصنع ارادتى من مبادرته الان ، ودون تردد ؟ هل انطلق فى المجهول ؟ قال ان على ان اتخلى عن امور كثيرة ! هذا هو الخطأ القاتل ! هل تلغى الامل وانت تصنعه ؟! هل تذبح الفرح وانت تبشر بقدومه ؟! لم افاجأ ابدا فلقد خلقت ايمانى ، وازددت وعيا بما يحيط بى ، لكن المسافة بين الداخل والخـــــارج كانت تضيق ثم تمتد وتضيق لتمتد كرة اخرى ، وانا انطلق بكل قوة وثقة ٠

وفجأة !

ـ انت ٠٠ انت ٠٠ ماذا طلبت ؟

ـ انا ٠٠ لا شىء ٠٠ لاشىء ياسيدى ٠٠ اجل ، لاشىء ماطلبت !!

انفجر البركان ، ٠٠ كدت اختنق ٠ بدا لى الجرسون وحشا خرافيا يريد افتراسى ، وتداعت الاشياء والاضواء وصارت ركاما من الاشلاء والدمار ، وتحفزت للقتال ، وركضت القهقرى ٠ وسحبت هراوتى ، وحين التفت اليها ، كان الضباب يزداد كثافة ، ومعالم الطريق تضيع من قدمى ٠ هـــززت رأسى بعنف ، وكورت قبضتى ، وهويت بها على الطاولة امامى ٠ تناثر كل شىء سوى كأس وحيدة قفزت وهوت واستقرت امامى فى حـــــركة وقحة ومستفزة وحين انحنيت عليها ، رايت الها قابعا فى القاع ! ادخلت يدى لاخرجه ، وعندما نظرت حولى ، ورأيت الجميع يحملق في ويضحك ، اما هى ، فقد كانت تنظـــر الى الكأس بامعان عجيب فانكفأت على ذاتى ، ولويت يدى ورجلى ، وتكورت ، ثم انقذفت فى مسرب من مسارب البداية ، وحين فتحت عينى ، كنت قد ٠٠٠

عدت اليها !

كنا قد وصلنا الى شاطىء البحر . فتوقفنا قليلا · وحين كانت الامواج تتكسر على صخور الشاطىء بوحشية وقسوة . كان تشبثها بى يزداد عنفا · نظرت فى عينيها · قلت . اشعر بانى اريد ان اقول شيئا . لكن لا اجده !

ـ الليل موحش . فلا تتركنى !

ـ لا تكونى جبانة . فالليل لا يدوم ·

ـ انا احبك !

ـ كل الكائنات تحب . لكن كل الكائنات تموت ايضا . حتى الندم يصبح كدمعة تحرق وجنتى الربيع لكن بدون حياة ·

ـ لكن هل يموت الحب ؟!

·· فى لحظة الالم العقيم !

وكأنها تغرس اظافرها فجأة فى جـــــرح غائر . تقيح والتأم · تضغط وتضغط . حتى تدمر كل النهايات العصيبة . فينتفى الالم لحظة صاعقة رهيبة ·· كأنها فجرت براميلا من الزيت باطنان من الديناميت . فأثارت امواجا هائلة متلاطمة من الذكريات . وحولتنى لاجئا فى مدينة الماضى . حيث الحب كعنقاء أوديب . ما أجملها وما ابشعها . وحيث كل شىء يموت . كل شىء بشع ومخيف الا الذكرى وتذكرت ·· تذكرت ·· تذكرت ··

ان اختى حدثتنى ذات مرة عن الفتاة التى ضاجعت ثلاثة رجال وحملت سفاحا . فطردوها من المدرسة . وصارت سمعتها سيئة ! سألت اختى :

ـ هل حقا كانوا ثلاثة ؟

ـ اجل · واحد منهم كناس . والثانى بائع سمبوسة . اما الثالث فعاطل عن العمل !

صرخت الجنس حريق مدمر . الجنس حريق مدمر . الف مـــــرة تلهبنا السياط ونركع لاسياد من كل صنف · الف مرة . مليـــــون . بل العمر كله ·

ننسحق كما الاسفلت الممدد عبر المدن الخرساء المتوحشة وتتفتت احلامنا قهرا وعثوة ·· وتمنيت وقتها لو ان تلك الفتاة كانت اختى ! ربما لاننى احب الاطفال اوربما لاننى اردت ان اعيش تجربة جديدة · لست ادرى الان ، فالجرسون لم يأت بعد . والاله مازال قابعا فى الكأس . اما الفتاة . ذات الشكل العادى جدا ، فمازالت تطوق ذراعى بكلتى يديها فتدمر فى كيانى قسوة . وأشتم فيها رائحة الطفولة والفجر !

ثم عدت ··

انتهزت فرصة موت الامواج وقلت لها :

ـ انا لا اعرف اسمك ·

ـ ماجدوى ان تعرف اسمى ؟!

ـ لكن الذكرى لا تموت !

ـ لا حاجة بك للذكرى مادمت لن تتركنى .
ـ أنت رائعة .
ـ انا خائفة وضعيفة ·

ـ اريدك شجاعة وقوية . فانا اخاف احيانا !

فتجرأت وقالت :

حلمت ذات مرة انك كنت جريحا · رأيتك تغالب الالم والتعاسة · حملتك على كتفى · كنت تحدثنى طوال الطريق عن اشجار النخيل . وعن الفجر الذى يبزغ فى كل الارجاء . والجماهير الطيبة ·· . وعنـــدما وصلنا الى مشارف المدينة . كنت انت قد حلقت بعيدا عنى !

فقطعت على نفسى الوعود التالية :

ـ عدنى بان لا تموت

ـ اعدك بان لا اموت

ـ عدنى بان لا تتركنى !

ـ اعدك بان لا اتركك

ـ عدنى بان تحبنى

ـ اعدك بان احبك !

وكان الحلم ..

حين تذكرت ان الشفق عندما يحمر ، ويصبغ أديم الارض كلها ، سيبزغ الفجر دونما حاجة الى ليل آخر ، فلقد طال حتى اصبح لا يطاق . والفتاة التى ضاجعت ثلاثة رجال ، لن ينبذها احد ولن تصبح مومسا تاكل من لحمها .

والرؤيا ..

الجرسون لم يعد بعد ، والفتاة ذات الشكل العادى جدا مازالت متشبثة بى بكل قوة . كنا قد قطعنا شوطا طويلا باتجاه صخرة الروشة ، حين داهمنا الفجـــــر ، وانفصلت السماء عن الارض ، وتلونت بزرقة تستحوذ على الفكر والنظر ، وغبت بين ثنايا امواج الالوان المتدخلة والمترجرجة بحركة بطيئـــة تبعث الى الجسد بموجات خـــدر لذيذ ، وتستثير فيه تصـــانيفا من الافكار والرغبات النارية !

ثم كان الواقع ،

ـ فيم تفكر ؟

ـ اريدك سعيدة ، ولكن كيف ؟ ، وتلك السعادة (الان) كيف تكون ؟!

ـ لماذا لا نتزوج ؟

ـ وما حاجتك للزواج مادمت لن اتركك ؟!

قاســـيا !

وانطلقت رصاصات غاشمة . وانبثق الدم الزكى يروى الارض الطهور .
وانا هنا اجتر الكتب وقصاصات الجرائد . والهث وراء الاخبار بكل وقاحة !

عاد الجرسون وعلى وجهه سيماء الغضب . وقال . يجب ان تخرج حالا . انت شخص غير مرغوب فيه هنا الان (تساءلت . اذن اين ومتى ؟) ..

ـ لكن ...

ـ لن اكرر ما قلت !

ومن ثم الخجل .. !

وتلفت حولى فلم اجد احدا . لا الرواد الذين ضحكوا . ولا الفتاة ذات الشكل العادى جدا . ولا حتى الجرسون . لم يبق سوى الوحشة تصفر لحن والانفصال . والرياح الغربية تصفق الابواب والنوافذ فى تتابع ونظام قاتلين . حتى امتلات شعورا بالمرارة والحصار . ولكن حين أطفئت الانوار . بزغ فجر احمر . ابتسمت . وقلت بتحد . شعبنا عظيم لن ينحنى ابدا . ولكن حين تذكرت اننى هنا فى بيروت . شعرت بخجل لا حدود له !

ولذلك توقفت عن السرد !!

مصادر دراسة الادب البحريني الحديث

إعداد : عبدالرحمن الجامع

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
١ ـ ابراهيم الخليفة	المجموعة الكاملة لاثار الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة (اشعار ورسائل) ٠ جمع وتحقيق محمد جابر الانصارى ٠٠		المطبعة الشرقية
٢ ـ ابراهيم العريض	١ ـ الذكرى ـ المجموعة الشعرية الاولى	١٩٣١	بغداد
	٢ ـ وامعتصماه ـ رواية تمثيلية	١٩٣٢	القاهرة
	٣ ـ العرائس ـ المجموعة الشعرية الثالثة	١٩٤٦	دار العلم للملايين ـ بيروت
	٤ ـ قبلتان ـ قصة شعرية عن الاندلس	١٩٤٨	دار العلم للملايين ـ بيروت
	٥ ـ الاساليب الشعرية ـ بحث تحليلى	١٩٥٠	دار الاديب ـ بيروت
	٦ ـ أرض الشهداء ـ ملحمة فلسطين الدامية	١٩٥١	دار العلم للملايين ـ بيروت
	٧ ـ الشعر والفنون الجميلة ـ بحث تحليلى	١٩٥٢	دار المعارف ـ القاهرة
	٨ ـ الشعر وقضيته فى الادب الحديث ـ من بحوث مؤتمر الدراسات العربية للجامعة الامريكية	١٩٥٤	بيروت ـ دار الكشاف
	٩ ـ شموع ـ المجموعة الشعرية الرابعة	١٩٥٦	دار العلم للملايين ـ بيروت
	١٠ ـ من الشعر الحديث ـ مختارات	١٩٥٨	دار العلم للملايين ـ بيروت
	١١ ـ نظرات جديدة فى الفن الشعرى		
	١٢ ـ جولة فى الشعر العربى المعاصر		

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
	١٣ ـ فن المتنبى بعد ألف عام		
	١٤ ـ ترجمة رباعيات الخيام		
٣ ـ أحمد محمد الخليفة	١ ـ من أغانى البحرين	١٩٥٥	دار الكشاف ـ بيروت
	٢ ـ هجير وسراب		
	٣ ـ بقايا الغدران		
٤ ـ ابو البحر جعفر الخطى	ديوان أبى البحر		
٥ ـ ابراهيم بو هندى	١ ـ اذا ماطاعك الزمـــان (مسرحية شعرية بالعامية)		
	٢ ـ سرور (مسرحية شعرية بالعامية)		
	٣ ـ أحـــلام نجمة الغبشة (مجموعة شعرية)	١٩٧٥	دار الغد ـ البحرين
٦ ـ ايمان أسيرى	قصائد مخطوطة		
٧ ـ حمده خميس	قصائد مخطوطة		
٨ ـ رضى الموسوى	ديوان مخطوط لم يطبع		
٩ ـ سعيد العويناتى	اليك ايها الوطن اليك ايتها الحبيبة (تحت الطبع)		دار الغد ـ البحرين
١٠ـ سلمان التاجر	ديوان مخطوط		
١١ ـ سلمان الحايكى	قصائد مخطوطة		
١٢ـ عبدالرحمن المعاوده	١ ـ لسان الحال		
	٢ ـ دوحة البلابل		
١٣ـ عبدالله الزايد	نابغة البحرين عبدالله الزايد ـ ترجمة ومختارات جمعها مبارك الخاطر	١٩٧٤	
١٤ـ عبد الامير الجمرى	شعر شعبى		
١٥ـ عبدالرحمن رفيع	١ ـ اغانى البحار الاربعة		
	٢ ـ قصائد شعبية		
	٣ ـ أول المحبة		

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
١٦ـ عدنان صالح	تنفية الخاطر وسلوة القاطن والمسافر		
١٧ـ عباس مهدى خزام	١ ـ جرح ونغم		
	٢ ـ الجريح الصامد		
١٨ـ على بن المقرب العيونى	ديوان أبن المقرب	١٩٦٩	دار العلم للملايين ـ بيروت
١٩ـ على عبدالله خليفة	١ ـ انين الصوارى	١٩٧٠	
	٢ ـ عطش النخيـــل (شعرشعبى)	١٩٧٣	دار الاداب
	٣ ـ اضاءة لذاكرة الوطن		
	٤ ـ الموال الشعبى ـ دراسة ونصوص ـ (مخطوط)		
	تحت الطبع		
٢٠ ـ علوى الهاشمى	١ ـ من أين يجىء الحزن		دار الغد ـ البحرين
	٢ ـ العصافير وظل الشجرة ـ تحت الطبع		دار العودة ـ بيروت
٢١ ـ على الشرقاوى	الرعد فى مواسم القحط	١٩٧٥	دار الغد ـ أسرة الادباء
٢٢ ـ عبد الحميد القائد	عاشق فى زمن العطش	١٩٧٥	دار الغد ـ أسرة الادباء
٢٣ ـ عبد الصمد الليث	قصائد مخطوطة	١٩٧٠	الشـــركة العـــربية للتوزيع ـ البحـــرين
٢٤ ـ قاسم حداد	١ ـ البشارة		دار العودة ـ بيروت
	٢ ـ خروج رأس الحسين من المدن الخائنة		
	٣ ـ الدم الثانى ـ صـدر فى بيروت أيام الاحـــداث ولم يوزع لحد الان ٠	١٩٧٥	دار الغد ـ البحرين
٢٥ ـ كريم عبد العال	ديوان مخطوط		
٢٦ ـ محمدبن عيسى الخليفة	ديوان الوائلى ـ جمـــع عيسى بن راشد الخليفة	١٩٧٥	

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
٢٧ ـ منيره فارس	قصائد مخطوطة		
٢٨ ـ يوسف حسن	أغانى القرية ـ مخطوط		
٢٩ ـ يعقوب المحرقى	عذابات أحمد بن ماجد	١٩٧٣	أسرة الادباء ـ دار الاداب
القصة القصيرة :			
١ ـ أحمد كمال	**مجموعة قصص لم تطبع فكتاب**		
٢ ـ أمين صالح	١ ـ هنا الوردة ٠٠ هنا نرقص	١٩٧٣	أسرة الادباء ـ
	٢ ـ رواية (مخطوط)		
٣ ـ خلف أحمد خلف	الحلم وجوه أخرى	١٩٧٥	أسرة الادباء ـ دار الغد
٤ ـ على سيار	السيد (تحت الطبع)	١٩٧٥	دار الغد ـ البحرين
٥ ـ عبد الله على خليفة	لحن الشتاء	١٩٧٥	دار الغد ـ البحرين
٦ ـ عبد القادر عقيل	السقوط لحظة الانفجار (تحت الطبع)		دار الغد ـ البحرين
٧ ـ فؤاد ابراهيم عبيد	١ ـ نهاية قصة		
	٢ ـ ذكريات على الرمال		
	٣ ـ بدرية فى طريق الحياة		
	٤ ـ تأملات وهمسات		
	٥ ـ الملل (مسرحية)		
	٦ ـ الضائع (مسرحية)		
	٧ ـ دار الحيه (مسرحية)		

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
	٨ ـ كل من لحم ثورك (مسرحية)		
	٩ ـ الوجه الآخر للعملة (مسرحية)		
	١٠ـ ساكت وصابر (مسرحية)		
٨ ـ محمد الماجد	١ ـ مقاطع من سيمفونية حزينة		مطبعة حكومة الكويت
	٢ ـ الرحيل الى مدن الحلم ـ مخطوط		
	٣ ـ رواية مخطوطة		
٩ ـ محمد عبد الملك	١ ـ موت صاحب العربة		الشركة العربية للوكالات والتوزيع
	٢ ـ نحن نحب الشمس	١٩٧٥	دار الغد ـ البحرين
الدراسات والابحاث الادبية:			
١ ـ ابراهيم عبد الله غلوم	مقالات متفرقة فى النقد الادبى فى الصحف المحلية		
٢ ـ أسرة الادباء والكتاب	التعريف بالحركة الادبية الجديدة فى البحرين باشراف احمد المناعى		
٣ ـ أحمد المناعى	مقالات متفرقة فى النقد الادبى		
٤ ـ حسين الصباغ	مقالات متفرقة فى النقد الادبى		
٥ ـ محمد جابر الانصارى	١ ـ لحات من الخليج العربى	١٩٧٠	الشركة العربية للتوزيع ـ البحرين
	٢ ـ المجموعة الكاملة لآثار الشيخ ابراهيم الخليفة	١٩٦٨	مديرية التربية والتعليم

الكاتب	الكتاب	سنة الطبع	الناشر
	٣ ـ مقالات متفرقة فى النقد الادبى		
	٤ ـ الخليج ٠٠ ايران ٠٠ العرب	١٩٧٢	دار النهار ـ بيروت
٦ ـ مبارك الخاطر	١ ـ نابغة البحرين عبد الله الزايد ـ ترجمة ومختارات		
	٢ ـ القاضى الشيخ عبدالرحمن المهزع ـ ترجمة		
٧ ـ محمد على التاجر	ملتقى الدرين فى أدب البحرين ٤ أجزاء مخطوطة	١٩٥٠	
٨ ـ محمد صالح يوسف	عقود اللآل فى تاريخ أوال		
٩ ـ ناصر الخيرى	مخطوطة		

لاستيفاء الفائدة تراجع المجلات والجرائد التالية :

البحرين ـ عبد الله الزايد (جريدة) ـ توقفت عن الصدور ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥

الخميلة ـ جورج كارنيكى (جريدة) توقفت عن الصدور ١٩٥٢ ١٩٥٥

القافلة ـ على سيار ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

صوت البحرين (مجلة) ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

الميزان ـ عبد الله الوزان (جريدة) توقفت عن الصدور ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦

الوطن ـ على سيار ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦

الشعلة ـ محمود المردى ١٩٥٦ (عدد واحد فقط)

هنا البحرين ـ الاعلام (مجلة) نصف شهرية حولت الى شهرية ثم حولت الى اسبوعية

اسبوعية باسم (البحرين اليوم) ٠٠

الاضواء ـ محمود المردى (جريدة) ، ١٩٦٥

صدى الاسبوع ـ (مجلة) على سيار ، ١٩٦٩

المجتمع الجديد ـ ابراهيم حسن كمال (مجلة) توقفت عن الصدور

البحرين اليوم ـ (مجلة) وزارة الاعلام

المواقف ـ عبد الله المدنى (مجلة) ، ١٩٧٤

اخبار الخليج ـ محمود المردى (جريدة يومية)

كتابات ٧٦ ـ على خليفه (كتاب دورى) ، ١٩٧٦

ملتقى
الإبداع
العربي
والثقافة الإنسانية

البحرين

مجلة شهرية ثقافية جامعة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

توزيع دار الغد
البحرين

مع التحية

الخليج الجديد

طبعة
المجلات
الخليجية

صناعة الغوص

هـــذا الكتاب :

دراسة من الواقع لحياة العاملين فى الغوص تتناول :

- التقاليد العريقة والعادات المتصله بتلك المهنة واجراءاتها سواء فى مراحل العملية نفسها فى عرض البحر أو فى الحياة الاجتماعية للعائلات المنتظرة عودة الرجال ·
- مختارات من الأشعار والأزجال والأغانى والفنون المرتبطة بحياة الغاصة وعائلاتهم ·
- تمويل تلك المهنه وبيع المحصول وأنظمته ·
- حسابات مهنة الغوص ·

توزيع دار الغد
البحرين

كبسولة
أوميكا H.3

اوميكا
مفيد لجميع الأعمار

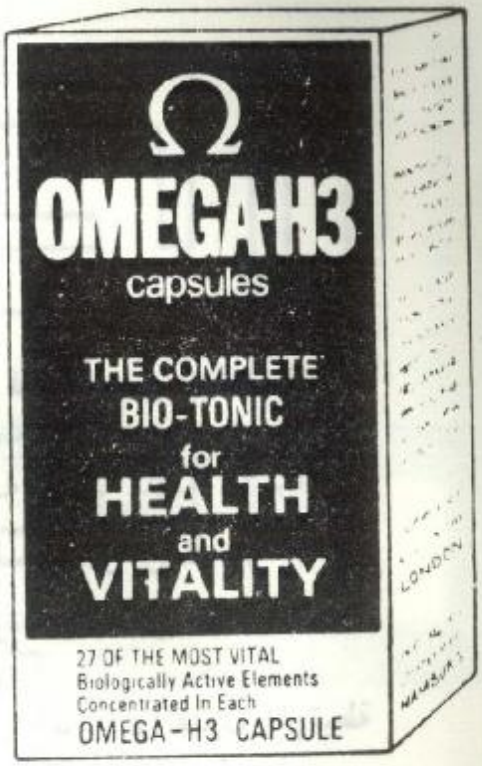

- احدث ما توصلت اليه البحوثات السويدية والالمانية والانجليزية .
- كبسولات الحيوية والنشاط المحتوية على ٢٧ من اهم انواع الفيتامينات المعدنية التى تحتوي على الهرمونات السويدية النشطة G.B.X./ لاعادة النشاط والحيوية للشباب .
- نستطيع ان نصف لهذا الاكتشاف باكثر من الف كلمة ولكننا سنترك لك تحكم بنفسك بعد التجربة على مدى مفعوليتها وابداء النصح لكل رصاك لعالم لاستعمالها

أوميكا H.3

مفيد للقلب والذاكرة ، يعيد لك نشاطك ويزيل عنك العصبية

أوميكا H.3

يفيد على الصمود بنشاط ويزيل عنك الخمول ، يساعدك فى النوم وينشط الدورة الدموية ، لايسبب أية مضاعفات لدى استعماله .

الوكلاء : صيدلية الجشى

تليفون ٥٤٥٢٤

تجدونه فى صيدلية الجشى وجميع الصيدليات

وكالة
كانو للملاحة

تسهل نقل بضائعكم من جميع
أنحاء العالم الى البحرين على
خطوط بحرية منتظمة من
أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى

شعارنا
خدمتكم السريعة

هاتف المكتب الرئيسي: ٥٤٠٨١

الكويت

ثلاث رحلات كل اسبوع

مع مواصلات جويّة مُباشرة الى أوروبّا

تقلع طائرات الخطوط الجوية الكويتية ايام الاثنين والخميس والجمعة قاصدة الكويت حيث تجدون رحلات مباشرة الى روما وفرنكفورت ولندن والقاهرة وبيروت ايام الخميس، واخرى الى براغ وباريس والقاهرة وبيروت ايام الاثنين.

وفضلا عن ذلك فنحن نراعي منتهى الدقة في مواعيد رحلاتنا. وعليه فان السفر مع الخطوط الجوية الكويتية يسمح لكم باعداد برنامج سفركم وانتم واثقين من قدرتكم على انجازه. وهناك ايضا الخدمة الممتازة على متن طائراتنا وهي تتيح لكم الاختيار بين مشاهدة عرض فيلم سينمائي وبين الاستماع الى ٦ اقنية من الموسيقى المتنوعة. تعرفوا الينا جيدا بطلب الاطلاع على جدول مواعيدنا.

الخطوط الجوية الكويتية

في قلب عالم الاعمال العربي

لمزيد من المعلومات اتصلوا بوكيلكم للسفر او: الخطوط الجوية الكويتية - طريق الحليفه - تلفون ٥٣٤١٩ - ٥٤٦١٤ - الشامة

يَصدر قَريباً عَن
دار الغَد

• الدَم الثاني
شعر: قاسم حداد

• اليكَ أيها الوَطن
اليكِ أيتها الحَبيبَة
شعر: سعيد العويناتي

• السَيد
قصص: علي سَيار

• إسقُوط لحظَة الإنفجار
قصص:
عَبد القَادر عَقيل

مع أطيب الأمنيات بتقدم الكتابات ٧٦

من

بنك البحرين والكويت

تأسست بموجب مرسوم صاحب السمو الأمير دولة البحرين وبشركة محدودة

المركز الرئيسي شارع الحكومة ـ المنامه

صندوق بريد رقم : ٥٩٧ ـ دولة البحرين

برقيا : بحكوبنك البحرين تلكس : ٨٢٨٤ (اربعة خطوط)

هاتف : ٥٣٣٨٨ (عشرة خطوط) السجل التجارى : ١٢٣٤

رأس المال والاحتياطات تزيد عن خمسة ملايين دينار بحريني

البنوك الشريكة

بنك الكويت الوطنى

البنك الاهلى الكويتى

البنك التجارى الكويتى

بنـــك الخليـــج

الشركة الكويتية للاستثمار

الشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والاستثمارات الخارجية

بنك عمان والبحرين والكويت

اتحاد البنوك العربية الفرنسية (يوباف)

مراسلون فى جميع أنحاء العالم

مع أطيب التمنيات لقراء الكتاب ٧٦
من

مفروشات باقر

ص.ب ٨٨
البحرين

تليفون
المكتب ٥٣٣٢٨
المعرض ٥٠٨٠٠

أكبر وأحدث تشكيلة من الاثاث الفاخر ، والسجاد ، والستائر ، ولـــوازم الانارة ، وورق الجدران ..
وأدوات الديكور الاخرى

طبع بالمؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ البحرين

صدر عن

دار الغد

للنشر والتوزيع

قصص قصيرة

لحن الشتاء
عبد الله خليفة

الحلم وجوه أخرى
خليف أحمد خليف

نحن نحب الشمس
محمد عبد الملك

شعر

الرعد في مواسم القحط
علي الشرفاوي

عاشق في زمن العطش
عبد الحميد القائد

أحلام نجمة الغبشة
إبراهيم بوهندي